

كتاب الصلاة (١)

شرح
الأصول الثلاثة

مطابق الشرح حسب كتاب أصول الفقه

أبواب الصلاة
بجاء الله عز وجل

**شرح
الأصول الثلاثة**



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشرح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فبين أيدينا هذه الرسالة - رسالة ثلاثة الأصول - وهي
رسالة جلية مختصرة، مؤيدة بالأدلة من كتاب الله ورسالة
رسوله ﷺ.

وهذه الرسالة في أصل عظيم من أصول الإسلام وهو
العقيدة، وكان العلماء يهتمون بهذه المختصرات،
يلفونها، ويحسون على اختصارها وتهذيبها ثم يحفظونها
لطلبهم؛ لتبقى أصولاً عندهم وذخيرة يستفيدون منها
ويفيدون منها.

والإدانة بهذه المختصرات هي الأساس لطلبة العلم،
فطالب العلم يبدأ بالتعلم شيئاً فشيئاً يأخذ من مبادئ العلم
وأصوله، ويتدرج فيه.

أما السؤال عن الهلال وأحواله وصغره وكبره، فهذا لا فائدة لهم فيه، بل الفائدة هي أن يسألوا عما يحتاجون إليه، وهو معرفة فوائد الأهلّة ولهذا قال: ﴿عَلَىٰ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ﴾^١ بين لهم فوائدّها، وهي أن الله جعلها مواقيت للناس يعرفون بها العبادات والمعاملات والأجال، وغير ذلك.

فأرشدهم إلى فوائد الأهلّة، ولم يُجِبْهُمْ عن سؤالهم عن حقيقة الأهلّة، لأنه ليس لهم في ذلك فائدة وليوجههم إلى ما ينبغي أن يسألوا عنه، وهو أبواب العلم لا ظهور العلم والمسائل الفُضُولِيَّة التي لا يحتاجون إليها، وإن احتاجوا إليها فهي حاجة قليلة.



مقدمة المؤلف

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [١]

[١] ابتداء رحمه الله هذه الرسالة باليسعة اقتداءً بكتاب الله عز وجل، فإن أول ما يقع عليه بصرك في المصحف وقبل كل سورة منه «بسم الله الرحمن الرحيم».

فالبدء بها في الرسائل وفي الكتب وفي المؤلفات اقتداءً بكتاب الله عز وجل، وكذلك التي ﷺ كان يكتبها في أول رسالته حينما يكتب إلى الأمراء والرؤساء وإلى من في أقطار الأرض يدعوهم إلى الإسلام، يبدأ كتابته بسم الله الرحمن الرحيم.

وكان ﷺ يفتح أحاديث وكلامه بسم الله الرحمن الرحيم مما يدل على أن البدء بسم الله الرحمن الرحيم سنة الرسول ﷺ كما أن سليمان عليه السلام لما كتب إلى بلقيس ملكة سبأ بدأ كتابه بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّ إِلَهُنَّ لِكُنْزٍ كَرِيمٍ ۝ إِنَّنِي مَكْتُبَةٌ لِّرَبِّكَ ۝ إِنَّمِنْ شَيْعَنَ رَبِّكَ نَسُوءُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلَا تَقْلُوا عَمَلٌ وَآتُونَ شَيْعِينَ﴾ (النمل: ٢٩-٣١) ينبغي

البدء بسم الله الرحمن الرحيم في كل أمر له أهمية، وكل مؤلف له أهمية وله قيمة، وكل رسالة.

وعلى هذا فالذين لا يدرون مؤلفاتهم ورسائلهم بسم الله الرحمن الرحيم هؤلاء تركوا السنة النبوية والافتداء بكتاب الله عز وجل، وربما سبب ذلك أن كتبهم هذه ورسائلهم ليس فيها بركة وليس فيها فائدة؛ لأنها إذا غلت من بسم الله الرحمن الرحيم فإنها مزوغة الفائدة.

لماذا تركوا بسم الله الرحمن الرحيم؟ إنما تركوها لأنها سنة وهم يتفرون من السنة أو يقلدون من يتفرون من السنة، فينبغي التنبيه على هذا.

فمعنى «بسم الله الرحمن الرحيم»: الاستعانة باسم الله. فقولُه: بسم الله، جازٌ ومجرور متعلق بمحذوف، تقديره: أستعين بسم الله الرحمن الرحيم، أو: أبتدئ بسم الله الرحمن الرحيم تبركاً بها واستعانةً بالله عز وجل.

فهو متعلقٌ عظيمٌ للكلام وللكتب والرسائل، فالإنسان يستعين بالله في بدايتها، ويترك باسمه سبحانه وتعالى.

الرسالة الأولى

المسائل الأربع التي تضمنتها سورة العصر

العلم

اعلم - ورحمك الله [٢]

[٢] قوله: اعلم: كلمة تشير إلى الاهتمام بالموضوع فإذا قال: اعلم: فمعناه أن الأمر الذي سيلقيه عليك أمر مهم، فهذه الكلمة تدل على أهمية الموضوع التي يبدأ بها فيه.

ومعنى اعلم: فعل أمر من العلم، أي: تعلم، والعلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع أو تصور الشيء على طبق الواقع.

وإدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع أو تصور الشيء على خلاف الواقع هو الجهل وهو ضد العلم.

قوله: ورحمك الله: هذا دعاء لطالب العلم، فالشيخ يدعو لطلبة العلم بأن يرحمهم الله، وأن يلقي عليهم رحمة سبحانه وتعالى، فهذا فيه التلطف من المعلم بالمعلم، وأنه يبدأ بالكلام الطيب والدعاء الصالح حتى يؤثر ذلك فيه، ويقبل على معلمه.

أما إذا بدأ المعلم بالكلام الفاسي والكلام غير المناسب فإن هذا يُفْضَرُ، فالواجب على المعلم وعلى من يدعو إلى الله، وعلى من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر التلطف مع من يخاطبه بالدعاء له والثناء عليه والكلام اللين، فإن هذا أدعى للقبول.

أما المعابد والمكابر فإن هذا له خطاب آخر، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُضِلُّوا أَعْيُنَ النَّاسِ إِلَى الْحَسَنِ إِلَّا بِالْحَقِّ مِنْ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا يَحْكُمُونَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلٌ خَالِدٌ﴾ (المكبر: ١٦).

فالذين ظلموا من أهل الكتاب وعاندوا وكابروا هؤلاء لا يُخاطَبون بالتي هي أحسن بل يُخاطَبون بما يردعهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِأَنْفُسِكُمْ فَإِنْ لَمْ تَدْرُوا بِدِينِهِمْ فَلَا أَسْأَلُكُمْ فِيهِمْ إِنَّ ظِلْفَهُمْ عَلَى عُنُوقِهِمْ بِمَا جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٠)، المنافقون لا يُجَاهَدون بالسلاح، وإنما يُجَاهَدون بالحجة والكلام والرد عليهم بالغلظة ردعاً لهم وتنزيهاً للناس عنهم، وقال تعالى فيهم: ﴿وَقُلْ لَهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَأَعْبِيَهُمْ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ﴾ (النساء: ٦٣)، هؤلاء لهم خطاب خاص، لأنهم أهل عناد ومكابرة، ولا

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ (٣)

يريدون الحق بل يريدون تضليل الناس فهؤلاء يُخاطَبون بما يليق بهم .

أما الطالب المسترشد فهذا يُخاطَب بالرفق والرحمة واللطف ؛ لأنه يريد الحق ويريد العلم والفائدة .

قوله : اعلم رحمك الله : دعاء لك بالرحمة فإذا رحمك الله فإنك تكون سعيداً بها في الدنيا والآخرة . إذا دخلت في رحمة الله ، وهذا دعاء من عالم جليل ورجل صالح يُرجى له القول إن شاء الله .

[٣] قوله : يجب ، الواجب : هو ما يُثاب فاعله ويعاقب تاركه ، والمستحب : هو ما يُثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، والمباح : لا ثواب في فعله ولا عقاب في تركه .

فقوله : يجب : يعني أن هذا الأمر ليس هو من المستحب ، ولا من المباح بل هو من الواجب العيني .

فإذا تركنا تعلم هذه المسائل فإننا نائم لأن هذا شأن الواجب ، لم يقل : يستحب لنا أو يستحسن لنا ، بل قال : يجب علينا وجوباً ، والوجوب معناه : الحتم ، من تركه يائس ، ولأن العلم لا يحصل عليه إلا بالتعلم ، والتعلم يحتاج إلى

الأولى . العلمُ [٤]

حاجة وجهد ووقت، ويحتاج إلى مهم وإلى حضور قلب،
فذا هو المتعلم.

قوله أربع مسائل يعني مباحث، شُيِّبَت مسائل لأنها
يجب أن يُسأل عنها ويُعنى بها

[٤] قوله العلم المراد بالعلم هنا هو العلم الشرعي؛ لأنه
لأنه هو الذي يجب تعلُّمه، وهذه المسائل يجب تعلُّمها على
كلِّ مسلم ذكراً أو أنثى حرّاً أو عبداً عيّاً أو فقيراً، يَلِثْ أو
صُغُرْكَ كلُّ مسلم يجب عليه أن يتعلم هذه المسائل الأربع

وقذا ما يسميه العلماء بالواجب الغنبي، وهو الذي
يجب على كلِّ أحد من المسلمين، فالصلوات الخمس على
الرجال والنساء، وحلّة الجماعة في المساجد على الرجال
فذا واجب على كلِّ فرد من المسلمين أن يتعلمها، ولذلك
قال يجب عليها، ولم يقل يجب على بعضا، وإنما قال
يجب عليها، يعني معشر المسلمين، فهذا من العلم الذي
يجب تعلُّمه على الأعيان، لأن العلم على قسمين

الأول ما يجب تعلُّمه على الأعيان، فلا يُعَدُّ أحدٌ
بجهله، وهو ما لا يستقيم الدينُ إلا به، مثل أركان الإسلام

الجمعة التي هي اشهادتان، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة،
وصومُ رمضان، وحجُّ بيت الله الحرام، لا يجوز لمسلم أن
يجعلها بل لا بدَّ له أن يتعلمها

لأن تعلمَ معنى الشهادتين، وما هو تعلمُ العقيدة، يتعلمُ
المسلم العقيدة من أجل العمل بها، ويتعلم ما يُصادفها من
أجل أن يتجنبه، هذا مصور الشهادتين، كذلك يتعلم أركان
الصلاة وشروط الصلاة، وواجبات الصلاة، ومس الصلاة
لا بدَّ أن يتعلم بالتفصيل هذه الأمور، ليس مجرد أنه يصلي
وهو لا يعرف أحكام الصلاة كيف يعمل الإنسان عملاً وهو
لا يعلم هذا العمل الذي يؤديه؟ كيف يؤدي الصلاة وهو
جاهل بأحكامها؟ فلا بدَّ أن يتعلم أحكام الصلاة، ومبطلات
الصلاة، لا بد من تعلم هذا

كذلك يتعلم أحكام الزكاة، ويتعلم أحكام الصيام،
ويتعلم أحكام الحج، هذا أراد أن يحجَّ وَحَجَّ عليه تعلمُ
أحكام الحج وأحكام العمرة، من أجل أن يؤدي هذه
العبادات على الوجه المشروع

وهذا القسم لا يُعسر أحد بحمله، وهو ما يسمى
بالواجب العيني على كل مسلم

القسم الثاني من أقسام المعلم هو ما زاد عن ذلك من الأحكام الشرعية التي تحتاجها الأمة بمجموعها وقد لا يحتاجه كل أحد بعينه، مثل أحكام البيع وأحكام المعاملات، وأحكام الأوقاف والمواثيق والوصايا، وأحكام الأسكحة، وأحكام الحيايات، هذه لا بد منها للأمة، لكن لا يجب على كل فرد من الأمة أن يتعلمها بل إذا تعلمها من يحصل به المصوود من العلماء كفى هذا، ليقوموا بحاجة المسلمين من قضاء وإفتاء وتعليم وغير ذلك، هذا يسمى واجب الكفاية الذي إذا قام به من يكفي سقط به الإنتم عن الباقي، وإذا تركه الجميع أثموا جميعاً.

ولا بد للأمة من أساس يتعلمون هذا القسم لأهمهم بحاجة إليه، لكن ما يقال لكل واحد يجب عليك أن تتفقه في هذه الأساليب، لأنه قد لا ينأى هذا لكل أحد، وإنما يختص هذا بأهل القدرة وأهل الاستطاعة من الأمة، ولأنه إذا تعلم هذا بعض الأمة قام بالتواجب بخلاف القسم الأول فكل واحد مسؤول عنه بنفسه، لأنه لا يمكن أن يعمل هذه الأعمال إلا من علم، ولهذا قال الشيخ يجب علينا، ولم يقل يجب

على المسلم؟ أو يجب على بعضهم، بل قد يجب علينا، أي على كل واحد منا وجوباً عيبياً.

ولنعلم أيضاً قبل الدخول في المسائل أن المراد بالعلم الذي يجب على الأمة إما وجوباً عيبياً أو كفاًياً أنه العلم الشرعي الذي جاء به الرسول ﷺ

أما العلم الدنوي كعلم الصاعات والجوف والحساب والرياضيات والهندسة، فهذا العلم مباح، يُباح تعلُّمه وقد يجب إذا احتاجت الأمة إليه، يجب على من يستطيع، لكن ليس هو العلم المقصود في القرآن والسنة، والذي أنى الله تعالى على أهله ومنذخهم، والذي قال فيه النبي ﷺ «العلماء ورثة الأنبياء»^(١) المراد العلم الشرعي

وأما العلم الدنيوي فمن جهله فلا إثم عليه، ومن تعلَّمه فهو مباح له، وإذا منع به الأمة فهو مأجور عليه ومثاب عليه، ولو مات الإنسان وهو يجهل هذا العلم لم يؤاخذ عليه يوم القيامة، لكن من مات وهو يجهل العلم الشرعي حصرماً

(١) أخرجه البخاري تعليماً في كتاب العلم، باب العلم قبل العمل والعمل، في أثر المحدث (٦٧)، وأبو داود (٣٩٤١) وابن ماجة (٢٢٣)، ومتر مدي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه

لعدم الضروري فيه يُسأل عنه يوم القيامة، لم لم تتعلم؟ لماذا لم تسأل؟ الذي يقول إذا وضع في قبره - رضي الله، والإسلام ديني - وسي محمد ﷺ خدا يحيو، يقال له: من أين حصلت هذا؟ يقول: قرأت كتاب الله وتعلمته.

أما الذي أخرج من ذلك فإنه إذا سُئل في قبره فإنه يقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً ففعلته فهذا يُزجج عليه قبره بارأ - والعياد بالله - ويُصيق عليه فيه حتى تختلف أهلاله، ويُصح في حجرة من حُجَر البارء لأنه ما أدري وما تلاء، فقال له: «لا قَرِئْتَ ولا نَبِئْتَ أو لا تَعُوذُ»^(١) فهو لم يتعلم، ولم يقتد بأهل العلم، وإنما هو صانع في حياته، فهذا الذي يؤول إلى الشقاء والعياد بالله.

فقوله العلم خدا هو العلم الشرعي المطلوب ما جماعة وأفراداً، وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة حقه علياً، وهو عبادته وحده لا شريك له، فأول ما يجب على العبد هو معرفة ربه عز وجل وكيف يصده.

(١) أخرجه البخاري مختصراً من حديث ابن (١٣٣٨)، وأخرجه مسلم مختصراً أيضاً من حديث ابن رجب عنه (٢٨٧٠)، وأخرجه أبو داود من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه - الطويل (١٧٥٣).

وهو معرفة الله، ومعرفة سببه [٥]

[٥] قوله: وهو معرفة الله كيف يعرف العدد رثه؟ يعرفه بآياته ومخلوقاته، فمن آياته الليل والنهار، ومن مخلوقاته الشمس والقمر، كما يأتي بيان هذا إن شاء الله

يعرف الله بآياته الكونية وآياته القرآنية إذا قرأ القرآن، عرف الله سبحانه وتعالى أنه هو الذي خلق السموات والأرض، وأنه هو الذي سخر ما في السموات والأرض، وأنه هو الذي يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وأنه الرحمن الرحيم فالقرآن يعرف بالله عز وجل، وأنه هو الذي أنعم علينا بجميع النعم، وأنه هو الذي خلقنا ورزقنا، فدا قرأت القرآن عرفت ربك سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله.

وإذا نظرت في الكون عرفت ربك سبحانه وتعالى أنه هو الذي خلق هذا الحنف، وسخر هذا الكون وأجره بحكمته وعلمه سبحانه وتعالى، هذا هو العلم بالله عز وجل

قوله ومعرفة نبيه: هو محمد ﷺ لأنه هو المبلغ عن الله عز وجل، وهو الواسطة بين الله عز وجل في مبلغ الرسالة، لا بد أن تعرفه، تعرف من هو؟ وتعرف سبه،

ومعرفة دين الإسلام [٦]

وتعرف بلدك، وتعرف ما جاء به ﷺ، تعرف كيف بدأه
لوحى؟ وكيف قام بالدعوة إلى الله عز وجل في مكة
والمدينة، تعرف مسيرة الرسول ﷺ ولو باختصار

الرسول ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف إلى آخر النسب السوي الشريف الذي
سهي إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وتعرف كيف عاش
قبل النبوة، وكيف جاءه الوحي من الله عز وجل، وماذا عمل
عليه الصلاة والسلام بعد بعثته، تعرف ذلك بدراسة سيرته
ﷺ ولا يلقى بالمسلم أن يجهل الرسول ﷺ كيف تتبع
شخصاً وأنت لا تعرفه!؟ هذا غير معقول

[٦] قوله معرفة دين الإسلام الذي هو دين هذا الرسول ﷺ
من هو دين الله عز وجل الذي أمر به عباده، والذي أمرك
بإساعته وأنت مطالب به، لا بد أن تعرف هذا الدين،
والإسلام هو دين جميع الرسل كل الرسل دينهم الإسلام
بالمعنى العام، فكل من أتى رسولاً من الرسل فهو مسلم لله
عز وجل صفاء له، موحد له هذا الإسلام بمعناه العام، إنه
دين الرسل جميعاً، فالإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد،
والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله

بالأدلة [٧]

أما الإسلام بمعناه الخاص فهو الذي يثبت الله به نبيه
 محمداً ﷺ لأنه بعد بعثة الرسول ﷺ لا دين إلا به. لا دين عليه
 الصلاة والسلام، والإسلام انحصر في اتباعه ﷺ فلا يمكن
 لليهودي أن يقول أنا مسلم، أو الصراني يقول أنا مسلم
 بعد بعثة النبي ﷺ وهو لا يسعه، فالإسلام بعد بعثة نبي هو
 اتباعه ﷺ، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ
 اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] هذا هو الإسلام بمعناه العام ومعناه
 الخاص

[٧] قوله - بالأدلة - لا بالتقليد وإنما بالأدلة من القرآن ومن
 السنة هذا هو العلم

قال ابن القيم في الكافية الشافية

الْعِلْمُ قَالِ اللَّهُ قَالِ رَسُولُهُ

قَالِ الصُّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعَرْشِ

مَا الْعِلْمُ نَعْنِيكَ لِلْجَلَابِ سَمَاعَةً

بين الرسول وبين رأي فلان

هذا هو العلم العلم هو علم الكتاب والسنة، أما أقوال

العلماء فهي تشرح وتوضح فقط كلام الله وكلام رسوله ﷺ

العمل بالعلم

الثانية العمل به [٨]

وقد يكون فيها أو في بعضها خطأ، والأدلة ليست كلام العلماء، إنما الأدلة هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأما كلام العلماء فهو شارح وموضح ومبين لذلك لا أنه دليل في نفسه

هذه هي المسألة الأولى وهي الأساس، بدأ بها الشيخ رحمه الله لأنها هي الأساس، وإنما يبدأ بالعقيدة وبالأساس بالتعلم والتعليم والدعوة إلى الله عز وجل، يبدأ بالعقيدة لأنها هي الأصل وهي الأساس

[٨] قوله العمل به، أي. بالعلم لأنه لا يكفي أن الإنسان يعلم ويتعلم بل لا بد أن يعمل بعلمه، فالتعلم بدون عمل إنما هو حجة على الإنسان، فلا يكون العلم بامعاً إلا بالعمل، أما من غيَّب ولم يعمل بهذا معصوب عليه؛ لأنه عرف الحق وتركه على بصيرة.

والباطم يقول:

وعالمٌ بعلمه لم يعملنْ معدت من قبل عُتَادِ التَّوَنِّ

وهذا مذكور في الحديث الشريف «إن من أول من تُسَّر بهم النار يوم القيامة، عالم لم يحمل بعلمه»^(١) العلم مفروق بالعمل، والعمل هو ثمرة العلم، فعلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر، لا فائدة فيها، والعلم إنما أول من أجل العمل.

كما أن العمل بدون علم يكون وبالاً وصلالاً على صاحبه إذا كان الإنسان يعمل بدون علم فإن عمله وبال وتعب على صاحبه، قال ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردة»^(٢)

ولهذا نفى في العاتكة في كل ركعة ﴿أَعْمِدَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۚ صِرَاطَ الَّذِي أَعْطَىٰ عَثْوَهُمْ عِزَّ الْمَصْصُوفِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [العاتكة ٦-٧] فسمى الله الذين يعملون بدون

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) وهو حديث طويل وفيه «أولئك ثلاثة أول خلق الله تُسَّر بهم النار يوم القيامة» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً على الحديث (٧٣٥٠)، ومسلم (١٨)، (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرج البخاري (٦٦٩٧)، ومسلم (١٧) (١٧١٨) من حديث رضي الله عنها، قال رسول الله ﷺ «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردة»

الدعوة إلى العلم

الثالثة . الدعوة إليه [٩]

عدم الضالين، والذين يعلمون ولا يعملون بالمحسوب عليهم، فنتبه لذلك فإنه مهم جداً

[٩] قوله الدعوة إليه، أي لا يكفي أن يتعلم الإنسان ويعمل في نفسه، ولا يدعو إلى الله عز وجل، بل لا بد أن يدعو غيره فيكون داعياً لنفسه وداعياً لغيره، ولأن هذا العلم أماني، ليس سلك لك تحترمه وتحرم الناس منه، والناس بحاجة إليه، فالواجب عليك السليح والبيان ودعوة الناس إلى الخير، هذا العلم الذي حملك الله إياه ليس وقفاً عليك، وإنما هو لك ولغيرك، فلا تحكره على نفسك وتمنع الناس من الانتفاع به، بل لا بد من سلخه ولا بد من بيانه للناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ الْفَرِيِّ لَوْ أَنَّ الْكِتَابَ لَتُنَشِّطُنَّ بِمَا فِيهِ وَلَا تَكْتُمُونَّ﴾ (آل عمران ١٨٧)

هذا ميثاق أخذ الله على العلماء أن يبشروا الناس ما علمهم الله من أجل أن يبشروا الخير، ويحرموا الناس من انظلمات إلى النور، وهذا عمل الرسل عليهم الصلاة والسلام ومن اتبعهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ

الصبر على الأذى فيه

الرابعة: الصبر على الأذى فيه [١٠]

أَقُو عَلَى تَصِيفَةِ أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعِي وَتَحَنُّنٍ أَفِي وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَمَكِّينَ ﴿١٠٨﴾
 [يوسف ١٠٨] هذه طريقة الرسول ﷺ وطريقة أبيه، العلم والعمل والدعوة إلى الله عز وجل، من لم يدع وهو قادر على الدعوة وعده علم وكنهه، فإنه يلجم يلجام من يار يوم القيامة كما هي الحديث^(١)

[١٠] قوله: الصبر على الأذى فيه معلوم أن من دعا الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فإنه سيتعرض للأذى من الأشرار، لأن كثيراً من الناس لا يريدون الخير بل يريدون الشهوات والمحرمات والأهواء الباطلة، فإذا جاء من يدعوهم إلى الله، ويردهم عن شهواتهم، فلا بد أن يكون

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي (٢٦١٩)، وابن ماجه (٢٦٦)

و(٢٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
 من شئ من علم مكنه، ألجمه الله يلجام من يار يوم القيامة؟ ومن
 ماجه (٢٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
 رسول الله ﷺ من كنتم علماء فيما يقع الله به في أمر الناس، مع
 الدين، ألجمه الله يوم القيامة يلجام من يار

مهم ردّ فعل بالقول أو بالفعل ، فالواجب على من يدعو إلى الله ويريد وجه الله أن يصر على الأدنى ، وأن يستمر في الدعوة إلى الله ، وقدوته في ذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام وخيرتهم وحائتهم محمد ﷺ

ماذا نفى من الناس ؟ وكم نفى من الأدنى بالقول والعمل ؟ قالوا : ساحر وكذاب ، وقالوا : محبون وقالوا فيه من الأموال التي ذكرها الله عز وجل في القرآن ، وتناولوه بالأذى ، فدعوه بالحجارة حتى أدموا عنه ﷺ لما دعاهم إلى الله عز وجل ، وألغوا سلا جرور على ظهره وهو ساجد عند الكعبة ، وتوعده بالقتل وعدوه ، وفي عروة أخذ جرى عليه وعلى أصحابه ما جرى ، عليه الصلاة والسلام ، كسروا رباعيته ، وشجوه في رأسه ، ﷺ ونفع في حفرة ، وهو سي الله ، كل هذا أدى في الدعوة إلى الله عز وجل لكنه صبر وتحمل وهو أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام ، فلا بد للذي يقوم بهذه الدعوة أن يتعرض للأذى على حسب إيمانه ودعوته ، ولكن عليه أن يصبر ، ما دام أنه على حق فإنه يصبر ويتحمل ، فهو في سبيل الله وما يناله من الأدنى فهو في كفة حسنة أجر من الله سبحانه وتعالى

والدليل قوله تعالى ﴿وَالْعَصْرَ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ
 خَشِيرٌ ۝ إِلَّا الْآيِينَ مَأْمُورًا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
 وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: ١١]

[١١] هذه المسائل الأربع يجب أن تتعلمها بالتفصيل، هل من
 دليل على ما قاله الشيخ؟ إن هذه المسائل الأربع يجب عليك
 تعلمها، وهو عندما أنه لا يقول شيئاً إلا بدليل، فأنس الدليل؟
 قال الدليل على ذلك قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم
 ﴿وَالْعَصْرَ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَشِيرٌ ۝ إِلَّا الْآيِينَ مَأْمُورًا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ إلا الدين
 أموا هذه هي المسألة الأولى العلم، لأن الإيمان لا يكون
 إلا بعلم، وهو معرفة الله عز وجل، ومعرفة نبيه، ومعرفة
 دين الإسلام بالأدلة

المسألة الثانية وعملوا الصالحات، هذا العمل بالعلم

المسألة الثالثة وتواصوا بالحق، وهذه الدعوة إلى العلم
 والعمل.

المسألة الرابعة وتواصوا بالصبر على الأذى في سبيل
 الدعوة إلى العلم والعمل

فقوله سبحانه ﴿وَالْعَصْرِ﴾.

الواو واو القسم، والعصر اسم مقسم به مجرور
وعلامة جره الكسرة والمراد به الوقت والرماني

أقسم الله تعالى بالرماني والوقت وهو مخلوق، والله جل
وعلا يقسم بما شاء من الخلق، والمخلوق لا يقسم إلا بالله،
والله لا يقسم إلا بشيء له أهمية، وفيه آية من آياته سبحانه
وتعالى، فهذا الرماني فيه عبرة وله أهمية، ولذلك أقسم الله
بالعصر، وبالليل إذا يعشى، وأقسم بالصبح

أما المخلوق فإنه لا يقسم إلا بالله، ولا يجوز أن يحلف
بغير الله، قال ﷺ «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»^(١)
وقال «من كان حالماً فليحلف بالله أو ليصمت»^(٢)

فإنه يقسم بما شاء ولا يقسم إلا بما له أهمية وفيه عبرة،
ما هي العبرة هي هذا الرماني؟ العبر عظيمة تعاقب الليل
والنهار، وتقارعهما، هذا يأخذ من هذا، وهذا يأخذ من

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٢٥) عن حديث ابن عمر
رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٨)، ومسلم (١٦١٦) (٣) عن حديث ابن عمر
رضي الله عنه

هذا، يطول هذا، ويختصر هذا تعافيهما على هذا الطم
العجيب الذي لا يتحلف ولا ينعم

هذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى، ثم ما يجري في
هذا الوقت من الحوادث والكوارث ومن المصائب ومن
النعيم ومن الحيرات، ما يجري في هذا الوقت هذا من العصر،
وكذلك من الليل والنهار مجال للعمل الصالح، قال تعالى
﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ظِلَّةً ﴾ أي يتعاضدان، بحيث
هذا ﴿ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ بِدُحُرٍ لَّأَنْزَلْنَاهُ مُشْتَبِهًا ﴾ [الفرقان: ٦٢]
وفي بعض القراءات ﴿ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ بِدُحُرٍ ﴾

فالليل والنهار كسب عظيم لمن استعملهما في طاعة الله
عر وجل، ومجال العمل هو الليل والنهار، ما عندك غير
الليل والنهار، هما مجال العمل والكسب الطيب للدينا
والآخرة، في الليل والنهار عر وهواند لذلك أقسم الله
بالعصر.

ما هو جواب القسم؟

هو قوله ﴿ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ بِدُحُرٍ ﴾ الإنسان جميع من آدم
لم يشر أحداً لا الملوك ولا الرؤساء، ولا الأعداء، ولا

انعماء، ولا الأحرار، ولا العبيد، ولا المذكور ولا الإناث
 وإنه في الإنسان للاستعراق، كل بني آدم في حسر، أي:
 في حسرة وهلاك إذا صبحوا هذا الوقت الثمين، واستعملوه
 في معصية الله، وعبادتهم

وهذا الوقت الذي هو رخيص عند كثير من الناس، يطول
 عليهم الوقت، يملأون ويقولون يريد قتل الوقت، يأتون
 بالملهيات أو يسافرون للحارج لقضاء العطلة والوقت، أو
 يصحكون ويمرحون لقطع الوقت، هؤلاء الذين قطعوه
 وصبحوه سيكون حسره وندامة عليهم يوم القيامة. وهو
 مصدر سعادتهم لو حافظوا عليه

فجميع بني آدم في حسرة وهلاك إلا من اتصف بأربع
 صفات هي العلم، والعمل، والدعوة إلى الله، والتبصر على
 الأدنى.

فمن اتصف بهذه الصفات الأربع نجي من هذه الحسارة

ولا يمكن الإيمان بالله إلا بالعلم الذي هو معرفة الله

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي عملوا الأعمال الصالحة من
 واجبات ومستحبات، فاستعملوا وقتهم بعمل الصالحات بما

يعيدهم في دينهم وديارهم، حتى العمل لنديا فيه خير وفيه أجر إذا قصد به الاستعانة على الطاعة، فكيف بالعمل لأحره، المهم أنك لا تصيب الوقت بل تستعمله في شيء يفيدك وينفعك.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ودعوا إلى الله عز وجل، وعلموا العلم النافع، وشروا العلم والخير في الناس أصبحوا دعاة إلى الله عز وجل

﴿وَتَوَاصَوْا بِالْقُرْآنِ﴾ صبروا على ما يبالهم، والصبر في اللغة، الحبس، والمراد به هنا حبس النفس على طاعة الله

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: صبر على طاعة الله

الثاني: صبر عن معاصي الله

الثالث: صبر على أقدار الله.

فالأول صبر على طاعة الله، لأن العبي ترهب الكسل وترهب الراحة، فلا بد أن يصبرها الإنسان على الطاعة وعلى الصلاة وعلى الصيام وعلى الجهاد في سبيل الله وإن كانت تكره هذه الأمور، يصبرها ويحبسها على طاعة الله

والثاني صبر على محارم الله، النفس تريد المحرمات، والشهوات، إنها تعيل إليها وترع إليها، فلا بد أن يربطها ويحبسها عن المحرمات، وهذا يحتاج إلى صبر، وليس من السهل مع النفس عن الشهوات المحرمة، من ليس عنده صبر فإن نفسه تتعلب عليه ويجمع إلى المحرمات

الثالث الصبر على أقدار الله المؤلمة المصائب التي تصيب الإنسان من موت قريب، أو حجاج عال، أو مرض يصيب الإنسان، لا بد أن يصبر على قضاء الله وقدره لا يجرع ولا ينسحق بل يحسن اللسان عن البياحة والتسخط، ويحبس النفس عن الحرج، ويحبس الجوارح عن نظم الحدود وشن الجيوب هذا هو الصبر على المصائب

أما المعائب فلا يصبر عليها بل يتوب إلى الله ويتر منها، ولكن عند المصائب التي لا دخل لك فيها، بل هي من الله عز وجل فقدرها عليك ابتلاء وامتحاناً أو عقوبة لك على ذنوب فعلتها، كما في قوله تعالى ﴿وَمَا أَسْتَحْصِمُ مِن تَجْصِيكَو لِيَمَّا كَسَبْتُ أَيُّهَا كَرُّ وَيَعْفُوا مِن كَثِيرٍ﴾ [الشورى ٣٠]

إذا حصلت للمسلم مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده أو قريبه أو أحد إخوانه من المسلمين فعليه بالصبر والاحتساب،

قال تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٦-١٥٧] هذا هو الصبر، ومن ذلك الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله عز وجل فإن هذا من المصائب، فعليك أن تصبر على ما ينلق من الأذى في سبيل الخير، ولا تشي عن فعل الخير، لأن بعض الناس يريد فعل الخير لكن إذا واجهه شيء يكرهه قال ليس من الواجب عليّ أن أدخل نفسي في هذه الأمور، ثم يترك التعظيم إن كان معلماً، يترك الدعوة إلى الله، يترك الخطابة إن كان خطيباً مسجداً، يترك إمامة المسجد، يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا لم يصبر على ما ناله من الأذى

وإذا كنت محطاً عليك بالرجوع إلى الحق والصواب، أما إن كنت على حق ولم تحطْ عليك بالصبر والاحتساب، واستشعر أن هذا في سبيل الله عز وجل وأنت مأجور عليه، ونذكر ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأذى وكيف صبروا وحافظوا في سبيل الله حتى صبرهم الله عز وجل

قال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ لَوْ مَا أُرْسِلَ اللهُ حُجَّةٌ عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكُنْتُمْ [١٢]

[١٢] قوله الشافعي هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي سنة إلى جده الرابع اسمه شافع، وهو من قريش، من بني المطلب، توفي سنة ٢٠٤هـ، وهو أحد الأئمة الأربعة، وقال هذه المقالة لأن الله يشي في هذه السورة أسباب الشقاوة وأسباب السعادة.

فأسباب السعادة أن يتصف الإنسان بهذه الصفات الأربع العلم، والعمل، والدعوة، والصبر على الأذى في سبيل الله تعالى، فقامت الحجة من الله على خلقه بهذه السورة، إن الله سبحانه يقول لهم إني قد بينت لكم أسباب السعادة في هذه السورة القصيرة المحتصرة

والقرآن كله والثمة هما تفاصيل لهذه المسائل الأربع، لكن هذه السورة بينت أسباب السعادة مجملة، فقامت بها الحجة على الخلق، وبقيت بصور القرآن والثمة مُفَصَّلَةٌ ومبينة لهذه المسائل الأربع، وليس معنى كلام الشافعي أن هذه السورة تكفي الناس، لو ما أُرْسِلَ اللهُ غيرها لكنها أقامت الحجة عليهم؛ لأن الله يشي فيها أسباب السعادة وأسباب

وقال البحارِيُّ رحمه الله تعالى: ما بالعلم قتل القول والعمل.

والدليل ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَانْسَخِرْ لَدَيْكَ الْقُلُوبُ﴾ [محمد ١٩] فبدأ بالعلم قتل القول والعمل [١٣]

الشفاعة، فلا أحد يوم القيامة يقول أنا لا أعرف أسباب طاعة ولا أعرف أسباب الشفاعة وهو يقرأ هذه السورة المصحصة الوجيزة

[١٣] البحاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البحاري، سنة إلى بحاري بلدة في المشرق، إمام أهل الحديث وجبل الحفظ رحمه الله، صاحب «الصحيح» الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله

قوله. العلم قتل القول والعمل، لأن العمل لا يمع إلا إذا كان مبنيًا على علم. أما العمل المبني على جهل فإد لا يمع صاحبه بل يكون زبلاً وضلالاً عليه يوم القيامة، فلا بد أن يقدم تعلم العلم قبل العمل

قوله والدليل، أي على هذه الترجمه قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَانْسَخِرْ لَدَيْكَ﴾ حيث بدأ بالعلم،

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَمِيزَ﴾ هذا هو العمل، يبدأ سبحانه بالعلم قبل العمل، لأن العمل إذا كان على جهل فإنه لا ينفع صاحبه، يبدأ الإنسان بالعلم أولاً ثم يعمل بما علمه، هذا هو الأساس.



الرسالة الثانية

ثلاث مسائل يجب على المسلم تعلمها والعمل بها

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ [١]

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعْلُمُ ثَلَاثَ هَدْيٍ

الْمَسَائِلِ وَالْعَمَلُ بِهِنَّ [٢]

[١] قوله اعلم هذه الكلمة فلما فيما سبق فيها كلمة يأتى بها للاهتمام بما بعدها ومعناها تعلم واتهم وتنبه

قوله رحمتك الله هذا دعاء لك بالرحمة، وهذا أيضا كما سبق هي أن المعلم يعني أن يتلطف مع المتعلم، وأن يدعو له ويرعاه، فإن هذا من أعظم وسائل التعليم، ولا يعني له أن يقابل المتعلم بالمسوة والشدة والعظمة؛ لأن هذا ينفر عن العلم، ثم هذا أيضا يدل على النصيح من الشيخ رحمه الله، وأنه يريد المصلحة والمنفعة والتوجيه السديد

[٢] قوله أنه يجب الوجوب معروف عند الأصوليين، والواجب هو الشيء الذي لا بد منه، وقد عرفه الأصوليون بأنه ما ينافى فاعله ويعاقب تاركه، وأصل الوجوب في اللغة

الشهوت والاستفراغ، يقال وجب كذا، أي ثبت واستقر،
قال تعالى في الذبي ﴿فَمَا وَجَدْتُمْهُنَّ مُؤْتًى﴾ أي سئمت على
الأرض واستقرت مئة بعد نكبتها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا﴾
(الحج ٣٦)

فقوله يجب، يدل على أن الأمر ليس من باب
الاستحباب، من شاء فعل ومن شاء ترك، بل الأمر من باب
الإكراه من الله سبحانه وتعالى، ليس هذا الإيجاب من قبل
النسب، وإنما هو من قبل الله عز وجل فيما أتى في الكتاب
والله من إلهام العباد بهذه المسائل

فوله يجب على كل مسلم ومسلمة، أي يجب على
كل ذكر وأنثى من المسلمين سواء كانوا أحراراً أو عبيداً أو
ذكوراً أو إناثاً، لأن المرأة تشارك الرجل في كثير من الواجبات
إلا ما حقه الدليل بالرجال، فإنه يختص بهم، مثل وجوب
صلاة الجماعة في المساجد، وصلاة الجمعة، ومثل زيارة
لقبور فإنها خاصة بالرجال، ومثل الجهاد في سبيل الله فإنه
خاص بالرجال.

فما دل الدليل على اختصاصه بالرجال فإنه يختص بهم،
وإلا فمؤ الأصل أن الرجال والنساء سواء في الواجبات

وتحجب المحرمات وسائر النكاليه، ومن ذلك أن تعلم العلم واجب على الرجال والنساء لأنه لا يمكن عبادة الله جل وعلا التي خلفها من أجلها إلا بتعلم العلم الذي يعرف به عبادة ربنا، فهذا واجب على الرجال والنساء أن يتعلموا أمور دينهم لا سيما أمور العقيدة

قوله. ثلاث مسائل لتعلم بها معناه التلقي عن العلماء والحفظ والفهم والإدراك، هذا هو التعلم، ليس المراد مجرد قراءة أو مطالعة حرة كما يسمونها هذا ليس تعلمًا إنما التعلم هو التلقي عن أهل العلم مع حفظ ذلك وفهمه وإدراكه تمامًا هذا هو التعلم الصحيح أما مجرد القراءة والمطالعة فإنها لا تكفي في التعلم وإن كانت مطلوبة، وفيها فائدة لكنها لا تكفي، ولا يكفي الانتصار عليها

ولا يجوز الاعتماد على الكتب كما هو الواقع في هذه الوقت، لأن الاعتماد على الكتب خطير جدًا، يحصل منه مفسدات وتعاليم أضل من الجهل، لأن الجاهل يعرف أنه جاهل ويوقف عند حده، لكن المتعالم يرى أنه عالم فيحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، ويتكلم ويقول على أنه بلا علم عالمًا بالمسألة خطيرة جدًا

الإيمان بأن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا
الأولى أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا [٣]

والعلم لا يزهد من الكتب مباشرة إما الكتب ومائل،
أما حقيقة العلم فإنها تزهد عن الملطاء حيلًا بعد حيل،
والكتب إما هي ومائل لطلب العلم

[٣] قوله الأولى أن الله خلقنا، أي أوجدنا من العدم
صحر من قبل أن يخلقنا لم يكن شيء، كما قال تعالى ﴿قُلْ
أَنْ عَنِ الْإِلَهِ جَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْ نَكَّرَ شَيْئًا مَعْدُودٌ﴾ [الإنسان ١]،
وقال سبحانه ﴿قُلْ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى شَيْءٍ وَفَعَلْ
خَلْقُكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَكُونَ شَيْئًا﴾ [مريم ٩] كان الإنسان قبل
أن يخلق ليس شيء، والذي أوجده وخلق هو الله عز وجل،
فإن دعاه ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْغَيْرُ﴾ [الطور
٣٥]

قوله ورزقنا لما كنا محتاج إلى الرزق إلى الطعام
والشراب والملابس والسكنى والمراكب والمصالح، علم
سبحانه حاجتنا فسر لنا ما هي السماوات والأرض كله
بمصلحتها من أجل نفعنا على هذا الحذاء، ومن أجل أن نستعين
بذلك على ما خلقنا لأجله، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى

قوله ولم يتركها هملأ الهمل هو الشيء المهمل
المشترك الذي لا يُعاب به عاقلة خلقها وورقها لحكمة، ما خلقها
عبث ولا مبدى قال تعالى ﴿الْمَعِشْرَتَانِ الْخَفِيَّتَيْنِ عَنَّا وَآلُكُنُومٍ
إِثْنًا لَا تَأْخُذُون﴾ (المومنون ١١٥)

وقال سبحانه ﴿أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ مُّغْفِرٌ ﴿٣٨﴾ أَلَمْ يَكُنْ عَصَاً مَّخْلُوقًا ﴿٣٩﴾﴾ (الحاقة ٣٨-٣٩)

وقال ﴿وَمَا خَلَقْنَا النَّفْسَ وَالْأَرْسَ وَمَا يَسْتَبْهِنُ أَكْثَرُ النَّاسِ
كَفَرًا هَٰؤُلَاءِ لَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا رِجَالًا مَّنْ سَلَوٰا ﴿٢٧﴾﴾ (مر ٢٧)

الله إما خلقها وخلق لها هذه الأوراق والإمكانيات
لحكمة عظيمة وعاية حليمة، وهي أن يعده سبحانه وتعالى،
ولم يخلقها كالبهائم التي خلقت لمصالح العباد ثم تمرت
وتذهب؛ لأنها ليست مكلفة ولا مأمورة ولا مهيبة، إما
خلقها لعبادته كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ لَيْلًا وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ ﴿١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُكْفِّرُوا ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْعَزِيزُ ذُو الْقُوَّةِ الْتَبِيبُ ﴿٣﴾﴾ (الدرياب ٥٦-٥٨) ولم يحفظ لهذه
الحياة الدنيا فقط يعيش فيها، وسرح وسرح، وماكل
وشرب، وشوسع بها وليس بعدها شيء، وإما الحياة

مررعة وسوق للدار الأخرة تنزود فيها بالأعمال الصالحة، ثم يموت ويستقل فيها، ثم يبعث ثم يحاسب ويحازى بأعماله

هذه هي العناية من خلق الجن والإنس، والملائكة على ذلك ثبات كثيرة تدل على البعث والشور والجزاء والحساب، والعمل يدل على هذا، فإنه لا يليق بحكمة الله سبحانه وتعالى أن يخلق هذا الخلق المعجب، وأن يسحر هذا المكون نسي آدم ثم يتركهم يموتون ويذهبون بدون نتيجة هذا عت، فلا بد أن تظهر نتائج هذه الأعمال في الدار الأخرة

ولهذا قد يكون من الناس من يصي عمره في عبادة الله وفي طاعته، وهو في فقر وفي حاجة، وقد يكون مظلوماً مضطرباً عليه ومصيباً عليه ولا يدل شيئاً من جراء عمله في هذه الدنيا، وعلى العكس يكون من الناس كافر ملحد شرير يصرح ويبرح في هذه الحياة، ويتكلم ويتكلم ما يشتهي، ويرتكب ما حرم الله، ويظلم العباد ويعتدي عليهم، ويأكل أموالهم، ويقتل بغير حق، ويتسلط ويتحير ثم يموت على حابه، ما أصابه شيء من العقوبة هل يليق بعدل الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يترك هذا المظلم بدون جزاء، وأن يترك هذا الكافر بدون مجازاة، هذا لا يليق بعدله سبحانه وتعالى،

من أُرْسِلَ إليّ رسولاً [٤]

ولذلك جعل داراً أخرى يجارى فيها المحس بإحسانه،
والمسيء بإساءته، فتظهر فيها ثمرات الأعمال

فالدنيا دار عمل، وأما الآخرة فهي دار جزاء إما حجة وإما
بار، ولم يتركها عملاً كما ينظر الملاحدة ولدهريون، قال
تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُ الدُّنْيَا تَمُوتُ وَتَحْيَا وَمَا يُبَدِّلُهَا إِلَّا الْأَذَىٰ
وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة ٢٤] هذه مقابلة
الملاحدة الذين لا يؤمنون بالموت والبعث والشور

وقد أنكر الله عز وجل عليهم فقال ﴿لَتَجْزِيَنَّهُنَّ كَوَافِرًا﴾ [التوبة ٢٥] وقال تعالى
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا الشُّكَّ أَنْ لَنَجْزِيَنَّهُمْ كَذِبًا أَمْ كَانُوا فِي السَّابِقِينَ
أَعْيُنًا مِثْلَ سَوَاقٍ نَجْزِيَنَّهُمْ وَسَاءَ لَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البقرة ٢٦].

وقال تعالى ﴿أَنْ تَجْزِيَنَّهُنَّ كَوَافِرًا أَمْ كَانُوا فِي السَّابِقِينَ
أَعْيُنًا مِثْلَ سَوَاقٍ نَجْزِيَنَّهُمْ وَسَاءَ لَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [البقرة ٢٨] هذا
لا يمكن ولا يكون أبداً.

[٤] لما كانت العبادة لا يجوز أن يأخذها من استحسان أو
تقليد فلان وعلان من الناس، أُرسل الله إلينا رسلاً نبين لنا

كيف بعده؟ لأن العبادات توقعية لا يحوز أن يعبد الله بشيء إلا بما شرعه.

والعبادات توقعية على ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالحكمة من إرسال الرسل أن يبينوا للناس كيف يعبدون ربهم، ويهتدون عن الشرك والكفر بالله عز وجل هذه مهمة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رده»^(١) فالعبادة توقعية، والدفع مردودة، والحرافات مردودة، والتفديد الأعمى مرفوض لا تؤخذ العبادات إلا من الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ

قوله بل أرسل إلينا رسولاً هو محمد ﷺ خاتم النبيين أرسله ليبيّن لنا أمداً حقيقياً ويبين لنا كيف يعبد الله عز وجل، ويهتدون عن الشرك والكفر والمعدضي هذه مهمة الرسول ﷺ وقد بلغ ابلاغ المبين، وأذى الأمانة، وبصح الأمة عليه الصلاة والسلام، وبين ووضح، وتركنا على المسحجة البيضاء نبيها كهدها لا يبيع عبداً إلا هالك، وهذا كما في قوله

(١) سنن ترمذيه ص ٢٥

فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار [٥]

تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)

[٥] قوله من أطاعه، أي فيما أمر به دخل الجنة

وقوله: ومن عصاه، أي فيما نهى عنه دخل النار.

وهذا مصداقه كثير في القرآن، قال تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقال تعالى ﴿وَمَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء: ٦٤)، وقال سبحانه ﴿وَأَنْ تَطِيعُوا تَهْتَدُوا﴾ (البقرة: ٥٤)، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا أَرْسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (البقرة: ٥٦) فمن أطاعه امتدني ودخل الجنة، ومن عصاه ضل ودخل النار، قال ﷺ: «كلكم يدخل الجنة إلا من أبي» قالوا يا رسول الله ومن يا أبي؟ قال «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي»^(١)

فقوله ﷺ: أبي، أي أبى أن يدخل الجنة وقال ﷺ: «لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي حنت به

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

والدليل قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ رِيعُونَ رَسُولًا ۚ فَتَمَنَّ رِيعُونَ الرَّسُولَ
فَأَعَدَّتْ لَهُمْ آوِيلاً ۖ ﴾ (المرسل ١٥-١٦) [٦]

ولا دخل البراءة^(١) من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل
النار، وهذا هو الفارق بين المؤمن والكافر

[٦] قوله والدليل، أي على إرسال الرسول قوله تعالى
﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ رِيعُونَ رَسُولًا ۚ
فَتَمَنَّ رِيعُونَ الرَّسُولَ فَأَعَدَّتْ لَهُمْ آوِيلاً ۖ ﴾ قوله تعالى: إِنَّا
لنصير راجع إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا ضمير المعظم
عنه، لأنه عظيم سبحانه وتعالى

أرسلنا كذلك هذا ضمير العظمة ومعنى أرسلنا
بعثناه وأرسلنا إليه.

إليكم يا معشر القلوب الحس والإس، خطاب لجميع
الناس، لأن رسالة هذا الرسول عامة لجميع الناس إلى أن
تقوم الساعة.

رسولاً: هو محمد ﷺ

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

شاهدًا عليكم أي عند الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بأنه بلغكم رسالة الله وأقام الحجة عليكم كما قبل تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [الباء ١٦٥] فلا أحد يوم القيامة يقول: أنا لم أذر أي مخلوق للعصاة، أنا لم أذر ماذا يجب عليّ، ولم أذر ماذا يحرم عليّ، لا يمكن أن يقول هذا، لأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد بلغتهم، وهذه الأمة المحمدية تشهد عليهم، قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَحْكُمُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرُّسُلُ عَلَيْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [البقرة ١٤٣]

هذه الأمة تشهد على الأمم الساتية يوم القيامة أن رسلها بلغتها رسالات الله، بما يجدونه من كتاب الله عز وجل، لأن الله قصر علينا ما الأمم الساتية والرسل وما قالوه لأمتهم كن هذا عرساء من كتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ترسل من حكيم حميد

ويكون الرسول وهو محمد ﷺ عليكم، يا أمة محمد شهيدًا، يشهد عليكم عند الله أنه أقام عليكم الحجة، وبلغكم الرسالة، ونصحكم في الله، فلا حجة لأحد يوم القيامة بأن يقول ما يلقي شيء، ما حامي من مذير، حتى الكفار

بشرعون عندما يلقون في البحر، قال تعالى ﴿كَلَّمَآ أَنزَلْنَا مِنَّا
 مَوْجَ سَآئِلَهمْ حَرْقَہَا ۚ إِنَّہٗ بِآيَاتِہٖمۡ خَبِيرٌ ۚ قَالُوا۟ لَیۡلَآ قَدْ جَاءَنَا بَیۡرٌ مَّكَدَّآۙ وَفَلَّآۙ
 زُلَّ لِقَہٗمۡ مِنۡ قُوۡتِہٖ ۚ إِنَّ أُنۡشَرَ إِلَّا بِحَبۡلِ كَیۡفٍ ۝۱۸﴾ [النمل ٨-٩] يقولون
 للرسول انتم في ضلال، فيهم يكذبون الرسل ويصلبوا بهم

هذه المحكمة هي رسال الرسل، إقامة الحجة على
 العباد، وهداية من أراد الله هدايته، الرسل يهدي الله بهم من
 يشاء، ويقسم الحجة على من عابد وجحد وكفر

كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً الرسول هو موسى عليه
 الصلاة والسلام، وفرعون هو الملك الجبار في مصر الذي
 ادعى الربوبية، وفرعون نقب لكل من ملك مصر يقف له
 فرعون، المراد به هنا فرعون الذي ادعى الربوبية ﴿عَقَلْنَا
 رَبَّكُمۡ لَأَعۡلَیۡ﴾ [الدخان ٢٤]

بعض فرعون الرسول هو موسى، كفر به فرعون كما
 فصل الله في كتابه ما جرى بين موسى وفرعون، وما انتهى إليه
 أمر فرعون وقومه.

فأخذي، أي احذر فرعون بالعقوبة وهو أن الله أمره
 هو وقومه في البحر ثم أدخلهم البحر ﴿يَمَّا سَوَّيۡتَہُمۡ أَغۡرَاقَآ

فَأَذِجُوا نَارًا ﴿ اسرَح ١٢٥ ﴾ فصل في النار في البرج، قال تعالى ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ [عامر ٤٦]. هذا في البرج قبل الأخرة، يعرضون على النار صباحًا ومساءً إلى أن تقوم الساعة، وهذا دليل على عذاب الغير، والعياد بالله، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [عامر ٤٦]

هذه ثلاثة عفويات

الأولى: أن الله أعرفهم ومحاسنهم عن آخرهم في لحظة واحدة.

الثانية: أنهم يعدون في الروح إلى أن تقوم الساعة

الثالثة: أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يدخلون أشد العذاب، والعياد بالله.

وكذلك من عصى محمدًا ﷺ فإن ماله أشد من ماله قوم
معهون لأن محمدًا هو أفضل الرسل فمن عصاه تكون عفوته
أشد.

أخذًا وبيلًا، أي شديدًا قريبًا لا هوادة فيه، ﴿ وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْسَ وَحَى طَيْبَةً أَنْ أَخَذَ إِلَيْهِ شَيْدًا ﴾ [مزد ١٠٢]

الله سبحانه وتعالى لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ

فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ

المسألة الثانية أَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ

غَيْرُهُ فِي عِبَادَتِهِ (٧)

فهذه الآية دليل على بَيْتِ اللَّهِ علياً بإرسال الرسول محمد ﷺ، وَأَنَّ الْعَرَضَ مِنْ إِرْسَالِهِ أَنْ يَبْتَغِيَ لِمَا طَرِيقَ الْعِبَادَةِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ كَمَا دَخَلَ آلُ مُرْعُونَ النَّارَ لَمَّا عَصَوْا رَسُولَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَكَذَلِكَ أَعْدَاءُ الرِّسَالِ كُلُّهُمْ هَذَا سَبِيلُهُمْ وَهَذَا طَرِيقُهُمْ

[٧] هذه المسألة متعلقة بالمسألة الأولى لأن الأولى هي بيان وجوب عبادة الله واتباع الرسول ﷺ، وهو معنى الشهادة، معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، والمسألة الثانية أن العبادة إذا حالها شرك فإنها لا تقبل؛ لأنه لا بد أن تكون العبادة حالها توحيد الله عز وجل

فمن عبد الله وعبد معه غيره فعبدته باطنية، وحزبها كعدمها، لأن العبادة لا تنفع إلا مع الإخلاص والتوحيد،

إذا حالطها شرك عدت كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ قَالِ الْوَيْلُ مِنَ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥).

وقال سبحانه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام ٨٨) فالعبادة لا تُسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تُسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا حالط الشرك العبادة أمضعا، كما أن الطهارة إذا حالطها ناقص من موافق الوضوء أمضعا وأبطالها، ولهذا يجمع الله في كثير من الآيات بين الأمر بمعادته والنهي عن الشرك

قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (الباء ٣٦)، وقال ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ (الباء ٥)، وقال عز وجل ﴿وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا﴾ (الباء ٦٥)، وقال رسول الله ﷺ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ (الباء ٦٥)، فقول الله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ فيه أمران فيه نهي الشرك، وفيه إثبات العبادة لله تعالى

وقال تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِلَهًا﴾ (الإسراء ١٣)، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا لِّبِاعْبُدُوا اللَّهَ وَانْحَرِبُوا الْأَلْطَغُوتَ﴾ (اسحل ٣٦)، فمن بين عبادة الله واجتناب

«الطاعوث» لأن عبادة الله لا تكون عبادة إلا مع اجتناب الطاعوث، وهو الشرك، قال تعالى ﴿عَسَى يُكْثِرُوا لَكُمْ أُتْرُقًا وَيُؤْثِمُوا رَبَّهُمْ فَأَنْتُمْ أَنْتَبَهُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِمْ لَيُؤْثِمُنَّكُمْ فَأَنْتُمْ مُجْرِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

«الإيمان بالله لا يكفي إلا مع الكفر بالطاعوث، وإلا فالمشركون يؤثمون بالله لكنهم يشركون به، ﴿وَمَا يُلْمُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ يَأْتُوا إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] بين سبحانه أن عبدهم إيمان بالله ولكن يصدونه بالشرك والعباد بالله.

هذا معنى قول الشيخ، أن من عبد الله وأطاع الرسول فإنه لا يشرك بالله شيئاً، لأن الله لا يرعى أن يُشرك معه أحد في عبادته.

قال رحمه الله فيما يرويه عن ربه عز وجل «قال الله تعالى أنا أعلم الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك به معي عبدي تركته وشركتي»^(١) هناك قوم يصلون ويشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويكثرون من ذلك، ويصومون ويحجون لكنهم يدعون الأصححة، ويمدون الحسن والحسين والبدوي

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

لا مَلِكَ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ [٨]

وَعَلَانَا وَعِلَانَا، وَيَسْتَعْبَثُونَ بِالْأَمْوَاتِ، هَؤُلَاءِ عِبَادَتُهُمْ بِاطْلَعِ،
لَأَنَّهُمْ يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَحْلُطُونَ الْعِبَادَةَ بِالشَّرْكِ،
فَعَمَلُهُمْ بِاطِل حَاطٌ حَتَّى يَوْحِدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَحْضُرُوا لَهُ
الْعِبَادَةَ وَيَتْرَكُوا عِبَادَةَ مَا سِوَاهُ

وَالَا لِمَنْهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، فَيَجِبُ التَّشْبِيهُ لِهَذَا، لِأَنَّ اللَّهَ
لَا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ كَانَتْ مِنْ كَانٍ، لَا يَرْضَى
سِجَانَهُ بِمُشَارَكَةِ أَحَدٍ مَعَهُ كَانٍ، لَكِنَّا يَقُولُ أَحَدٌ أَمَا أَنْتَ مِنْ
الْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ وَالطَّيِّبِينَ شُعَاءَ، أَمَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ
وَالْأَوْتَانَ كَمَا هُوَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، أَمَا أَنْتَ هَؤُلَاءِ شُعَاءَ لَا
أَعْبُدُهُمْ، فَيَقُولُ لَهُ هَذِهِ مَقَالَةُ الْجَاهِلِيَّةِ اتَّخَذُوهُمْ شُعَاءَ عِندَ
اللَّهِ لَأَنَّهُمْ صَالِحُونَ وَأَوْلِيَاءُ مِنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِهَذَا

[٨] قَوْلُهُ ' لَا مَلِكَ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ' الْمَلِكُ الْمُقَرَّبُ هُوَ
أَفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ مِثْلُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ
وَمَنْ حَوْلَهُ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ مِنَ اللَّهِ سِجَانَهُ وَتَعَالَى،
فَمَعَ قَرَبِ الْمَكَانِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَرَبِ الْعِبَادَةِ وَالْمَكِينَةِ
عِندَ اللَّهِ، لَوْ أَشْرَكْتَهُمْ أَحَدٌ مَعَ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى
بِأَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، كَمُحَمَّدٍ ﷺ

وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج ١٨] [٩]

وعيسى وروح وإبراهيم أولي الحرم، لا يرضى أن يُشرك معه أحد ولو كان من أفضل الملائكة، ولو كان من أفضل البشر فهو لا يرضى أن يُشرك معه أحد من الملائكة ولا من الرسل، فكيف بميرهم من الأولياء والصالحين، فعير الملائكة والرسل عن باب أولى أن لا يرضى الله بشاركتهم معه في العبادة، وهذا ردٌّ على أولئك الذين يزعمون أنهم يتحدون الصالحين والأولياء شعاء عبد الله ليقربوهم عبد الله رضى، كما قال أهل الجاهلية ﴿مَا سَبِّدْهُمْ إِلَّا لِقُرْبَىٰ إِلَىٰ اللَّهِ يَرْفَعُ رُفْقًا﴾ [الزمر ٣] والآن بهم يعتقدون أن هؤلاء لا يخلقون ولا يرفعون ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا شوراً، وإنما قصدهم التوسط عبد الله عز وجل، ولذلك صرخوا لهم شيئاً من العبادة تقرباً إليهم فيحيوا للقبور، ويموتوا للقبور، واستعاضوا وهنقوا بالأموال

[٩] لا يرضى الله بمشاركة أحد كائناً من كان، وهذا صريح في القرآن والسنة، لكن لعمري يغفل ويتدبر، ويبعد التقليد لأعمى، والتعلل الباطل، ويشبه نفسه، والدليل على أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد كائناً من كان قوله تعالى ﴿وَأَنَّ

الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أُخْرَىٰ) المساجد هي بيوت الله، وهي المواطن المخصصة للصلاة، وهي أحب البقاع إلى الله، وهي بيوت أدن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يجب أن تكون هذه المساجد موطئة لعبادة الله وحده، لا يحدث فيها شيء لغير الله، فلا تُبنى فيها القبور والأضرحة، لأن النبي ﷺ لعن من فعل ذلك، وأمر أن هذا هو فعل اليهود والنصارى، وبهاذا من ذلك هي آخر حياته وهو في سكراب الموت هذه الصلاة والسلام بقوله «ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد - هذا يقوله وهو في سياق الموت - ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»^(١) ويقول ﷺ «لعن الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢)

والمساجد يجب أن تظهر من آثار الشرك الوثنية، وألا تقام على القبور أو يبنى فيها الأموات بعد موتها، بل تكون مواطن لعبادة الله وحده، تقام فيها الصلاة، ويذكر فيها اسم

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢) من حديث محمد بن عبد الله بن يحيى رضي الله

عنه

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥، ١٣٦) ومسلم (٥٣١) من حديث عائشة

رأس عباس رضي الله عنهما

الله، ويبنى فيها القرآن، ويقام فيها الدروس الدعة، ويعتكف فيها للعبادة هذه هي وظيفة المساجد

أما أن تُقام فيها أوثانُ تُعد من دون الله فهذه ليست مساجد، هذه مشاهد شرك وإن سماها أهلها مساجد، لأن الله يقول ﴿وَأَنَّ أَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ أي لا لعبادة، ولأن المساجد هي محل اجتماع الناس وثلاثتهم، يجب أن تكون طاهرة من الشرك والبدع والحرافات، لأن الناس يتلقون بها العلم والعبادة، فإذا وجدوا في المساجد شيئاً من الشرك والحرافات تأثروا بذلك وشروء في الأرض، يجب أن تكون المساجد مطهرة من الشرك وأعظمها المسجد الحرام كما أمر الله حل وعلا يطهروه، قال تعالى ﴿وَلْيَذْكُرُوا أَنَّهُمْ إِلا لِلَّهِ عِبَادَةٌ مَّكَانَ الْكَافَّةِ لَأَلَّا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَلَمْ يَهْتَرِ بِتَيْبِ الْغَنَائِمِ وَالْفَتْمِيمِ وَأَرْصَحَ الْخُورِ﴾ (الحج ٢٦). طهروه من حاد^٩ طهره من الشرك والبدع والحرافات كما أنه أيضاً يطهر من الحساسات والقادورات

فقوله تعالى لا تدعوا لاناية، وتدعو فعل مضارع مجزوم بلا النافية وعلامة جزمه حذف النون، لأن أصله تدعون فدخل عليه الجازم وهو لا النافية

فلا تدعوا أيها الناس مع الله أحداً، لا تستعينوا بأحد مع الله، كأن يقول يا الله يا محمد، يا الله يا عبد القادر، أو يقول يا عبد القادر يا محمد أو ما أشبه ذلك، فإن الله لا يرضى بذلك ولا يقبله.

وقوله تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ مكررة في سياق الهي فنعلم كل أحد، لا يستشي أحد لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صمم، ولا وثن، ولا قبر، ولا شبح، ولا ولي، ولا حي، ولا ميت، كائنًا من كان.

فهو نعم كل من دُعي من دون الله ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الحج ١٨] عدلت هذه الآية على أن العبادة لا تنفع إلا مع التوحيد، وأنها إذا حاطت بها الشرك فإنها تظلم، وتكون وبالاً على صاحبها، ثم قوله تعالى ﴿وَأَنَّ السَّجَّادِينَ﴾ يجب أن يبنى بنية حائصة لا يكون الفصد من بائها الرياء والسمعة وتحليل الذكر كما يقولون، وتكون آثاراً إسلامية، هذا كله باطل.

المساحد تبنى للعبادة وبغض العبادة، وتكون البية فيها حائصة لله عز وجل، وأيضاً تبنى من كسب طيب، لا تبنى من

الولاء والبراء

الثالثة: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ، لَا يَحُورُ لَهُ مُوَالَاةٌ مَنِ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبَ (١٠)

كسب حرام لأنها لله عز وجل، وإإن الله لا يقبل إلا طيباً^(١) فسي المساجد من بعة حلال، وتكون بية بابيها حاضرة لوحه لله عز وجل لا يريد من ساءه مدحاً من الناس أو تخليداً لذكره أو رياء أو سمعة، فإن ساء المساجد عبادة، والعبادة يجب أن تكون حاضرة لله عز وجل

(١٠) لا يحور لمن فعل ذلك موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب.

هذه مسألة الولاء والبراء وهي تبعة مفتوحيد، من حقوق التوحيد الولاء لأولياء الله والبراء من أعداء الله، والموالاة والولاء بمعنى واحد، والولاء يراد به المحبة بالقلب، ويراد به المصاهرة والمعاونة، ويراد به الإثبات والعقل في الديارات.

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

فالمسلم يوالي أولياء الله بمعنى أنه يحضر محبته على أولياء الله ويناصرهم فالمسلم يكون مع المسلمين بعضهم أولى ببعض كما قال تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَيْنَهُمْ أُولَىٰ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأعراف ٧٥] فالمتعاضل في ديار الحطأ يكون بين المسلمين، وهو ما سمي بالتمكافل، كل هذا يدخل في الولاء، فلا يكون الولاء بين مسلم وكافر، والمحنة والمصرة والمبرات والعقل وولاية الكناح وولاية القضاء إلى غير ذلك فلا يكون ذلك بين مسلم وكافر، وإنما يكون هذا بين المسلمين؛ لقوله تعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [الباء ١٨١] هكذا يجب أن تتميز المؤمنين عن الكفار، فلا يجوز لهم وشدة الله وأطاع الرسول ﷺ موالاة من حاد الله.

والمحاذة معناها أن يكون الإنسان في جانب، والله ورسوله والمؤمنون في جانب، ويكون المحاد في جانب الكفار هذه هي المحادة.

قوله. ولو كان أقرب قريب، أي: نسأ، فإذا كان قريبك محاداً لله ورسوله يجب عليك محاذته ومقاطعته، ومن كان ولياً لله ورسوله وجب عليك أن تحته ونواله ولو كان

وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ
وَأَنْبِيَاؤُهُمْ أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ
وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١٠] وَأَمَّا قَوْلُهُ
تَعَالَى ﴿وَلَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ وَأَنْبِيَاؤُهُمْ
أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ
وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١٠] فَهُوَ
يَعْنِي أَنَّ قَوْمًا كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ وَأَنْبِيَاؤُهُمْ
أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ
وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ [الأنعام: ١١٠] وَهَذَا
قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ
وَأَنْبِيَاؤُهُمْ أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ
وَأَلْوَانُكُمْ وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١٠]

بعيداً من السب عمت، ولو كان أعجباً أو أسود أو أبيض أو
أحمر يحب عليك أن تواليه، وأن تحب، سواء كان من بلدك
أو من أقصى الشرق أو من أقصى الغرب، قال تعالى
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ١٦] أي
بينهم المحبة والتناصر والتعاون، وبينهم الألفة هذا بين
المؤمنين.

[١١] قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ
وَأَنْبِيَاؤُهُمْ أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ
وَأَلْوَانُكُمْ وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١٠]
يَعْنِي أَنَّ قَوْمًا كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ وَأَنْبِيَاؤُهُمْ
أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ وَأَلْوَانُكُمْ
وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ [الأنعام: ١١٠] وَهَذَا
قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ
وَأَنْبِيَاؤُهُمْ أَتَىٰ بِكُمُ الْبَغْيُ إِذْ نَبَتْ لَهُمْ أَرْوَاحُكُمْ
وَأَلْوَانُكُمْ وَكُنْتُمْ أَكْثَرًا عَلَيْهِمْ كَاذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١٠]

قال ابن القيم رحمه في الكافية الشافية

أتجبت أعداء الحبيب وتدبني

حباً له ما داك في إمكان

وكذا تُعادي حادداً أحانه

أيسر المحنة يا أبا الشيطان

فهذا لا يمكن أبداً أن يحب الكفار، يقول أبا أحب الله

ورسوله لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا عُقْبَىٰ وَعَدُوَّكُمْ

أُولَٰئِكَ تَلَقَّوكم بِالْعَنَافَةِ﴾ (المسح ١٠) إلى قوله تعالى

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا

نُفَرِّقُكُمْ وَمَعَاضِدِينَ مِن دُونِ أَخُو كُنَّا كُفْرًا يَكْفُرُونَ وَيَسْأَلُكُمْ الْمُتَدَوِّ

وَالْمُنْفَكَّةُ أَبَدًا عَنْ تَوْبَتِهِمْ وَأَنَّهُ وَتَعَدُّ﴾ (المسح ١٤) وقوله

﴿وَمَا كُنَّا مُسْتَعِينِينَ﴾ (التوبة ١١١) هذه صلة إبراهيم نرا من أبيه، أقرب الدس

إليه لم نبي له أنه عدو الله

وذلك الآية أيضاً على أن محبة الكافر تنافي مع الإيمان

بأنه واليوم الآخر، إما مع أصله أو مع كماله، لكن إن كانت

محبتهم معها تأيد لعدوهم وكفرهم فهذا خروج عن

الإسلام، أما إن كان مجرد محبة من غير ماصرة لهم، فهذا يعتبر منقلاً للإيمان وضعفاً للإيمان

فإن إن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه لما قتل أبيه يوم بدر، لأن أبيه كان على الكفر، وكان يريد أن يقتل ابنه أبا عبيدة، فقتله أبو عبيدة رضي الله عنه، لأنه عدو الله ولم يسمع أنه أبوه، ثم يسمع ذلك من قتله عصباً لله سبحانه وتعالى

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أي الذين يتعدون عن محبة ومودة من حاد الله ورسوله.

قوله تعالى ﴿صَكَّبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي أثبت الله في قلوبهم ورسخ الله في قلوبهم الإيمان

قوله تعالى ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ التأييد معناه التقوية، قواهم بروح منه، والروح لها عدة إطلاقات في القرآن، منها الروح التي هي النفس التي بها الحياة، ومنها الوحي كما في قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحَنَا﴾ (عنورى ٥٦) ومنها جبريل عليه السلام أنه روح القدس، والروح الأمين

قال تعالى ﴿ قُلْ سَرَّهٖ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ
لِيُثَبِّتَ الْإِيمَانَ بِمَا سُورُوا وَهَدَىٰ وَقَسَمَ بِالْمُتَّبِعِينَ ﴾ [الحل
١٠٦] وقال تعالى ﴿ سَرَّ بِرُوحِ الْإِيمَانِ ﴾ [الشعر، ١٩٣]
ومعناها هي هذه الآية وهي القوة

وأيدهم بروح مه، أي قوة من سبحانه وتعالى، قوة
إيمان في الدنيا، وفي الآخرة ﴿ وَبَدَّعْنَاهُمُ حَشَنَ ﴾ جمع حنة،
والجنة في اللغة البستان، سمي جنة لأنه مجس بالأشجار،
أي مستر ومعطى بالأشجار الملحة، لأن الجنة ظلال
وأشجار وأنهار وقصور، وأعلاها وسفها عرش الرحمن
سبحانه وتعالى.

قوله تعالى ﴿ نَحْنُ بِرُوحِ الْإِيمَانِ حَقِيقِينَ بِهَا ﴾ أي
بأنهم فيها لا يتحولون عنها، قال تعالى ﴿ لَا يَمُوتُونَ مَمَاتًا وَلَا ﴾
[الكهف، ١٠٨] لا يموتون من موت ولا يحرقون من أحد
يخرجهم ويحرقهم، مثل ما هي الدنيا، قد يكون الإنسان في
الدنيا في قصور لكن لا يسلم من الموت فيخرج منها، ولا
يسلم من الأعداء ينسلطون عليه ويحرقونه، الإنسان في
الدنيا دائماً حائف.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَالْعَصَىٰ لَهُ الْإِطَاعُ ۚ إِنَّ اللَّهَ ذُو الْعَرْشِ الْعَظِيمُ﴾ : لما أحصوا أفرادهم من الكفار وعادوهم معهم الله الرضا به سبحانه وتعالى حرراً لهم، فهم غُصِّوا بأعضائهم لأقاربهم الكفار غُصِّوا برضا الله سبحانه وتعالى، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ بَشِيرٌ نَذِيرٌ ۚ فَأَنكَرُوا بَأْسَ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا لِحُكْمِهِ عُتُوًّا ۚ أَلَمْ أُفَصِّلْ لَكَ آيَاتِي ۖ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّكْذِبُونَ﴾ [المائدة ١٩] أي جماعة الشيطان وأنصار الشيطان، أما هؤلاء فهم أنصار الرب

فهذه المسألة تتعلق بعداوة الكفار وعدم موالاتهم، وهي لا تقتضي أبداً قاطع الكفار في الأمور والمصالح الدنيوية بل يستثنى من ذلك أمور

الأول أنه مع بعضائهم وعداوتنا لهم يجب أن مدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، يجب أن مدعوهم إلى الله ولا سركهم ونقول هؤلاء أعداء الله وأعدائنا، يجب علينا أن مدعوهم إلى الله لعل الله أن يهديهم، فإن لم يستجيبوا فلما صفائهم مع القدرة، إما أن مدعوا في الإسلام، وإما أن يبدلوا الحربة إن كانوا من اليهود والنصارى أو المجوس،

وهم صنفون، ويحصرهم لحكم الإسلام، ويتركون على ما هم عليه.

لكي شرط دفع الجزية وحضورهم لحكم الإسلام، أما إن كانوا غير كتابيين وغير محروس فهي أحد الجزية منهم خلافاً بين العلماء

الثاني لا مانع من مهادنة الكفار عند الحاجة، إذا احتاج المسلمون لمهادنتهم لكون المسلمين لا يقتلون على قتالهم، ويحشون على المسلمين من شرهم، لا بأس بالمهادنة إلى أن يقوى المسلمون على قتالهم أو إذا طلبوا هم المهادنة ﴿وَمَنْ جَاهِلًا فَاسْلُكُوا سَبِيلًا﴾ [الأعداء ٦١] يهادنون لكن ليس هدنة دائمة إنما هدنة مؤقتة مؤجلة إلى أجل حسب رأي إمام المسلمين لما فيه من المصلحة

الثالث لا مانع من مكافئتهم على الإحسان إذا أحسنوا للمسلمين، لا مانع أن يكافؤوا على إحسانهم، قال الله تعالى ﴿لَا يَهْجُرْ أَفْئَةٌ عَنِ الْإِيمَانِ لَمْ يُقَاتِلُكُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَمُوتْ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لَمْ يَمُوتْ وَتَوَلَّوْا إِلَيْكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ بَيْنَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الممتحنة

وأبنا الوالد الكافر يحب على ولده المسلم أن يترأ،
 لكنه لا يطعمه في الكفر لقوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
 بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا إِنَّهُ وَقَارٌ عَلَى وَهْيٍ وَفَصَّلْنَا فِي عَاتِقِ أَبِي تَشْكُرُنِي
 وَلَوْلَايَتِي لَأَنَّ الْكَافِرَ ۝ وَبِمَا كَفَرَ الْكَافِرُ أَكْرَهْتَنِي أَنْ أَتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
 عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَتُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَفْرُوقَاتٌ وَأَنبَغَ سَبِيلٌ مِّنْ أُنَاقٍ
 إِلَيَّ﴾ (النساء: ١٨-١٩) الوالد له حق وإن كان كافرا، لكن لا
 تحبه المحبة القلبية، بل تكافته على تربيته لك، وأنه والد،
 وله حق تكافته على ذلك.

خامسا تبادل التجارة معهم والشراء منهم، شراء
 الحاجات منهم واستيراد الصانع والأسلحة منهم بالنسي لا
 بأسي بذلك، وقد كان النبي ﷺ يتعامل مع الكفار، وكذلك
 عمل ﷺ أهل حبر وهم يهود على أن يردعوا الأرض بحجره
 مما يخرج منها، ليس هذا من الموالاة والصحة، وإنما هو
 تبادل مصالح يجب أن يعرف هذه الأمور، وأنها لا تدخل
 في الموالاة وليس معها

كذلك الاستدانة منهم، النبي ﷺ استدان من اليهودي
 طعاما، ووهى ذرعه هذه ومات ﷺ وذرعه مرفوعة عند
 يهودي بطعام اشتراه لأهله لا مانع من هذا لأن هذه أمور

اعلم أرشدك الله لطاعته [١٦]

ديوية ومصالح ولا تدل على المحبة والمودة في القلوب فلا بد أن يفرق بين هذا وهذا، لأن بعض الناس إذا سمع بصوص العداوة للكفار وعدم محبتهم، قد يفهم أنه لا يتعامل معهم، ولا يتصل بهم بهائناً، وأن تكون مقاطعة بهائية لا هذا محدد بأحكام ومحدود وشروط معروفة عند أهل العلم مأخوذة من كتاب الله وشبه رسوله ﷺ

سادساً أباح الله التزوج من ساء أهل الكتاب بشرط أن يكن عفيفات في أعراضهن، وأباح الله لأكل دنانحهم سابقاً لا بأس بإحابة دعوتهم، وأكل طعامهم المباح كما فعل النبي ﷺ.

ثامناً الإحسان إلى الجيران من الكفار لأن لهم حق الجوار.

ثامناً لا يجوز ظلمهم قال تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ كِتَابُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَقُولُوا أَقْرَبُ إِلَهُكُمُ الْمُشْرِكُونَ﴾ (المائدة: ٨).

[١٦] قوله: اعلم أرشدك الله هذا كأنه بديهة رسالة ثالثة لأنه مضى رسالتان الرسالة الأولى المسائل الأربع التي

نصصها سورة العصر، والرسالة الثانية المسائل الثلاث
التي سبقت، والرسالة الثالثة هي هذه، وستأتي الرسالة
الرابعة وهي ثلاثة الأصول فقولہ رحمہ اللہ اعلم تقدم
الكلام على لفظها وبيان معناها والمقصود من الإتيان بها.

قوله أرشدك الله عدا دعاء من الشبح رحمه الله لكل
من يقرأ هذه الرسالة متعمهاً لها يطلب العمل بها بأن يرشده
الله، والإرشاد هو الهداية إلى الصواب والتوفيق للمعلم النافع
والعمل الصالح، والرشد حد الحى، قال تعالى ﴿قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْقَيِّ﴾ [غرفة ٢٥٦] وقال تعالى ﴿وَإِنْ يَمُوتَا
حَتَّىٰ لَا يَتَّخِذُوا مِنَّا وَثِقًا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا﴾ [الأعراب ١١٦] والرشد هو دين الإسلام، والحي
دين أبي جهل وأمثاله

قوله أرشدك الله لطاعته عدا دعاء عظيم، فإن المسلم
إذا أرشده الله لطاعته فقد سعد في الدنيا والآخرة، والطاعة
هي امتثال ما أمر الله به واحتساب ما نهى الله عنه، هذه هي
الطاعة، أن يطيع الله في أوامره فتعملها، وفي نواهيه فتجتنبها
امتثالاً لأمر الله، وامتعاء وجه الله عز وجل نرجو ثوابه،
وسحاب عظمه، فمن وُثِقَ لطاعة الله وأرشد لدعوة الله فإنه
يسعد في الدنيا والآخرة

الرسالة الثالثة

الْحَنِيفِيَّةُ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ

تعريف الحنيفة

إِنَّ الْحَنِيفِيَّةَ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ [١٢]

[١٢] قوله إِنَّ الحنيفة ملة إبراهيم، أي الذي يجب أن تعلمه وأن تعرفه أن الحنيفة ملة إبراهيم، والحنفُ هي الفلعة: الميل.

بمعنى الحنيفة هي الملة المائدة عن الشرك إلى التوحيد، وإبراهيم عليه الصلاة والسلام كان حنيفاً مسلماً، حنيفاً، أي مائلاً عن الشرك ومعرضاً عنه إلى التوحيد والإخلاص لله عز وجل، قال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحل ١٢٠) والحنيف من أوصاف إبراهيم عليه السلام بمعنى أنه معرض عن الشرك ومائل عنه مائلاً إلى التوحيد متوجه بكل وجهته إلى التوحيد والإخلاص لله عز وجل، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ لَوْحِيَ إِلَيْكَ أَنْ أَنْبِئْ بِمِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (الحل ١٢٣) وقال

سبحه ﴿ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَتُوبَ وَلَا تَصْرِيحًا وَلَكِنْ كَانَتْ حَبِيبًا تُسَبِّحُ
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران ٦٧]

هذه أوصاف إبراهيم - عليه السلام - العظيمة منها أنه
كان حبيباً وأن ملكه الحبيبة، وهي الملة الحالصة لله عز وجل
التي ليس فيها شرك، وقد أمر الله به ﷺ أن ينسج هذه الملة
بنوره ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَبِيبًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التحل ١٢٣] وأمرنا نحن كذلك أن ننسج ملة
إبراهيم عليه السلام قال تعالى ﴿ هُوَ لَتَعْتَمِدَنَّكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الْيَمِينِ مِنْ حَرَجٍ يَتْلُو آيَاتِهِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْقِسْلِيَّينَ ﴾
[التح ٢٨] وهي دين جمع الرسل

وسكن لكون إبراهيم عليه الصلاة والسلام أصل الأبياء
بعد نبينا محمد ﷺ لأن في سبيل الدعوة إلى التوحيد من
التعذيب ومن الامتحان ما لم يلقه غيره، فصار على ذلك،
ولكونه أب الأبياء، من الأبياء الذين جازوا من بعده كلهم
من دينه عليه الصلاة والسلام، فالحبيبة ملة جميع الأبياء،
وهي الدعوة إلى التوحيد، والهي عن الشرك، هذه ملة
جميع الرسل، لكن لما كان لإبراهيم مواقف خاصة نحو هذه
الملة سنت إليه ولمن جاء بعده، والأبياء كلهم من بعده

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ [١٤]

كسوا على ملة إبراهيم، وهي ملة التوحيد والإخلاص لله
عز وجل.

ما هي هذه الملة التي أمر نبيًا ﷺ باتباعها وأمرنا
باتباعها؟ يجب علينا أن نعرفها، لأن المسلم يجب عليه أن
يعرف ما أوجب الله عليه من أجل أن يمتثل، ومن أجل أن لا
يحل به، لا يكفي الانساب بدون معرفة، لا يكفي أن يتب
للإسلام وهو لا يعرفه، ولا يعرف ما هي نواصير الإسلام،
وما هي شرائع الإسلام، وأحكام الإسلام، ولا يكفي
الانساب لملة إبراهيم وأنت لا تعرفها، وإذا سنت عنها
تقول لا أدري، هذا لا يجوز، يجب أن نعرفها جيدًا من
أجل أن نسير عليها على بصيرة، وألا نحل شيء منها

[١٤] قوله، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ هذه ملة
إبراهيم، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ تجمع بين الأمرين
العبادة والإخلاص، فمن عبد الله ولم يخلص له الدين، لم
تكن عبادته شيئًا، فمن عبد الله، فصام وحج وصلى واعتصر
وتصدق وزكى وفعل كثيرًا من الطاعات لكنه لم يخلص لله
عز وجل هي ذلك، إما لأنه فعل كل ذلك رياء أو سمعة أو أنه

حلف عمله بشيء من الشرك كدعاء غير الله، والاستعانة بغير الله، والتدبير لغير الله، فإذن هذا لم يكن محضاً في عبادته بل هو مشرك، وليس على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم يفعلون في الشرك الأكبر من دعاء غير الله، وعبادة القصور والأضرحة والتدبير لها واستدراج لها والطواف بها والشرك بها، والاستعانة بالأموات وغير ذلك، وهم يقولون: إنهم مسلمون هؤلاء لم يعرفوا ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي عليها سبهم محمد ﷺ لم يعرفوها، أو عرفوها وحاضرها على بصيرة - والعياد بالله - وهذا أشد

فعله إبراهيم لا تقبل الشرك بأي وجه من الوجوه، ومن حلف عمله بشرك فليس على ملة إبراهيم، وإن كان يتسبب إليها، ويرغم أنه مسلم، فالواجب أن تعرف ملة إبراهيم، وأن تعمل بها، وأن تشرعها بأن تعبد الله محضاً له الدين. لا يكون في عبادتك شيء من الشرك الأصغر أو الأكبر

هذه ملة إبراهيم عليه السلام الحقيقية التي أمرت من الشرك بالكلية وأقبلت على التوحيد بكلينها، أن تعبد الله محضاً له الدين

وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها {١٥}

هو معنى قول الشيخ حنفيهم لها وأمرهم بها، جمع الأمرين في قوله: وبذلك أمر الله جميع الناس وحنفيهم لها، كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾ بقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ الله هو الخالق هو الذي خلق الأشياء كلها، ومن ذلك أنه خلق الجن والإنس، وأعطاهم العقول، وكلفهم بعبادته وحده لا شريك له، حضهم بالأمر بعبادته، لأن الله أعطاهم عقولاً وأعطاهم ما يعمرون به بين الضر والنفع، والحق والباطل، وخلق الأشياء كلها لمصالحهم ومنفعتهم، قال تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا كُلَّ شَيْءٍ لِّلْعَبَادِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا يَوْمَئِذٍ﴾ [سجدة: ١٣] كل مسخر لبي آدم من أجل أن يستعينوا به على ما خلقوا من أجله، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾.

والجن عالم من عالم الغيب لا يراهم، وهم مكلفون بالعبادة، ومسيبون عن الشرك وعن المعصية مثل بني آدم، لكن يختلفون عن بني آدم في الحقيقة.

أما من ناحية الأوامر والنواهي فهم مثل بني آدم مأمورون ومسيبون، والجن عالم من عالم الغيب لا يراهم لكنهم

موجودون، والإنس هم هو آدم، سموا بالإنس لأن بعضهم
 بأس ببعض، يمشعون ويتكلمون، والجن سموا جاً من
 الاحتياض وهو الاحتباء، ومنه الجبن في الطر؛ لأنه محتب
 وَجْهَةُ اللَّيْلِ إِذَا سَوَّرَهُ، وَالْمَجْنُونُ ما يتخذ للوقاية به في
 الحروب من السهام وغيرها، فهو يستر حامله، فالاحتياض
 والمجان هو الشيء المحمي المستتر، فالجن مستترون عما لا
 نراهم.

وَهُمْ عَالَمٌ مَوْجُودٌ مِنْ أَنْكَرِهِمْ فَهُوَ كَامِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُكَذَّبٌ فِي
 وَرَسُولِهِ وَلِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ
 يَخْلُقِ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعَادَتِهِ لَأَ شَيْءٍ آخَرَ

فهو لم يخلقهم لأجل أن ينعموه أو يضرهم، أو يعثر بهم
 من دلة، أو ينكر بهم من قلة، لأنه عني عن العالمين، وما
 خلقهم لحاجة إليهم، ما خلقهم لأجل أن يورثوه أو يكتسبوا
 له الأمور ﴿ مَا أُرِيدُ بِهِمْ يَنْزِلُ وَرِثَةً أَنْ يَعْطُوا ﴾ [٥٨-٥٩] هُوَ
 ﴿ أُرِيدُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَرِثَةُ ﴾ [الدرجات ٥٨-٥٩]

فإنه ليس بحاجة إلى الخلق، وإنما خلق الجن والإنس
 لشيء واحد فقط وهو أن يعبده، وهو ليس بحاجة إلى
 عبادتهم وإنما هم المحتاجون إليها؛ لأنهم إذا عبدوا الله

ومعنى يَعْبُدُونَ، يُوَحِّدُونَ [١٦]

أكرمهم وأدخلهم الجنة، مصلحة العبادة راحة إليهم،
ومصره المعصية عائدة إليهم، أما الله حل وعلا لا تصرفه
طاعة المطيع ولا معصية العاصي، قال سبحانه وتعالى
﴿إِنْ تَكْفُرُوا لَنَا فِي الْأَرْضِ جَبَاً عَنْكَ اللَّهُ لَنْ يُجِيبَكُمْ﴾
(إبراهيم ٨) الله لا تصرفه معصية العاصي ولا تبعه طاعة
المطيع وإنما هذا راجع إلى الخلق أنفسهم، إن أطاعوه
استمعوا، وإن عصوه تصرفوا بمعصيته

[١٦] قوله ومعنى يعبدون يوحّدون، أي يهرّدوني
بالعبادة، فالعبادة والتوحيد بمعنى واحد التوحيد يُفسّر
بالعبادة، والعبادة تُفسّر بالتوحيد ومعناها واحد، فهي هذا
ردّ على من فسّر التوحيد بأنه الإقرار بأن الله هو الخالق
المرزوق المحيي المميت المدبر، فهذا ليس هو التوحيد الذي
خُلِقَ الخلق من أجله، وإنما خُلِقَ الخلق من أجل توحيد
العبادة، وهو توحيد الألوهية

أما من أقر بتوحيد الربوبية فقط فإنه ليس موحدًا وليس
من أهل الجنة، بل هو من أهل النار لأنه لم يأت بالتوحيد
الذي خُلِقَ من أجله والعبادة.

أعظم ما أمر الله به التوحيد

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ التَّوْحِيدَ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللَّهِ

بِالْعِبَادَةِ (١٧)

[١٧] قوله رحمه الله أعظم ما أمر الله به التوحيد: هذا مهم جداً، إن التوحيد أعظم ما أمر الله به، كل الأوامر التي أمر الله بها كلها بعد التوحيد

الدليل على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد قوله تعالى

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ إلى آخر الآية [الله

[٣٦]

هذه الآية فيها عشرة حقوق؛ ولهذا تسمى آية الحقوق العشرة، أول هذه الحقوق حق الله سبحانه ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ هذا هو الحق الثاني، ﴿وَبِإِخْوَانِكُمْ إِحْسَانًا﴾ هذا هو الحق الثالث، ودور القرين هم الذين تجمعتم بهم فرائض من جهة الأب أو الأم، كالأب والأجداد، والأعمام والعمت، والأخوال والحالات، والإخوة والأخوات، وأولاد الإخوة والأخوات، وأولاد الأعمام والعمت، هؤلاء هم دور القرين، لهم حق القرابة.

﴿وَالَّذِينَ﴾ الآية من المسلمين، وهم كل من مات أبوه وهو صغير ولم يبلغ وصار بحاجة إلى من يسدَّ نَسْبَ أبيه في رعاية هذا الطفل تربية وإعانةً وقيامًا بمصالحه، ورفع ما بهرء، لأنه ليس له أب يحمله ويمن عليه ويدافع عنه، فهو بحاجة إلى من يساعده لأنه فقد أباه وعائلته، وله حق في الإسلام

انهم أن الله بدأها بحقه سبحانه وتعالى، قوله ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ثم يقتصر على قوله ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لأن العبادة لا تصح مع الشرك ولا تنفع، ولا تسمى عبادة إلا إذا كانت حالصة لله عز وجل، إن كان معها شرك فإنها لا تكون عبادة معها أنعب الإنسان معه فيها، فزول الأمر بالعبادة بالنهي عن الشرك، إذ لا تصح العبادة مع وجود الشرك أبدًا.

هذا دليل على قول الشيخ أعظم ما أمر الله به التوحيد، حيث إن الله بدأ به في آيات كثيرة منها هذه الآية، ومنها قوله تعالى ﴿وَقَسَمْتُ لَكُمْ أَنَّا نَبْعُدُكُمُ إِنَّا إِلَهُكُمُ﴾ (الإسراء: ٢٣) فهذا سبحانه وتعالى بالتوحيد، وهذا يدل على أنه أعظم ما أمر الله به ﴿قُلْ تَعْبُدُوا مَا عِندَ رَبِّكُمْ ثُمَّ اعْبُدُونِي﴾ (البقرة: ٢١) فالتوحيد هو

سَيِّئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ إِنَّ إِيْقَاتِهِمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٥١﴾ [الأنعام، ١٥١].

هذا دليل على ما يأتي أن أعظم ما بهي الله عنه الشرك، فهو، كان أعظم ما أمر الله به التوحيد، فإنه يجب أن يبدأ الإنسان بتعلم العقيدة قبل كل شيء، العقيدة هي الأساس، ويجب أن يبدأ بها بالتعلم والتعليم، وأن يدوم على تدريسها وبيانها للناس، لأنها هي أعظم ما أمر الله به، وليس من المناسب أن تجعلها أحراراً لأشياء أو لا يؤبه بها، لأن الآن هناك دعاة يرهقون في تعميم التوحيد والعقيدة، هناك أناس ابتلوا بهذا، ولأن الإحلال بها إحلال بالدين كله فيجب العناية بها.

وما هو التوحيد؟ هل هو أن تقر بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت؟ لا، التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، لأن الله قال ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي﴾ [التكوير، ٥٦] وقال أهل التفسير يعبدون، أي يوحّدون، ففسروا التوحيد بالعبادة

إذاً فالتوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وليس هو الإقرار بأن الله هو الخالق الرزق المحي المميت المبدى، لأن هذا

أعظم ما ينهى الله عنه الشرك

وَأَعْظَمُ مَا يَنْهَى عَنِ الشِّرْكِ [١٨]

موجود في البطر، موجود في عقول العقلاء لا يوجد عاقل في الدب يعتقد أن أحدًا خلق السماوات والأرض غير الله سبحانه وتعالى، لا يوجد أحد في العالم كله وما فيه من الكفر والملاحدة يعتقد أن أحدًا من البشر خلق بشرًا ﴿وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (الرحم ٨٧) لا يوجد عاقل في العالم يعتقد أن بشرًا يخلق بشرًا إنسانًا بعني على الأرض ويتكلم ويأكل ويشرب هل يوجد عاقل يعتقد هذا؟ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ صَبْرٍ غَيْرِ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ نَعْلَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿[نظر ٣٥ ٣٦] توحيد الربوبية موجود في البطر والعقول لكنه لا يكفي بدون توحيد العبادة، وهو إمراد الله بالعبادة

ولهذا قال الشيخ التوحيد هو إمراد الله بالعبادة، وليس هو إمراد الله بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، لأن هذا شيء معروف، ولا يكفي توحيد الربوبية في تعريف التوحيد.

[١٨] قوله رحمه الله وأعظم ما ينهى الله عنه الشرك - هذه فائدة عظيمة، لأن بعض الناس يعتقدون أن هناك أشياء هي

أعظم الجرائم، وأعظم ما بهي الله عنه، فيقول الربا هو أعظم المحرمات، الرى هو أعظم المحرمات، ولذلك يركزون على الهي من الربا وعن الرى وعن مسا الأخلاق، ولكن لا يهتمون بأمر الشرك، ولا يحذرون منه، وهم يرون الناس واقعين فيه، فهذا من الجهل العظيم بشريعة الله سبحانه وتعالى.

[illegible]

هذه المحرمات بدأها الله بقوله ﴿الْأَشْرَافُ بِهِمْ﴾. **سَبَقًا**
 يدل على أن الشرك هو أعظم ما نهى الله عنه.

وفي سورة الإسراء قال الله تعالى ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ آبَائِكَ
 لَهْوَ قُلُوبِكَ فَتَكُونَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا وَهُوَ
 عَلِيمٌ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٢] بدأ بالنهي عن
 الشرك، وحتمها بالنهي عن الشرك فقال ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ آبَائِكَ
 لَهْوَ قُلُوبِكَ فِي سَهْمٍ مِّمَّا يَدْعُونَ﴾ [الإسراء: ٢٩] يدل على
 أنه أعظم ما نهى الله عنه، هذا يدل على قول الشيخ: وأعظم
 ما نهى الله عنه الشرك.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب
 أعظم قال: «أن تجعل لله ندا وهو خلقك» قيل: ثم أي؟
 قال: «أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك» قيل: ثم أي؟
 قال: «أن تزاني خيلة جارك»^(١)

وأمر الله تصديق ذلك في قوله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ
 آبَائِهِمْ هَٰمً وَلَا يَتَّبِعُونَ أَلْفَافًا أَلْفَافًا﴾ [الأنعام: ١٨]
 ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ فَتَبْلُغُ أَلْفُ أَلْفٍ﴾ [الفرقان: ٦٨]. بدأ بالشرك

١١، أخرجه البخاري (٦٨٦١)، ومسلم (٨٦) من حديث عبد الله بن
 مسعود رضي الله عنه

في قوله «أن تجعل لله نداً - أي شريكاً - وهو حلفك» وقال هو أعظم الذنوب؛ لأنه سئل أي الذنوب أعظم؟ عبداً بالشرك وقال ﷺ «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل وما هي يا رسول الله؟! قال «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله، إلا بالحق، إلح الحديث»^(١)

بدأها بالشرك يدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب، ولعلنا قد علمنا أن الشرك لا يدخل الجنة أبداً، قال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ يَأْفَاقُ مَقْعَدَ صَرْمٍ أَلْفَ عَشْرَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا يَنْجِيهِ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُشْرِكَ﴾ [المائدة: ٧٢] الشرك لا يعمر الله له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ - وَيَتَوَبَّعُ مَا مَنَعَهُ - وَالَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ٤٨] يدل ذلك على تحريم الجنة على المشرك، وأن الله لا يعمر له، ودل هذا على أن الشرك أعظم الذنوب، لأن الذنوب ما هذا الشرك قابلة للمعصية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ - وَيَتَوَبَّعُ مَا مَنَعَهُ - وَالَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا اللَّهَ﴾ فالرس والسرقه وشرب الخمر والزنا كله داخل تحت المشيئة، إن شاء الله عمر لصاحبه، وإن شاء عذبه.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩) من حديث أبي هريرة رضي

أما الشرك فإنه لا يُعمر، حكم الله أنه لا يُعمره، وكذا المعاصي وإن كان هذه كسائر ذنوب الشرك فإنه لا نحرم عليه الجنة، ماله إلى الجنة، إما أن يعمر الله له من أول وهلة ويدخله الجنة، وإما أن يحرج من النار بعد تعديده ويدخل الجنة، المؤمن مهما كان منه من العسق والمعاصي التي دون الشرك فإنه لا يقط من رحمة الله، ولا يحرم من الجنة، وهو داخل تحت المعرفة بمشبهة الله سبحانه وتعالى

أما المشرك فإنه محروم من ذلك كله والعياد بالله، فدل على أن الشرك هو أعظم الذنوب قال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [نعمان ١٣]

وقال سبحانه ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ يَأْتِ بِظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الباء ٤٨] ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ يَأْتِ بِظُلْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الباء ١١٦] كل هذا يدل على أن الشرك أعظم الذنوب، وإذا كان الشرك أعظم الذنوب فإنه يجب على العلماء والمنعلمين الهي عنه والتحذير منه، وألا يسكتوا عن التحذير من الشرك، وأنه يجب جهاد المشركين مع القدرة كما جاهدتهم رسول الله ﷺ

وهو دعوة غيره معه [١٩]

قال تعالى ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَقَامِمْهُمْ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ هُمْ يُعْتَبِرُونَ﴾ (التوبة ٥) يجب التحذير من الشرك وبيان للناس حتى يجنبوه هذا الذي يجب

أما أن يسكت عن الشرك، وترك الناس يهيمون في عبادة غير الله، وهم يدعون الإسلام، ولا أحد ينهى ولا أحد يحذر، فالأمر خطير جداً، هناك ناس يسحبون إلى النهي عن الرما والرشى وفساد الأخلاق، هذه أمور محرمة وفيها فساد، لكن الشرك أعظم، فلماذا لا يهتم بالنهي عن الشرك، والتحذير من الشرك، وبيان ما يقع فيه كثير من الناس في الشرك الأكبر وهم يدعون الإسلام؟

لماذا هذا التساهل في أمر الشرك والتعامل معه وترك الناس يفعلون فيه، والعلماء موجودون بل يعيشون مع هؤلاء ويسكنون عندهم؟ الواجب أن يتجه أولاً إلى النهي عن هذا الخطر العظيم الذي فتك بالأمة فتكاً دريعاً، كل ديب دونه فهو أهون منه، والواجب أن يبدأ بالأهم فالأهم

[١٩] هذا تعريف الشرك هو دعوة غيره معه بمعنى أن يُضَرَف شيء من العبادة لغير الله، من مثلك من الملائكة أو

شي من الأبياء أو صالح من الصالحين أو نبي من الأنبياء أو غير ذلك من كل المخلوقات، فمن صرف شيئاً من العبادة لعباد الله فهذا هو أعظم ما بهي الله معه، وهذا هو الشرك.

فأعرضوا تفسير التوحيد وتفسير الشرك، لأن هناك من الناس من يفسر التوحيد بغير تفسير، ومن يفسر الشرك بغير تفسير.

من الناس من يقولون إن الشرك هو الشرك في الحاكمية، وهذا ظهر الآن مع الأسف، الحكم بغير ما أنزل الله نوع من أنواع الشرك يسمى شرك الطاعة، لا شك أن طاعة المخلوق هي تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله هذا نوع من الشرك لكن هناك ما هو أعظم منه، وهو عبادة غير الله بالذبح والهدى والطواف والاستعاذة، والواجب أن يحذر من الشرك كله، لا يُلحِد منه ويترك ما هو أعظم وأخطر منه، فلا يفسر الشرك بأنه شرك الحاكمية فقط أو الشرك السياسي، ويقولون الشرك بالقبور هذا شرك ساذج أي هين، هذه حرام على الله سبحانه وتعالى، الشرك أعظم ما بهي الله معه، وهو دعوة غيره معه، هذا هو الشرك

وسمهم من يقول: المشرك هو محبة الدنيا ومحبة المال
 المال جعله الله محبوباً حتماً طبعياً ﴿وَتَشْتَوِي السَّالُّ حَاجَةً﴾
 (الفرع ٢٠) ﴿وَأَيُّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي المال ﴿لَشِدَّةٌ﴾
 (العادات ٨) ﴿قَدْ لَيْسَ كَمَنْزِلِكُمْ وَتَبَرُّؤُكُمْ﴾ إلى قوله:
 ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ﴾ (سورة ١٢٤)

قال: أحب إليكم، ما أنكر عليهم أنهم يحبونه، لكن
 أنكر عليهم أنهم يقدمون محبته على محبة الله، محبة المال
 ليست شركاً؛ لأن هذه محبة طبيعية، الناس يحتاجون إلى
 المال ويحبونه، محبة المال ليست شركاً؛ لأنه من محبة
 المصنع التي يتمتع بها الإنسان، لكن هؤلاء الذين يقولون هذه
 المقالات إما أنهم جهال لم يتعلموا التوحيد والشرك، وإما
 أنهم معرضون يريدون صرف الناس عن هذه الحقائق إلى
 أشياء هم يريدونها، ومكره يريدونها، والله أعلم بالمقاصد.

المهم أن هذا ليس هو الشرك، الشرك هو دعوة غير الله
 معه، أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كالذبح
 والبدن والدعاء والاستعانة والاستعانة والاتجاه والخوف
 والرجاء وغير ذلك، هذا هو الشرك الذي هو أعظم المصوب،
 دعوة غيره معه سبحانه وتعالى، لأن الدعاء هو أعظم أنواع

وَلَدَلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سُبْحَانَ﴾ [النساء: ٣٦] [٢٠]

لعدة كما قال سبحانه ﴿لَوْ أَنَّ قَوْمًا ظَنُّوا أَنَّهُمْ بِدَعْوَتِي مِنْ دُونِي لَا يَسْتَجِيبُوا لَدَعْوَتِي﴾ [الرعد: ١٤] وقال ﴿وَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [آعر: ١٦] دعاء، عبر الله هو لشرك الذي حرمه الله ورسوله، أما هذه الجريئات التي جعلوها هي الشرك فليس كذلك، لكن يقال إن بعضها حرم من الشرك وإن هناك ما هو أخطر منه وأهم منه، لأن الشرك يتعدى، معصية أشد من بعض العباد بالله

[٢٠] قوله والدليل قوله تعالى ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سُبْحَانَ﴾، قل إن الدليل على أن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد قوله ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سُبْحَانَ﴾ ثم ذكر بقية لحقوقي، فكونه بدأ بالتوحيد والهي عن الشرك، هذا دليل على أن التوحيد هو أعظم ما أمر الله به، لأنه قال ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وأنعم بقوله ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ، سُبْحَانَ﴾ مهد بهي، هذا الأمر بالتوحيد والهي عن الشرك، يدل على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، لأن الله بدأ بذلك، ولا يبدأ سبحانه إلا بالأهم فالأهم، هذا وجه الدلالة من الآية.

الرسالة الرابعة

الأصول الثلاثة التي تجب معرفتها

الأصل الأول معرفة الله عز وجل

فَمَآ قَبِلَ لَكَ مَا هِيَ الْأَصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي تَجِبُ
مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَدِ زَنَّةٌ، وَدِينُهُ، وَنَبِيِّهِ مُحَمَّدًا
ﷺ [١].

[١] قوله الأصول: جمع أصل، والأصل ما يُبنى عليه
غيره، والفرع ما يُبنى على غيره، وهذه سميت بالأصول لأنها
يُبنى عليها غيرُها من أمر الدين، ولذلك سميت أصولاً لأنها
يُبنى عليها أمر الدين، وكلُّ الدين يدور على هذه الأصول
الثلاثة.

قوله: معرفة العد زنة: زنة منصوب لأنه مفعول
لمعرفة، لأن المصدر (معرفة) أصيب إلى اسم الفاعل
(الاعد) والمصدر إذا أصيب بعمل عمل فعله عند المحوِّين،
فالمصدر هنا أصيب بعمل عمل الفعل

قوله. ودينه ونبيه معطوف عليه، أي على المصنوب،
هذه أصول الدين إجمالاً وسيأتي تفصيلها في كلام الشيخ
رحمه الله إن شاء الله.

لماذا خص هذه الأصول الثلاثة؟

لأنها هي الأساسات لدين الإسلام، ولأنها هي المعائل
التي يُسأل عنها العبد حين يوصع في قبره؛ لأن العبد إذا وضع
في قبره وسُوي عليه التراب وانصرف عنه الناس واجتمع إلى
أهلهم، جاءه ملكان في القبر، فتعاد روحه في حسنه ويحيا
حياة روحية ليست حياة مثل حياة الدنيا، حياة الله أعلم بها،
فيُخلّصه في قبره فيقولان له من ربك، وما دينك، ومن
سيدك؟ فالمؤمن يقول ربي الله وديني الإسلام ومحمد ﷺ
سبي، فيقال له كيف عرفت؟ يقول قرأت كتاب الله فدريت
وعرفت، فيأدي مائة أن صدق عدي فأمرشوه من الجنة
وافتحوا له باباً من الجنة، ويؤشع له في قبره مد البصر،
فيأتيه من ربيع الجنة وروحها، فيطر إلى مسكه في الجنة،
فيقول يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي

وأما المراتب الذي عاش على الزينة والشك وعدم
اليقين، وإن كان يدعي الإسلام، إذا كان عبده شكوك وعده

رب في دين الله كالصائق فإنه ينزل جلع، وإذا قالوا له: من رثك؟ يقول لا أدري، وإذا قالوا ما دينك؟ يقول لا أدري، وإذا قيل من سيك؟ يقول لا أدري، هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت^(١)

بمعنى أنه في الدنيا يقول ما يقوله الناس من غير إيمان والعباد بالله، هذا لصاحب الذي أظهر الإسلام وهو لا يعتقد في قلبه، وإنما أظهره من أجل مصالحه الدنيوية، فيقول في الدنيا ربي الله، وهو غير مؤمن بها، قلبه مكسر والعباد بالله^١ يقول ديني الإسلام وهو لا يؤمن بالإسلام، قلبه مكسر^٢ يقول نبي محمد ﷺ وهو لا يؤمن برسالة محمد في قلبه^٣ إنما يقول بلسانه فقط، هذا هو الصائق، فيقال له لا تدري ولا تلتفت، فيصرب بمروره من حديد يصيح منها صيحة لو سمعه الثفلان لصعقوا، يسمعها كل شيء، إلا الإنسان لو سمعه نصح، أي لحات من الهول، وتضيق عليه في قبره حتى تختلف أصلاعه، ويفتح له باب إلى البار فيأتيه من شئونها وحرفها فيقول يا رب لا تقم الساعة، هذه عيشته وحالته في القبر، والعباد بالله، لأنه ما أحب بالجناب الشديد

(١) سبق تخريجه من ٢٠

إِذَا قِيلَ لَكَ مَن رَّبُّكَ؟ قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ الَّذِي رَأَيْتُ
وَرَأَى جَمِيعُ الْعَالَمِينَ بِعَمَةٍ [٢]

ولذلك يبدي صاؤ أن كذب عبدي فأمرشوه من البار،
وانتحروا له مائاً من البار، والعباد مائة، وإذا كانت هذه
المائت بهذه الأهمية وحب علياً أن تتعلمها وأن تعتقدها،
ولا يكفى التلمُّ فقط، بل تتعلمها ويعتقد، ويؤمن بها
ومعمل بها ما دعا على قيد الحياة، لعل الله أن يشأ عند
السؤال في العبر

يقول الله تعالى ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ النَّبِيَّ كَذِبُوا بِالْقَوْلِ أَتُكْفِرُونَ
بِالْحَبْلِ الَّذِي وَهَبَ الْآخِرَةَ وَيُؤْتِي اللَّهُ الْقُلُوبَ وَيَقَعُلُ اللَّهُ مَا
يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

بهذه الأصول الثلاثة لها أهمية عظيمة، ولهذا ركز عليها
الشيخ في هذه الرسالة ووضحها من أجل أن ندركها،
ونؤمن بها ويعتقدنا ومعمل بها، لعل الله أن يشأ وإياكم
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة

[٢] لما بُرِّرَ الشيخ رحمه الله الأصول الثلاثة محتملة أراد أن
يبينها مفصلة واحداً واحداً بأدلة من الكتاب والسنة ومن
أبواب الله في الكون ومن الأدلة العقلية، وهكذا يجب أن نرى

العقائد على أدلة الكتاب والسنة وعلى النظر في آيات الله
الكوبية من أجل أن ترسخ وتثبت في القلب وتزول جميع
الشبهة.

وأما العقائد العسبة على الشبهات وعلى الشكوك وعلى
أقوال الناس والتقليد الأعمى فإنها عقائد رائقة لا تثبت،
وهي عُرضة للنقص وعُرضة للإبطال

فلا تثبت العقيدة ولا سائر الأحكام الشرعية إلا بأدلة
الكتاب والسنة وبالأدلة العقلية المُسلَّمة ولهذا أكثر الشيخ
رحمه الله من سبق الأدلة على هذه الأصول الثلاثة، فلا يمر
أصل منها إلا وقد دعمه بالأدلة والبراهين البهيمية التي تطرد
الشكوك والأهواء، وترسخ العقيدة في القلب

قوله رحمه الله: فإذا قيل لك، أي مُبْتَلًى مَنْ رَبُّكَ؟
وهذا سؤال ولزود سُنْأَلُ عَمَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فلا بد أن
تعرف ربك عَرَّ وَحَلَّ، وأن تجيب بجواب صحيح مسموع على
اليفيق والبرهان، فقل: ربي الله - هذا هو الجواب - الذي
رباني وربي جميع العالمين بعمه هذا استدلال عقلي

فانترت حل وعلا هو الذي يربي جميع عباده بعمه،
ويعدهم برزقه، بحلقهم - بعد أن لم يكونوا شيئاً مذكوراً -

في بطون أمهاتهم خلقاً من بعد خلق في عظمت ثلاث،
 ويوصل إليهم الرزق حتى في بطون أمهاتهم ؛ ولذلك ينمو
 جسم الحبيب في بطن أمه ويكبر ، لأنه يصل إليه الرزق من الله
 سبحانه وتعالى ، ويصل إليه الغذاء

ثم تُمنح فيه الروح فيتحرك ويحيا بإذن الله هذه تربية في
 البطن ، ثم إذا خرج فإن الله سبحانه يربيه بعبه بالصحة
 والنعامة ، ويُؤمِّر عليه لس أنه ، فيتمدَّى إلى أن يأكل الطعام
 ويستغني عن الحليب ، ثم يمشو شيئاً فشيئاً عقده وسمعته
 ونصره ، يمشو شيئاً فشيئاً حتى يبلغ الحُلُم ، ثم يمشو وينمو
 حتى يبلغ أشده ويبلغ أربعين سنة ، ويكون في غاية القوة .

فمن الذي يعبه من يوم أن خلقه في بطن أمه إلى أن
 يموت ، من الذي يعبه ثم من الذي يسوع هذا الطعام وهذا
 اشتراب في جسمه فيصل إلى كل خلية وعصنة وإلى كل
 مكان في جسمه ، من الذي يشهي إليه الطعام والشراب ، من
 الذي يصرفه ويخرج به ضرره ، من الذي يفعل هذا ويربي
 هذا الإنسان ، أليس هو الله سبحانه وتعالى ؟ هذا هو اثر
 سبحانه وتعالى الذي يربي ، هو الذي رباني وربي جميع
 العالمين بعبته .

وهو معبودي ليس لي معبود سواهُ [٣]

كل ما على وجه الأرض من العوالم الأدمية والحيوانية،
وعالم البر والبحر، من أكثر مخلوق إلى أصغر مخلوق، هي
البر والبحر كلها تتعبدى لربه ورفقه، قال تعالى ﴿أَتَىٰ هَٰذَا
الرَّكْبُ بِرَبِّكَ إِنَّ أَتَمَّ رِبْعًا﴾ [الملك ٢١]، وقال ﴿وَمَا مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ يَرْفَعُ وَهَلْ تُنْزَعُ عَنْهُ أَثَرَةٌ﴾ [هود
١٦] وقال ﴿وَمَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ يَرْفَعُ وَهَلْ تُنْزَعُ عَنْهُ أَثَرَةٌ﴾ [هود
١٦] وهو الشيخ الفيلسوف ﴿المكروب ٦٠﴾ هذا هو الرب سبحانه
﴿ذِكْرُكُمْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [يوس ٣] أما غير الله جل
وعلا فلا يملك من ذلك شيئاً لا الأصنام ولا غيرها لا أحد
يملك من الرزق شيئاً وإنما هو مردود، مخلوق مثلك

[٣] قوله وهو معبودي الرب الذي هذا شأنه هو الذي
يستحق العبادة مني ومن غيره، ثم أيضاً به الشيخ رحمه الله
أنه لا يمكن الإقرار بالربوبية، لا يمكن أن تقول: ربي الله
الذي رباني بنعمه.

هذا لا يمكن لا بد أن تعرف له بالمعبودية، وأن تُخلص له
بالعبادة، وهذا هو الفرق ما بين الموحّد والمشرِك، فالموحّد
يُقرُّ بربوبية الله عز وجل ويعبده وحده لا شريك له،

والمشرك يُقَرُّ بتوحيده الله، ولكنه مشرك في عبادته، يُشْرِكُ
 معه غيره في عبادته، يشرك معه من لا يخلق ولا يرزق ولا
 يخلق شيئاً هذا هو الفرق ما بين الموحّد والمشرك؟
 الموحّد يقول ربي الله، وهو معبودي، وليس لي معبود
 سواه، أما المشرك فيقول ربي الله، لكن العبادَة عنده ليست
 حاصّة بالله، فيعبّد مع الله الأشجار والأحجار والأولياء
 والصالحين والقبور، فلذلك صدر مشركاً ولم يصعده الإقرار
 بالتوحيده ولم يدخله في الإسلام

فقوله وهو معبودي، أي الإله الذي أعبد

وقوله ليس لي معبود سواه لا من الملائكة ولا من
 الرسل ولا من الصالحين ولا من الأشجار والأحجار ولا من
 أي شيء، ليس لي معبود سواه سبحانه وتعالى، هذا تقرير
 التوحيد بالدليل، وهذا دليل عقلي، ثم ذكر الدليل النقلي من
 القرآن.

والدليل قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

[الفاتحة: ٢]

هذه الآية هي أول القرآن في المصحف، ليس قبلها إلا
 بسم الله الرحمن الرحيم، وهي آخر كلام أهل الجنة، قال

نعاس ﴿وَمَا يُدْرِكُهُمْ فِي الْغَمْرِ مِنْ رَبِّكَ فَتَكُونُ﴾ [يوس
 ١٠] والله جل وعلا امتنع بها الخلق، قال تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام ١٠]
 وحتم بها الخلق، قال تعالى ﴿وَرُحْمَىٰ يُدْرِكُهُمُ الْيَوْمَ بِرَبِّكَ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي﴾ [الرر ٧٥] فتح بها الخلق وحتم بها
 فهي كلمة عظيمة

فقوله تعالى الحمد الشاء على المحمود مع محبته
 وإجلاله، وأقاله في الحمد للاستعراق، أي جميع
 المحمد لله ملكنا واستحقاقاً فهو المستحق للحمد المطلق،
 وأما غيره فيحمد على قدر ما يفعل من الجليل ومن الخير،
 وأما الحمد المطلق الكامل فهو لله عز وجل لأن العم كلها
 منه

وحتى المخلوق إذا أسدى إليك شيئاً من الإحسان فإنه
 من الله عز وجل، عز الذي سحر لك هذا المخلوق، وهو
 الذي منك من أن يحسن إليك، فالحمد يرجع إلى الله
 سبحانه وتعالى.

وقوله لله جاز ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ،
 أي الحمد كائن أو مستقر لله عز وجل

والله مصاب: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهذا الاسم لا يسمى به غيره سبحانه، لا أحد تسمى بالله، حتى مرعون ما قال أنا الله، لكنه قال أنا ربكم، فهذا الاسم خاص بالله، لا أحد يسمى به أبداً ولا أحد يجزئ أن يقول: أنا الله.

رب نعت لاسم الجلالة وهو مجرور وهو مضاف للعالمين مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء، لأنه ملحق بجمع المذكر السالم هو اصح أن الحمد كله والثناء كله لله رب العالمين.

وعالم الملائكة وعالم الجمادات والطيور وعالم السباع وعالم الحيوانات وعالم الحشرات والدم، وعالم في البر والبحر لا يعلمها إلا الله ولا يحصيها إلا الله، كلها لله ربها

رب العالمين. وهذا لا يطلق إلا على الله سبحانه عز وجل، لا يمكن لأحد أن يقال له: رب العالمين

إذا قيل الرب: فهذا لا يطلق إلا على الله، على الله جل وعلا، ولا يصرف إلا إليه، أما المخلوق فيقتد فيقال: رب الثمار، رب الهبة، أي مالكها وصاحبها

وَكُلُّ مَا سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ
الْعَالَمِ [٤]

[٤] ثم بين الشيخ رحمه الله وجه الاستدلال بهذه الآية.

فقوله وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك
العالم فيكون الله ربي، لأن الله ربّ العالمين، وأنا واحد
من العالمين، فلا أحد يستطيع أن يقول أنا لي رب غير رب
العالمين، لا الكافر ولا المسلم، هذا لا يمكن أبداً ولا يقوله
عاقلاً، هذا دليل على ربوبية الله عز وجل، وما دام أنه رب
العالمين فهو المستحق للعبادة، وهذا يُظِلُّ عبادة غيره
سبحانه وتعالى ولذلك قال بعدها ﴿إِنَّا لَكَ نَعْبُدُ وَإِنَّا لَكِ
سَّاجِدُونَ﴾ (البقرة ٥)

وهذا بعيد الحصر، لأن تقديم المحمول - إياك - وتأخير
العالم - نعبد - يدل على الحصر، وإياك بعد يختلف عن
نعبدك، لأن نعبد، هذا إثبات فقط، لكن ﴿إِنَّا لَكَ نَعْبُدُ﴾
يتضمن النفي والإثبات، أي لا نعبد غيرك، والعبادة لا
تصح إلا مع النفي والإثبات، وهو معنى لا إله إلا الله، فيها
نفي وإثبات، معى الإلوهية عما سوى الله وإثباتها له
عز وجل

هَذَا قِيلَ لَكَ بِمَا عَرَفْتَ رَبَّنَا؟ فَقُلْ مَايَاتِهِ
وَمُحَلَّقَاتِهِ [٥]

[٥] أَنْتَ قُلْتَ رَبِّي أَوْ رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي بِعَمِّهِ، مَا هُوَ
الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ رَبُّكَ الَّذِي رَبَّنَاكَ بِعَمِّهِ؟

جاء الشَّيْخُ بِأَدَلَّةٍ مِنَ الْوَحْيِ وَمِنَ الْعَقْلِ كَمَا سَيَأْتِي، فَوَدَا
قِيلَ لَكَ بِمَا عَرَفْتَ رَبَّنَا؟ لِأَنَّ مَنْ ادَّعَى شَيْئًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقِيمَ
الدَّلِيلَ عَلَى دَعْوَاهُ

وَالَّذَعَاوَى إِذَا لَمْ يَقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَهْلُهَا أَدْعِيَاءُ
لَا بُدَّ لِكُلِّ مَدْعٍ أَنْ يَقِيمَ الدَّلِيلَ عَلَى دَعْوَاهُ، وَإِلَّا كَانَتْ
دَعْوَاهُ غَيْرَ صَحِيحَةٍ. أَنْتَ قُلْتَ: رَبِّي اللَّهُ الَّذِي رَبَّنِي وَرَبِّي
حَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِعَمِّهِ، مَا الدَّلِيلُ؟ فَقُلْ الدَّلِيلُ آيَاتُهُ
وَمُحَلَّقَاتُهُ الْآيَاتُ جَمِيعُ آيَةٍ، وَالْآيَةُ لَعَنَةُ الْعَلَامَةِ عَلَى
الشَّيْءِ، وَالِدَّلَالَةُ عَلَى الشَّيْءِ، كَمَا قَالَ ﷺ: آيَةُ الْمَسَافِقِ
ثَلَاثٌ: ^(١) أَيْ: عِلَامَتُهُ

قَوْلُهُ: بِآيَاتِهِ، أَيْ: الْعَلَامَاتُ وَالِدَّلَالَاتُ الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَجَمِيعُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ الَّتِي تُرَوِّبُهَا كُلُّهَا

(١) أخرجه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله

كانت معدومة ثم إن الله أوجدها وحلقها بقدرته سبحانه وتعالى.

ومنها خلق ينجده مثل الثبات والموايد وأشياء ما كانت موجودة ثم وجدت وأنهم تطرون إليها، من الذي يخلقها؟ هو الله سبحانه وتعالى هل تخلق نفسها، هل أحد من البشر يخلقها؟ لا أحد ادعى هذا، ولا يستطيع أن يدعي.

قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبُوا أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْخَالِقِينَ ۚ أَمْ حَسِبُوا أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْأَرْضَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ۚ﴾ (الطور ٢٥-٢٦) هذه الأشياء ما أوجدت نفسها أو أوجدتها غيرها من المخلوقات أبداً لم ولن يخلق أحد شجرة أو نوعة أو دماً ﴿إِنَّ الْأَوَّلَ يَتَخَوَّكُم مِّنْ دُونِ أَنْفُسِكُمْ ۚ﴾ (التحج ٧٣).

فهذا الحل يدل على الخلق سبحانه وتعالى، ولهذا لما قيل لأعرابي على المدينة بم عرفت ربك؟ قال، البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ألا يدل هذا الكون على اللطيف الخبير.

إذا رأيت أثر قدم على الأرض، أما يدلك هذا على أن أحداً مشى على هذه الأرض؟ إذا رأيت بحر معبر، ألا يدلك

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَمِنْ
مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَا
فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُمَا [٦]

هذا على أن هذه الأرض فيها إبل أو مر عليها بعير؟ البقرة
تدل على العير والأثر يدل على المسير.

[٦] قوله وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، والآيات
على قسمين:

القسم الأول: آيات كونية تشاهد، مثل السماوات
والأرض والجموم والشمس والقمر والجبال والشجر
والبحار، سميت آيات، لأن بها دلالات على حالها سبحانه
وتعالى، ولهذا يقول أبو العاصية

بها عَمَّا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ أَمْ كَيْفَ يَجْعَدُ الْجَاعِدُ
وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاجِدُ
وَلَهُ فِي كُلِّ نَحْرٍ بَكِيَّةٌ وَنَكْبَةٌ فِي الْوَرَى شَاهِدُ

فكيف يجعل أحد الله حل وعلا ويقول ليس هناك رب
لهذا الكون كله، وهذه المخلوقات وجدت من غير خالق،
وان وجدت بخالق فمن هو هذا الخالق غير الله حل وعلا بين
بي؟ لا نجد خالقاً غير الله سبحانه وتعالى. ﴿أَمْ جَعَلُوا

شَرَكًا خَلَقُوا كَمَتَّبُوا. فَسَبِّحْهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ ﴿الرعد: ١٦﴾.

القسم الثاني الآيات القرآنية التي تُتلى من الوحي
المرسل على الرسول ﷺ هذه كلها أدلة على وجود الرب
سبحانه وتعالى، وعلى كماله وصفاته وأسمائه، وعلى أنه
مستحق للعبادة وحده لا شريك له، كلها تدل على ذلك
الآيات الكونية والآيات القرآنية

الآيات الكونية تدل على خالقها وموجدها ومديرها،
والآيات القرآنية فيها الأمر بعبادة الله، وفيها تقرير توحيد
الربوبية، والاستدلال به على توحيد الألوهية، والأمر بعبادة
الله سبحانه وتعالى، كل القرآن يدور على هذا المعنى،
والمرسل من أجل هذا المعنى

ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، هذه من أعظم
آياته سبحانه وتعالى، الليل المظلم الذي يغطي هذا الكون،
والنهار المضيء الذي يضيء هذا الكون، فينشر النور
لأشعائهم قال تعالى ﴿قُلِ لَّوِيتُمْ إِلَىٰ جَعَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ اللَّيْلَ
سَرْمَدًا إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامِ مَنْ إِلَهُ عِزِّ اللَّهِ بِآيَاتِهِمْ بِصِبْغٍ أَمَلًا
تَسْمَعُونَ ۚ قُلِ لَّوِيتُمْ إِلَىٰ جَعَلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ النَّهَارَ سَرْمَدًا

إِنَّ بَرِّهِ الْيَتَمُونَ إِنَّهُ عَزَّ اللَّهُ بِأَيْمَانِكُمْ يَكِلُ فَتُكُونَ فِيهِ أَفَلَا
تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَعْبُدُوا جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتُشْكُرُوا فِيهِ
وَلِتَسْمَعُوا مِنْ قُصُوبِهِ وَلِتُنْكِرُوا فَتُكْرَمُوا ﴿النصير ٧١-٧٣﴾

هذا من أعظم آيات الله هذا الليل وهذا النهار، لا الوقت
كله ليل، ولا الوقت كله نهار، لأنه لو كان كذلك تعطلت
مصالح العباد وتعبوا

جعل الله لهم الليل والنهار يتعاقبان، ثم إن الليل والنهار
مستطمان لا يتحلف واحد منهما ولا يتعبر، على نظام واحد
مما يدل على حكمة الحكيم سبحانه وتعالى، أعدل العباد
ومصاعبتهم تحرب وتحتلف مهما كانت وتتعطل، ولما
مخلوقات الله عز وجل فإنها لا تحرب إلا في وقت يأذن الله
فيه بحربها.

فالليل والنهار مستمران لم يتعطل أحد منهما، بينما
مصاعدة الخلق تتعطل وتحرب ونفس وإن كانت قوية أو
ضعيفة.

ثم تشاهدون من السيارات المرمية والطائرات والبواخر
مع أنها قوية ومعنى بها لكنها تحرب وتتعطل، هل تعطل

الدليل على روبيته وإلايته سبحانه وتعالى

والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الْبَرِّ الْغَنِيِّ حَقَّهَا إِنَّكُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [صافات ٣٧] [٧]

الليل أو تعطل النهار؟ لا، لأن صناعه فذير حكيم حل وعلا
﴿سُبْحًا لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الشمل ١٨٨]

[٧] هذا دليل على روبيته وإلايته سبحانه وتعالى ﴿وَمِنْ
آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

الشمس والقمر الشمس الكوكب العظيم الذي يضيء
الكون مروحاً ومهاجاً كما قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمَا
وَقَعًا﴾ [الباء ١٣]، والقمر نور يضيء الليل ويضيء الطريق
للناس، ومن مصالحهما أيضاً إصلاح الكون بأشجاره ونمازه
وبحارته، ولو اجتمعت الشمس على الكون لتضرر الكون
وهضت كثير من معاش الناس ومصالحهم، ولو اجتمعت
القمر كذلك، القمر أيضاً به سامع للثمار والأشجار، مع ما
فيه أيضاً من معرفة الحساب، قال تعالى ﴿وَالْقَمَرُ رُجُومًا وَقَدَرًا

سَمَرًا يَسْتَلْمُوا عُودَ النُّجُومِ وَالْجَوَابِ ﴿٥﴾ (يوس ٥) وقال
نعماني ﴿• يَسْتَلْمُونَكَ عَنِ الْأَيْدِي قُلْ إِنِّي مُوَدِّعُ الْفَالِسِينَ
وَالْحَكَّ﴾ (ابن مفر ١٨٩)

في الأهلة مصلحة لمعرفة المواعيت والأحال، آجال
الديور، واحل العِدْلُ للواء، وموايت العادات والصيام
والحج، كلها تعرف بالحساب المبي على هذين السورين
الشمس والقمر، والحساب الشمسي والحساب القمري
فيهما مصالح للخلق أحسن

ومن مخلوقاته السماوات السبع قال تعالى ﴿الَّذِي
خَلَقَ سَبْعَ سَوَاقِبَ وَمِنَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [الطلاق ١٦] ﴿الَّذِي خَلَقَ
سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [المزك ٢] بعضها فوق بعض، السماء
الديا، ثم التي تليها إلى السابعة، وفوق الجميع عرش
الرحمن سبحانه وتعالى

والأرضين سبع كما قال تعالى ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ في
سبع طباق أيضاً وكل طرفة من طبقات السماوات السبع
والأرضين لها سكان وعُمار، ما في السماوات من الكواكب
والأهللك الشمس والقمر، وما في الأرض من المخلوقات
من الدواب باختلاف أنواعها ومن الجبال والأشجار

والأحجار ومن المعادن ومن البحار هذه من آيات الله سبحانه وتعالى، الآيات الكونية التي تُرى وتشاهد

قال رحمه الله: والدليل قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْكَافِي، خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِذًا تَعْبُدُونَ﴾ (صافات: ٣٧)

من آياته الليل يعني من علاماته الدالة على الربوبية وقدرته واستحقاقه للعبادة دون سواء الليل الذي يظلم، والنهار الذي يضيء الكون كله. هذا من عجائب آيات الله سبحانه وتعالى

فمن الذي يجعل الكون كله مطلقاً في آن واحد؟ ثم يجعل الكون كله مصبباً في آن واحد؟ هو الله سبحانه وتعالى، لو احتجج الخلق على أن يصيبروا بقعة من الأرض ما استطاعوا أن يصيبروا إلا بقعة محدودة، لو جازوا بمكانين الكهرباء التي هي الدنيا كلها لا تضيء إلا جزءاً محدوداً من الأرض.

أما الشمس والقمر فهما يصيبران الأرض كلها، الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر كذلك

فإن تعالى ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْوَحِيدِ خَلْقَهُنَّ﴾ إن سَجَدْتُمْ إِنَّهُ نَغْبُذُوكَ ﴿ (صلى ٣٧).

هذا إبطال للشرك، لا تسجدوا للمخلوقات؛ لأن من أعظم المخلوقات الشمس والقمر، ولأن المشركين كانوا يعبدون الشمس ويسجدون لها، وصهم من بعد القمر والكواكب مثل قوم إبراهيم يسون لها هياكل على صورة الكواكب ويعبدونها، فقله تعالى ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ﴾ السجود معناه وضع الحبهة على الأرض خصوصاً للمعبود، وهو أعظم أنواع العبادة، ورسول الله ﷺ يقول «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(١)

فأعظم أنواع العبادة السجود على الأرض؛ لأن وجهك الذي هو أعز شيء عندك وضعته على الأرض تعبدًا لله وتدلًا بين يديه سبحانه وتعالى، هذا هو السجود الحقيقي، ولا يلحق التعبد به إلا الله.

أما السجود للشمس والقمر فهو سجود لمخلوق لا يستحق أن يسجد له، فلا يجوز السجود للمخلوقات، وإنما السجود لخالق المخلوقات، أما المخلوقات فهي مثلك

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وقوله تعالى ﴿إِن رَّبَّكُمْ لَهُ الْوَلِيُّ حَتَّى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فِي يَمِينِهِ﴾ ثُمَّ أَسْوَى عَلَى الْوَتَنِ يَقْبِضُ الْيَدَ الْيُمَانِيَّةَ
يَطْلُبُهُ عَيْنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْأَنْجُمَ مُخَضَّرِينَ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ
الْمُلْكُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿[الأعراف ٥٤]، [٨]

مخلوقة مُدْثَرَةٌ مُتَصَرِّفٌ فِيهَا، هل نَسَجَدُ للمخلوق عاخر
مشاك؟ هذا لا يجوز، أين دعيت المخلوق؟

السجود بما يستحقه الخالق سبحانه وتعالى الذي لا
يعجزه شيء، فالسجود حق لله عز وجل وليس حقاً
للمخلوق مهما كان هذا المخلوق من العظم والكبر فإنه
مخلوق صعب مدثر مُتَصَرِّفٌ فِيهِ ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾ [صافات ٢٧]

والواجب أن لا نعبد إلا الله، فإذا سجدتم له وسجدتم
لغيره فإنكم لا تكونون عابدين لله العادة الصحيحة، بل
تعدونه مع الشرك، والشرك يفسد العبادة

[٨] إن حرف تأكيد ونصب، وهي موطئة للقسم، يفتر
قبلها قسم تقديره والله

إن ربكم فهي في جواب قسم مقدر

إِنْ وَيَكْم، أَيِ خَالِكُمْ وَمَرْبِكُمْ بِالْحَمْدِ

الله لا عبره سبحانه وتعالى

ثم ذكر الدليل على ذلك فقال ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ﴾ [الأعراف ٥٤] هذا هو المرحان على رتبة الله عز
وجل، أنه خلق السموات والأرض، ولا أحد خلق شيئاً
سهماً، ولا أحد أعانه سبحانه وتعالى على ذلك، بل هو
المصدر بخلق ﴿سَخَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هل أحد من
المشركين أو الملاحدة عارض هذا وقال ما خلق الله
السموات والأرض، الذي خلقها هو فلان، أو أنا الذي
خلفتها، أو خلقها الصمم الغلامي؟ هل قال هذا أحد من
العالم قديماً وحديثاً، مع أن هذه الآية تُتلى ليلاً ونهاراً؟ ولا
أحد عارضها ولا يستطيع أن يعارضها أبداً

في ستة أيام هذه المخلوقات الهائلة العظيمة خلقها الله
في ستة أيام، وهو قادر على أن يخلقها في لحظة، ولكنه
خلقها في ستة أيام لحكمة يعلمها سبحانه وتعالى، وستة
الأيام أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، هي يوم الجمعة
تكامل الخلق، ولذلك صار هذا اليوم أعظم أيام الأسبوع،
وهو سيد الأيام وعيد الأسبوع، وهو أفضل الأيام

قال رسول الله ﷺ «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة»^(١) لأنه تكامل فيه خلق المخلوقات، وخلق فيه آدم وأدخل الجنة وأعطى منها، وفيه تقوم الساعة، كل ذلك في يوم الجمعة، فهو أفضل الأيام، وهو آخر أيام الخلق خلق السماوات والأرض وما فيها

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حرف عطف وترتيب، أي: أن استواءه على العرش جاء بعد خلق السماوات والأرض، لأنه من صفات الأعمال التي يفعلها الله متى شاء ومعنى استوى: ارتفع وعلا.

العرش هو سقف المخلوقات

وهو في اللغة السرير، وهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو أعظم المخلوقات وأعلى المخلوقات.

الاستواء صفة من صفات الله الفعلية كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى، ليس كاستواء المخلوق على المخلوق، وليس هو بحاجة إلى العرش، لأنه هو الذي يمسك العرش

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤١)، وأبو داود (١٠٤٦)، والترمذي (٤٨٨)، والبيهقي (٩٠/٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وغيره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمِيقَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرُوتَا وَلَمْ يَأْتِ بِهَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [طه: ١١]

والعرش محتاج إلى الله عز وجل لأنه مخلوق، والله عز وجل من العرش وغيره، لكنه استوى عليه لحكمته يعلمها سبحانه وتعالى، والاستواء نوع من العلو، لكن العلو صفة ذات، وأن الاستواء فهو صفة فعل يفعلها إذا شاء سبحانه وتعالى

﴿يَتَنَبَّأُ الْغَيْثَ الْكَثِيرَ﴾ يعني الليل بالنهار، ويعطي النهار بالليل فيسما ترون الكون مصيئاً فإذا الليل يعطيه فيصبح مضمناً

والليل يعطيه النهار فيصبح مضمناً ﴿يَقْلَبُهُ جَنَّتًا﴾ يأتي هذا بعد هذا مباشرة ولا يتأخر، فإذا أدبر الليل جاء النهار، وإذا أدبر النهار جاء الليل مباشرة، لا يتأخر هذا عن هذا، وهذا من كمال قدرته سبحانه وتعالى، لا يعجز هذا عن هذا، والشمس هي الكوكب العظيم المعروف، والقمر كذلك كوكب من الكواكب السبعة السيارة وكل منهما يجري ويدور على الأرض، والأرض ثابتة مستقرة، جعلها قرواً، أي قارة ثابتة بمصالح العباد، والشمس وسائر الأعلام تدور عليها، لا كما يفعله المنحرفون الآن من الذين يدعون المعرفة،

يقولون إن الشمس ثابتة والأرض تدور عليها هذا عكس ما في القرآن ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ أَلَمَّا﴾ [يس 38] وهم يقولون الشمس ثابتة، بإسحاق الله

والحوم هي الكواكب، مسخرات بأمره مسخرات هي الحرمان والدوران دائماً لا يفترون، وهذا رد على النبي يعدون الشمس والقمر والكواكب بأنها مسخرة بأمر الله مأخوذة، الله الذي يحررها، والله الذي يوقفها إذا شاء سبحانه وتعالى، فهي مسخرة مدبرة ليس لها من الأمر شيء.

بأمرها سبحانه تجري وتدور ونصي. بأمره الكوي سبحة وتعالى يطلع هذا ويعرب هذا ويتعاقبان نصب الشمس والقمر والحوم على المظف، لأن السماوات منصوب لأنه معقول وعلامة نصبه الكسرة بيانه عن الفتحه لأنه جمع مؤنث سالم، والأرض معطوف على السموات منصوب بالفتح، ثم قال. والشمس والقمر معطوف على المنصوب، والمعطوف على المنصوب منصوب.

مسخرات منصوب على الحال، أي حال كونها مسخرات، وعلامة نصبه الكسرة بيانه عن الفتحه لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم قال ﴿آلَآءُ لِقَائِكُمْ وَالْآسْرُ﴾

إلا أدلة نبيه وتقرير له سبحانه وتعالى لا لغيره.
 المخلق وهو الإيجاد فهو القادر على الخلق إذا أراد
 سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء
 والأمر. أمره سبحانه وتعالى، وهو كلامه سبحانه
 وتعالى الكوني والشرعي

أمره الكوني الذي يأمر به المخلوقات بطيعته وتستجيب
 له، مثل قوله ﴿عَلَّامٌ الْغُيُوبِ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى الْأَرْضَ كِبَارًا﴾ (صافات
 ١١) أمرهما سبحانه، وهذا أمر كوني أمر به السماوات
 والأرض فتكومت ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى الْأَرْضَ كِبَارًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى الْأَرْضَ كِبَارًا﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى الْأَرْضَ كِبَارًا﴾ (س ٨٢) هذا أمر كوني

أما الأمر الشرعي فهو وجه العرف الذي يأمر به عباده،
 يأمرهم بعبادته، يأمرهم بالصلاة، يأمرهم بالزكاة، يأمرهم
 ببر الوالدين، هذا أمر الشرعي، يدخل فيه الأوامر والنواهي
 التي في القرآن الكريم وفي السنة النبوية هذا من أمر الله
 سبحانه وتعالى

إذا كان له الخلق والأمر فمادام بقي لغيره سبحانه وتعالى؟
 ولهذا يقول ابن عمر لما قرأ هذه الآية، قال من له شيء
 فليعلمه ودلت الآية على العرف بين الخلق والأمر فبعبه رد

على من يقولون بحلق القرآن، لأن القرآن من الأمر، وأمر الله ليس مخلوقاً، لأن الله عاير بين الحلق وبين الأمر فجعلهم شيئين متعابرين، والقرآن داخل في الأمر فهو غير مخلوق.

وهذا ما خصم به الإمام أحمدُ الجهمية لما طلبوا منه أن يقول بحلق القرآن قال: هل القرآن من الحلق أو من الأمر؟ قالوا: القرآن من الأمر، قال: الأمر غير مخلوق، الله عاير بين الحلق، فجعل الحلق شيئاً والأمر شيئاً آخر الأمر كلام، وأما الحلق فهو إيجاد وتكوين، يوجد فرق بينهما

تبارك الله، أي تعظم الذي هذه أفعاله سبحانه وتعالى وهذه قدرته وهذه مخلوقاته تبارك وتعالى

وتبارك فعل خاص به سبحانه فلا يطلق على غيره، والبركة هي كثرة الخير وسالماً، وبركات الله جل وعلا لا تشابه، أما المخلوق فلا يقال له تبارك إنما يقال له مبارك يعني بارك الله به وجعله مباركاً، والبركة كلها من الله سبحانه وتعالى

و ثبوت هو المعبود، والدليل قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ
النَّاسُ أَفْئُودًا زُرَّكُمُ الْيَوْمَ يَخِفُّكُمْ وَيَلْجِئُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ قُلُوبُكُمْ
تَلْقُونَ ۚ الْيَوْمَ يَجْعَلُ لَكُمْ الْأَرْضَ رِيشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَزْكً
بَيْنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ مِنْ ثَمَرِهِمْ رِيشًا لَكُمْ فَلَا يُجْعَلُونَ
بَيْنَهُمْ أَرْضًا وَلَا يُجْعَلُونَ بَيْنَهُمْ سَبِيلًا﴾ [الفرقة: ٢٢] [٩]

رب العالمين مثل ما سبق هي هذه الآية تقرير
لوحيد، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية كما سبق
[٩] قوله والرب هو المعبود، أي هو الذي يستحق العبادة،
وأما غيره فلا يستحق العبادة، لأنه ليس رثا، هذا وجه كلام
الشيخ رحمه الله بقوله الرب هو المعبود، أي هو الذي
يستحق العبادة، ثم أضاف لا يمكن أن الإنسان يقر بالربوبية بل
لا بد أن يقر بالعبودية لله سبحانه وتعالى، ويعملها مخلصا له
سبحانه وتعالى، فإما دام أقر أنه الرب، فإنه يلزمه أن يقر أنه
هو المعبود، وأن غيره لا يستحق شيئا من العبادة، والدليل
على أن العبادة حاصلة بالرب؟ قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ
أَفْئُودًا زُرَّكُمُ الْيَوْمَ يَخِفُّكُمْ وَيَلْجِئُ بَيْنَ يَدَيْكُمْ قُلُوبُكُمْ
تَلْقُونَ ۚ الْيَوْمَ يَجْعَلُ لَكُمْ الْأَرْضَ رِيشًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً وَأَزْكً
بَيْنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ مِنْ ثَمَرِهِمْ رِيشًا لَكُمْ فَلَا يُجْعَلُونَ
بَيْنَهُمْ أَرْضًا وَلَا يُجْعَلُونَ بَيْنَهُمْ سَبِيلًا﴾ [الفرقة: ٢٢]

يا أيها الناس هذا نداء من الله لجميع الناس المؤمنين والكفار؛ لأن الله ذكر في هذه السورة سورة البقرة انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام

القسم الأول المؤمنون الذين يؤمنون بالغيب ويؤمنون بيوم الآخر ووصفهم بأنهم هم المفلحون في قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]

القسم الثاني الكفار الذين أظهروا الكفر والعناد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْيُوسُفَ كَانَ صَوَّافًا فَسَوْفَ نَكْتُمُ آلَ يَدْرُسَ﴾ [البقرة: ٦]

القسم الثالث المنافقون الذين لبسوا مع الكفار ولبسوا مع المؤمنين ﴿مُتَدَبِّعِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ كَذِبَ وَلَا إِلَىٰ كَوْلَافٍ﴾ [النساء: ١٤] هم مؤمنون في الظاهر لكنهم كفار في الباطن، وهؤلاء شر من الكفار المحاهرين بكفرهم، ولهذا أمر الله بهم بضع عشرة آية، بينما أمر في المؤمنين آيات قليلة وفي الكفار أربعين، أما المنافقون صفاً ذكرهم من قوله: ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ مَا يَبْتَدِئُ الْإِيمَانَ﴾ [البقرة: ٨] إلى قوله: ﴿يَكْفُرُ الْبَغْيُ﴾ [البقرة: ٢٠]

هذا كله في المصنفين لشدة خطرهم وتبع فعلهم، وما
ذكر هذه الأصناف الثلاثة قال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ بهذا دعاء
لجميع الأصناف المؤمنين والكفار والمصنفين، قال العلماء
أول دعاء في المصنف هو هذا ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾
(البقرة، ٢١)

اصدوا عمل امر، أي أحضروا له العبادة، لماذا؟ لأنه
ربكم، والعبادة لا تصلح إلا للرب سبحانه وتعالى، ثم ذكر
السبب على ذلك وهو قوله ﴿أَنْتُمْ خَلْقُكُمْ﴾

والذين من قبلكم من الأمم كلهم، خلق الله سبحانه
وتعالى الملائكة والجن والإنس وجميع المخلوقات

لعلكم تتقون إذا تدبرتم هذا، فليعلم هذا أن بسبب لكم
انتقوى إذا تدبرتم أنه الذي خلقكم وخلق الدين من قبلكم،
لعلكم تتقونه سبحانه وتعالى في عبادته؛ لأنه لا يفي من
عباده إلا طاعته سبحانه وتعالى، لعلكم تتقون عبادي وتتقون
السر، لأنه لا يفيكم بها إلا عبادة ربكم الذي خلقكم والدين
من قبلكم.

ثم واصل الاستدلال على ربوبته وعبوديته سبحانه
وتعالى بقوله ﴿جَعَلَكُمْ الْأَرْضَ بِرَحْمَةٍ﴾ أي. بساطاً ﴿وَاللَّهُ

أنواع العبادة التي أمر الله بها وأدلة كل نوع

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: الحائق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة. وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان. [١٠]

جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَسَاجِدَ ﴿سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ١١﴾ أي مسوفة، ومراشاً، أي تعرشونها، نامون عليها، تسون عليها، تزدعون على ظهورها، تسيرون عليها في سركم أيما تريدون، فالأرض مونس ومهاد. ﴿وَالْأَرْضَ مَرْقَعًا قَعَمَ الْمُتَهَيِّدُونَ﴾ (الذاريات ١٨) لأجل مصالحكم

والسما بناء فالسما سفت الأرض وفيها مصالح للعباد ﴿وَأَرْزَقْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِقَائِهِ أَعْدَاءً وَأَنتُمْ قَتْلُومٌ﴾ (سورة البقرة ١٢)

[١٠] لما بين النسخ أن الرب هو المعبود واستدل بقوله تعالى ﴿يَتَذَكَّرُ أُنَاسٌ مِّنْهُمْ وَأَعِذُوا بِاللَّهِ حَقِّهِمُ الذِّكْرُ مِنَ قَبْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ استشهد بكلام ابن كثير رحمه الله في تفسيره للآية، وأرد أن بين أنواع العبادة وأدلة كل نوع، فالعبادة هي النعمة معها التذلل والخضوع، ومنه طريق معبد، يعني مدلل محصص بالمشي عليه

والعبادة قسمان :

القسم الأول : عبادة عامة لجميع الخلق ، كلهم عباد الله ،
المؤمن والكافر والعاصي والماثل كلهم عباد الله ، بمعنى
أنهم تحت تصرفه وقهره ، وأنهم تحت عبادته سبحانه
وتعالى ، هذه عبادة عامة لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ،
كلهم يقابلهم عباد الله ، بمعنى أنهم مخلوقون له ، مدللون
لا يبرح أحد منهم عن قوته وسلطانه ، كما قال تعالى
﴿ إِن مَّا مَكَّنُّهُ مِن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنِّي أَرْزُقُنِي عِيَا ۝ ﴾ (مريم
٩٣) هذا يشمل كل من في السموات والأرض المؤمن
والكافر ، كلهم يأنون يوم القيامة مفادين لله سبحانه وتعالى ،
س لأحد منهم شركة مع الله سبحانه وتعالى في ملكه .

القسم الثاني : عبودية خاصة بالمؤمنين كما قال ﴿ وَمَكَدُ
أَرْزُقِي نَفْسِي بِقُوتٍ مِّنَ الْأَرْضِ هُوَا ۝ ﴾ (المرقد ٦٢) . قال
تعالى ﴿ إِنَّا بِكَ أَوَىٰ لِيْلَٰةٍ لَّهِ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ۝ ﴾ (الحجر ١٦) قال
الشيطان ﴿ إِنَّا بِكَ لَشَتَّىٰ لِيْلَٰةٍ لَّهِ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ ۝ ﴾ (الحجر ١٠) هذه
عبودية خاصة وهي عبودية الطاعة والتقرب إلى الله بالتوحيد .

والعبادة في الشرع أحلف العلماء في تعريفها ، يعني
احتلفت عباراتهم في تعريفها والمعنى واحد ، فهم من

يقول: العادة غاية الدل مع غاية الحب كما قال ابن القيم في السونية:

وعبادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مع دُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَايَا
عَرَفْنَاهَا بِأَنَّهَا غَايَةُ الْحُبِّ مع غَايَةُ الدِّل.

ومعهم من يقول: العبادة هي ما أمر به شرعاً من غير
الطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي.

لأن العادة توقيعه لا تثبت بالمقل ولا بالعرف وإنما
تثبت بالشرع، وهذا تعريف صحيح

ولكن التعريف الجامع المانع هو ما عرفه بها شيخ
الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «العبادة اسم جامع
لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الطاهرة والباحة».

هذا التعريف الجامع المانع، وهو أن العبادة اسم لجميع
ما أمر الله به، ففعل ما أمر الله به طاعة لله، وترك ما نهى الله
عنه طاعة لله، هذه هي العبادة، ولا تنحصر أنواعها، أنواعها
كثيرة، كل ما أمر الله به فهو عبادة، وكل ترك لما نهى الله عنه
طاعة لله هو عبادة، ولا تنحصر أنواعها، أنواعها كثيرة كل ما
أمر الله به فهو عبادة، وكل ما نهى الله عنه فتركه سواء كان

قوله رحمه الله مثل الإسلام والإيمان والإحسان. هذه الأنواع الثلاثة أعظم أنواع العبادات، الإسلام والإيمان والإحسان، وسيأتي شرحها في كلام الشيخ رحمه الله في الأصل الثاني، وذكرها هنا لأنها من أنواع العبادات، فالإسلام بأركانه الخمسة الشهادة، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، هذه كلها عبادات مالية وبديعية، وكذلك الإيمان بأركانه الستة وهو من أعمال القلوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، هذا عبارة قلبية

كذلك الإحسان وهو ركن واحد، وهو أن نعد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. هذا أعلى أنواع العبادات لأن الإحسان هو أعلى أنواع العبادات وهذه تسمى مراتب الدين، لأن مجموعها هو الدين، لأن جبريل لما سأل النبي ﷺ بحضرة أصحابه وأجابته النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم^(١) فسمي هذه الثلاثة الدين

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٧)، ومسلم (٨) و(٩) و(١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

الدعاء أقسامه ودليله

ومنه الدعاء، وال خوف، والرَّجاء، والتَّوَكُّلُ،
والرَّعْبَةُ، والرَّهْبَةُ، والحُشُوعُ، والإِنَابَةُ، والاستِيعَاةُ،
والاستِيعَاةُ، والذُّبُحُ، والتَّدْرُجُ، وغير ذلك من أنواع
العبادة التي أمر الله بها كلها الله تعالى [١٢]

[١٢] قوله ومنه الدعاء، أي ومن أنواع العبادة الدعاء،
بدأ به لأنه أعظم أنواع العبادة

والدعاء على قسمين

دعاء عبادة، ودعاء مسألة:

دعاء العبادة هو الشاء على الله سبحانه وتعالى كما في
أول الفاتحة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ① الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ ② مِنْكَ يَوْمَ الدِّينِ ③ يَا أَلَكُ تَعَبَّدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِيبُ ④ هذا كله دعاء عبادة، ﴿أَعِدْهُمُ الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة هذا دعاء مسألة

ودعاء المسألة هو طلب شيء من الله عز وجل كطلب

الهداية، وطلب الرزق، وطلب العلم من الله، وطلب
التزويج

والدليل قوله تعالى ﴿وَأَنَّ السَّجْدَ لِلَّهِ لَا تَدْعُوا مَعَ
أَنفُسِكُمْ﴾ (الحج - ١٨). [١٣]

[١٣] المساجد تطلق ويراد بها أماكن السجود والباق التي
يُصَلَّى فيها، وهي أحب البقاع إلى الله عز وجل، قد جاء
البرغيب في بيانها واعدادها، قال رحمه الله: فمن منى مسجدًا لله
كمحصن فطريق، أو أحضر، سى الله له بيتًا في الجنة^(١)

يقول الله ﴿إِنَّمَا يَحْتَرُّ مَسْجِدَ أُتُوْا مِنْ بَيْنِكُمْ يَوْمَ
الْحُجَّةِ﴾ [التوبة ١٨] والمراد بالعمارة، العمارة الحسية
والمعنوية عمارتها بالطير وما نحتاج إليه حتى تأوي
المصلين، وتظلمهم من الحر، ويكفهم من البرد، وعمارتها
بالعبادة بالصلاة وتلاوة القرآن وذكر الله عز وجل ونطق
المساجد ويراد بها أعضاء السجود السبعة، وهي الجبهة
والأعضاء، واليدين والركبتان وركبوس القدمين لأنها تسجد
له، والآية تشمل المعيين ﴿وَأَنَّ السَّجْدَ﴾ أي البقاع
التي يُصَلَّى فيها، وأعضاء السجود لله عز وجل

(١) أخرجه أحمد ٥٢ / ٢ (٢١٥٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما،
وأخرجه ابن ماجه (٧٢٨)، وابن خزيمة (١٢٩٢) من حديث جابر بن
عبد الله رضي الله عنه

فمن حَزَفَ شيئاً منها لعير الله فهو مُشْرِكٌ كافرٌ
والدليلُ قولُه تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا مَعَرًّا لَا

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ لا تجعلوا هذه المساجد وهذه
البقاع محلاً للشرك ودعوة غير الله، بل يجب أن تظهر
المساجد من الشرك، فلا يكون فيها قبور، ولا يكون فيها
دعاء لعير الله، ولا يكون فيها مذبح ومحدثات وحلفات
صوفية مستدعة

يجب أن تظهر المسجد عن المذبح والشرك والمعصية،
لأنها لله عز وجل فلا يكون فيها إلا ما يرضي الله عز وجل،
فلا تدعوا مع الله أحداً في هذه المساجد، أو تستخدموا
أعضاءكم بالسجود لعير الله عز وجل؛ لأن هذا شرك أكبر
كالذي يسجد للنصم أو للغير أو يسجد نفوس بهذا يسجد
لعير الله عز وجل.

الشاهد في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أمر بإخلاص
الدعاء له وحده.

وقوله ﴿أَحَدًا﴾ يعنى كل مدعو من دون الله سواء كان
ملكاً أو نبياً أو ولياً أو شجرًا أو حجرًا، يعنى كل من دُعي من
دون الله عز وجل فإنه يكون شركاً أكبر

بُرْهَنَ تَوْبَهُ، وَلَيْسَا جَسَامٌ يَجِدَ رَيْبَهُ إِنَّهُمْ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
[المؤمنون، ١١٧]

وفي الحديث: «الدُّعَاءُ مَخُ الْعِبَادَةِ»^(١)

والدليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَٰلِجِينَ﴾ [عامر، ٦٠-٦١] [١٤]

[١٤] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ﴾ أي أَمَرَكُمْ وَكَلَّمَكُمْ وَقَالَ ﴿ادْعُونِي﴾ أَسْتَجِبْ لَكُمْ أَمَرَ بِدَعَائِهِ سُبْحَانَهُ وَوَعَدَ بِالِاسْتِجَابَةِ، وَهَذَا مِنْ كَرَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّهُ عَمِيَ عَنْ دَعَائِنَا، وَلَكِنَّا مَحْتَاجُونَ لِدَعَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهُوَ بِأَمْرِنَا بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَسَّرَ بِفَعْلِهِمَا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ بِعَصَبٍ إِذَا تَرَكْتَ سُؤَالَهُ يَسْمَعُ الْمَخْلُوقُ بِعَصَبٍ إِذَا سَأَلَ، وَلِهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ
اللهُ بِعَصَبٍ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ

وَبَنِي أَقْدَمَ حِينَ يُسَالُّ بِعَصَبٍ

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه،

وهي مستلذة ابن لهيعة، صحيح بصري، قال الترمذي هذا حديث

عريب من هذا الوجه لا يعرفه إلا من حديث ابن لهيعة

ويقول آخر:

فلو مثل الناس الثرات لأوشكوا

إذا قيل هاتوا أن يملأوا ويصعروا

فالناس أقسام ثلاثة.

الأول: من لا يدعو الله أصلاً، فيكون مستكبراً عن عبادة الله.

الثاني: من يدعو الله، ولكن يدعو معه غيره فيكون مشركاً

الثالث: من يدعو الله محلياً له الدعاء، فهذا هو الموحّد

في الحديث أن النبي ﷺ قال: «الدعاء مع العبادة» وفي رواية: «الدعاء هو العبادة»^(١) فهذا يدل على عظيم الدعاء وأنه أعظم أنواع العبادة لأن الرسول ﷺ قال: «مع العبادة»

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجة (٣٨٢٨)

من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث

وفي رواية «الدعاء هو العادة» والرواية الثانية أصح من
رواية «الدعاء مع العادة» والمعنى واحد

فالحديث بروايته يسى عظمُ الدعاء، وأنه هو النوع
الأعظم من أنواع العادة كما قال ﷺ «الحج عرفة»^(١١)
معنى أن الوقوف بعرة في الحج هو الركن الأعظم من
أركان الحج، وليس معناه أن الحج كله هو عرفة، ولكن
الوقوف بعرفة هو أعظم أركان الحج، كذلك ليست العادة
محصورة في الدعاء ولكن الدعاء هو أعظم أنواعها، ولهذا
قال «الدعاء هو العادة» من باب تعظيم الدعاء وبيان
مكانته.

ثم ذكر الشيخ رحمه الله أدلة أنواع العبادة التي ذكرها
وهي: الحروف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة،
والخشوع، والخشية، والإمانة، والاستعانة، والاستعاذة،
والذبح، والفسر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها
كلها له فقال رحمه الله:

(١١) أخرجه أبو حازم (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والبيهقي (٣٠١٦).

وأيضاً ما جاء (٣٠١٥) من حديث عبد الرحمن بن يونس القهبي رضي الله

الحروف أنواعه ودليله

ودليل الحروف قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا دَرَكِكُمُ الشُّعْبُكُ
يُخَوِّفُ أَزْوَاجَهُمْ فَلَا يَحَافُوهُمْ وَحَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل
عمران: ١٧٥]، [١٥]

[١٥] الحروف نوع من أنواع العبادة وهو عبادة قلبية، وكذلك
الحروف والمخشبة والرعية والرهبة والرجاء والتوكل كل هذه
عبادات قلبية

والخوف هو ترفع المكروه، وهو موعظ:

حرف العبادة، والحروف الطبيعي

النوع الأول حرف العبادة، هذا صرفة لعباد الله شرك،
ودلت بأن يحاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، كأن
يحاف أحداً أن يمرضه، أو أن يفسد روحه، أو يبيت ولده،
كما يفعل كثير من الجاهل يحافون على حمل زوجاتهم
وعلى أولادهم من البحر، يحافون من السحرة، أو من
الموتى، يحصلون أعمالاً شركية لأجل أن يتخلصوا من هذا
الحوف، فهذا لا يقدر عليه إلا الله، الأمراض والموت
والرق وقطع الأجل، هذه أمور لا يقدر عليها إلا الله عز وجل
وكذلك إزال البركة أو غير ذلك، هذه أمور لا تكون إلا من

له عمر وجل وإذا حاف أحدًا من شيء لا يقدر عليه إلا الله، فهذا شرك أكبر، لأنه صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله عز وجل، كالذين يحامون من القبور ومن الأصرة ومن الجن ومن الشياطين أن تمسهم سوء أو أن تزل بهم ضررًا فيدعونه يتقربون إلى هذه الأشياء لدفع ضررها أو خوفًا منها، هذا شرك أكبر يقول أصحاب إن لم أدرج له أن يصيب أو يصبب أولادي أو مالي أو ما أشبه ذلك، كما قال قوم هود ﴿إِنْ مَوْلَايَ إِلَّا اتَّقَيتُمْ يَتَقَرَّبَ إِلَهِتَا يَسْتَوِي﴾ يهدونه بآلهتهم وبحوموم بآلهتهم ﴿قَالَ يٰٓإِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَهُ وَأَتَقَرَّبُ إِلَهِ بَرِيءٌ وَإِنَّا فَتْرِكُونَ ۝ يٰٓمُكِيدُوْا جِمَاثَكُمْ لَا تُطْرَدُونَ ۝ إِنِّي مُوَكَّلْتُ عَلَىٰ آلِهَتِي وَتِلْكَ ۝﴾ [هود ٥٤-٥٦] هذا هو التوحيد تحذاهم كلهم هم وآلهتهم.

﴿يَكِيدُوْنَ جِمَاثَكُمْ لَا تُطْرَدُونَ﴾ لا تمهلوني بل من الآن مكيدوني، ولم يقدرُوا عليه شيء بل نصره الله عليهم.

والذي يحاف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله هذا يكون قد أشرك الشرك الأكبر وهذا يسمى خوف العبادة وخوف الشرك كثير هي الناس، يحامون من القبور أو من الأولياء، يدعونه من الشياطين، يحامون من الجن، ولذلك يقومون

يتقدمهم انقربات لهم، يقدمون لهم الذبائح والبدور والأطعمة وغير ذلك كإلقاء النقود على أصرحتهم من أجل أن يسلموا من شرهم أو يبالغوا من جبرهم، فهذا هو خوف العبادة

النوع الثاني الخوف الطبيعي وهو أن تخاف من شيء ظاهر بقدر على ما تخافه به، كأن تخاف من الحية أو العقرب أو من العدو هذه أمور ظاهرة ومعروفة فالخوف منها لا يسمى شركاً، هذا خوف طبيعي من شيء ظاهر معروف؛ لأنك تخاف من سب ظاهر ومطلوب الوقاية به، والمخدر به، تأخذ السلاح، تأخذ العصا لتقتل الحية والعقرب وتقتل النمس؛ لأن هذه أمور محسوسة، وفيها صبر معلوم، فإذا خفت منها فهذا لا يسمى شركاً بل يسمى خوفاً طبيعياً

ولهذا قال الله في موسى عليه السلام ﴿خَرَجَ بِهَا خَائِفاً﴾ أي من البلد ﴿خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [النصر ٢١] خائفاً من أعدائه لأنه قتل منهم بعضاً

وهرب عليه عليه الصلاة والسلام إلى مدْيَنَ، وكان يترقب ويحشى أن يلاحقوه، فهذا خوف طبيعي، لكن تعلم الإنسان أن يعتصم بالله عز وجل ويأخذ بالأسباب التي تدفع عنه الضرر، ويعتمد على الله عز وجل ويتوكل على الله، قال

الرجاء ودليله

ودليل الرجاء قوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَعَلَّهُ﴾ [الكهف: ١١٠]. [١٦]

تعالى ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ لَعَلَّهُ﴾ [الكهف: ١١٠] (آل عمران: ١٧٥)
هذه الآية في سورة آل عمران في قصة النبي ﷺ مع المشركين
يوم أُحد لما توجههم المشركون وقالوا مرجح إليهم
وستأصلهم، فله حل وعلا يقول ﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْفَلَكِ الْيَحْيَى الْيَوْمِ
أُولِيَاءُكُمْ فَلَا تَحْفَظُهُمْ وَنَحْفَظُكُمْ إِن كُنتُمْ قَوْمِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]
أي أن هذا التهديد وهذا الوعيد إنما هو من الشيطان، أي
يحرفكم أوليائه أو يحرف من أقداره من الناس وحده،
لأنه يفسد عليهم

[١٦] قوله تعالى من كان يرجو يعني يطمع في ثواب الله
عز وجل ورؤيته عياناً يوم القيامة، من كان يطمع في أن يرى
الله عياناً يوم القيامة فليعمل عملاً صالحاً يأتي بالناسب الذي
يؤهله لحصول هذا المطلوب، وهو الثواب بدخول الجنة،
والنجاة من النار، والطمع إلى وجه الله، لأن هذا متلارم، لأن
من دخل الجنة فإنه يرى الله عز وجل ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ

تَيْمَنَنَّ مَخْلًا صَالِحًا ﴿ هذا يدل على أن الرجاء وحده لا يكفي ،
لا بد من العمل ، أما أنت ترجو الله ولكنك لا تعمل فهذا
تعطيل للسبب ، فالرجاء الم محمود هو الذي يكون معه عمل
صالح ، أما الرجاء غير الم محمود فهو الرجاء الذي ليس معه
عمل صالح ، والعمل الصالح ما توفى فيه شرطان

الأول الإخلاص له عز وجل

الثاني المصاحبة للرسول ﷺ .

فالعامل لا يكون صالحًا إلا إذا توفى فيه هذان الشرطان
أن يكون خالصًا لوجه الله ليس فيه شرك وأن يكون صوابًا
على سُنَّة رسول الله ﷺ ، ليس فيه بدعة ، وإذا توفى فيه
الشرطان فهو صالح ، وإن احتل فيه شرط فإنه يكون عملاً
فاسدًا لا ينفع صاحبه .

فالعامل الذي فيه شرك يرد على صاحبه ، كذلك العمل
الذي فيه بدعة يرد على صاحبه قال ﷺ . « من عمل عملاً
ليس عليه أمرنا فهو رده »^(١) فهذه الآية فيها الرجاء وأنه عبادة
الله عز وجل ، وفيها أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل الصالح

(١) سلف لتبرجده من ٢٥

التوكل ودليله

ودليل التوكل قوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مَوْضِعِينَ﴾ [المائدة ٢٣] [١٧]

[١٧] التوكل هو التعويض والاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وتعويض الأمور إليه سبحانه وتعالى هذا هو التوكل، وهو من أعظم أنواع العبادة، ولهذا قال ﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مَوْضِعِينَ﴾ قدم الحار والمحذور على العامل ليفيد الحصر

﴿وَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلُوا﴾، أي عليه لا على غيره، ثم قال ﴿إِن كُنْتُمْ مَوْضِعِينَ﴾، فجعل من شرط الإيمان التوكل على الله سبحانه وتعالى، ودل على أن من لم يتوكل على الله ليس بمؤمن، فالتوكل عبادة عظيمة، فالمؤمن دائماً يتوكل على الله، ويعتمد على الله عز وجل، والله من أسمائه الوكيل، أي الموكل إليه أمور عباده سبحانه وتعالى، فالتوكل لا يكون إلا على الله، ولا يجوز أن يقول توكلت على فلان، لأن التوكل عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله.

أما إذا أسندت إلى أحد من الخلق نصراً، فهذا لا يسمى توكلاً إنما يسمى توكيلاً، والوكالة معروفة أنك توكّل أحداً

ينقصي لك حاجة، وقد وكل الشئ من بيوتك عنه في بعض الأعمال، فالتوكيل غير التوكل، فالتوكل عبادة ولا تكون إلا لله، ولا يجوز أن تقول توكلت على فلان، وإنما تقول: وَكَلْتُ فلاناً

ومع هذا أنت توكله ولا تتوكل عليه، وإنما تتوكل على الله سبحانه وتعالى فلاحظوا الفرق بين الأمرين التوكل والتوكيل.

ومن صفات المؤمنين ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأحزاب ٢] هذه من صفات المؤمنين، فالتوكل عبادة عظيمة لا تكون إلا لله عز وجل، لأنه هو العادر على كل شيء، وهو المالك لكل شيء، وهو الذي يقدر أن يحقق لك مطلوبك، أما المخلوق فإنه قد لا يقدر أن يحقق لك مطلوبك، فإنك توكله في قضاء شيء من الأمور، لكن تتوكل على الله في حصول ذلك الشيء.

ثم أيضاً لعلم أن التوكل لا يأتي بالأحزاب بالأسباب، فيجمع المسلم بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب، ولا يأتي بهما، فأتت تعمل الأسباب التي أُمِرَتْ بعملها، ولكن

المرغبة والرغبة والحشوع ودليل كل

ودليل الرغبة والرغبة والحشوع قوله تعالى:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ بِالنَّارِ وَالْحَمِيمِ وَيَدْعُوكَ رَجَبًا وَرَجَبًا وَكَانُوا لَنَا غَنُوجًا﴾ [الأنبياء: ٩٠] [١٨]

لا تعتمد على الأسباب، وإنما تعتمد على الله أنت تزرع
الزرع في الأرض، هذا سبب، ولكن لا تعتمد على زرعك
وفعلك، بل تعتمد على الله في نمو هذا الزرع وتسميره
وحمايته وإصلاحه، ولهذا يقول ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣-٦٤] والزرع الحقيقي
هو الله، أما أنت فقد فعلت شيئاً فقط قد ينتج هذا الزرع
ويست وقد لا ينتج، وإذا است قد يصلح وقد لا يصلح، قد
يصاب بأفة، يذهب

[١٨] الرغبة هي طلب الشيء المحمود

الرغبة هي الخوف من الشيء المرهوب، قال تعالى

﴿فَرَأَيْنَا تَارَ تَتَابُوعٍ﴾ [البقرة: ١٠] وهي نوع من الخوف، الرغبة
والخوف بمعنى واحد.

الحشوع نوع من التذلل لله عز وجل، والحشوع والتذل

بين يديه سبحانه وتعالى وهو من أعظم مقامات العبادة

قوله تعالى ﴿يُنْهَى﴾ الصغير يرجع للأبياء، لأن سورة الأنبياء، قد ذكر الله قصص الأنبياء فيها ثم قال ﴿يُنْهَى﴾ حِكْمًا يُكْرَهُونَ فِي الْحَيَازِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَحِكْمًا لَّا حَتْمِيَّكَ ﴿قوله تعالى﴾ ﴿يُكْرَهُونَ فِي الْحَيَازِ﴾ أي يتسابقون إليها، ويبادرون إليها هذه صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتكسفون ولا يتعاجرون، وإنما يمارعون إلى فعل الحيرات، ويتسابقون إليها

قوله تعالى ﴿وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا﴾ أي طمعًا لما عند الله عز وجل، طمعًا في حصول المطلوب

قوله تعالى ﴿وَرَهْبًا﴾ أي خوفًا مما، يدعون الله أن يرحمهم، ويدعونه ألا يعذبهم، وألا يؤاخذهم، وألا يعاقبهم، فهم يطمعون في رحمة الله ويخافون من عذابه، كما قال تعالى ﴿أَلَمْ يَدْعُوا وَلِيِّيَ يَدْعُونَكَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَيْسِيَّةَ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ وَرَبُّهُمْ رَحِيمٌ فَتَقَاتَلَ عَذَابُهُ﴾ [الأنعام ٥٧] فهم يدعون الله خوفًا منه، ويدعونه أيضًا طمعًا فيما عنده يدعون الله أن يقدّر لهم الخير، ويدفع عنهم الشر ﴿وَحِكْمًا لَّا حَتْمِيَّكَ﴾ أي حاصصين متدليلين متواضعين لله عز وجل،
مجموعاً بين الصفات الثلاث

الحشية ودليلها

دليل الحشية قوله تعالى ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ [البقرة:

١٥٠]، [١٩]

الرغبة والرغبة والخشوع، هذه سمات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وهذه الأنواع الثلاثة من أنواع العبادة لله عز وجل

وهي ردة على الصوفية الذين يقولون نحن لا نعبد الله رغبة في ثوابه ولا خوفاً من عقابه، وإنما نعبد الله محبة له فقط، هذا كلام باطل، لأن الأنبياء يدعون الله رباً وربّاً وهم أكمل الخلق

[١٩] الحشية نوع من الخوف، وهي أحسن من الخوف وقيل الحشية خوف بشوّه تعظيم، قال تعالى ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ﴾ أمر الله سبحانه وتعالى بحشيتهم وحده

وقال تعالى في الآية ﴿فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِي وَلَا تُؤْمِنُوا بِشَيْءٍ غَيْرِيَّ وَقُلْتُ لَكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ فامر بحشيتهم سبحانه وتعالى، وقال في صفة المصلين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [المعارج ٢٧] أي ساهون هؤلاء خواص الخلق يحسون الله عز وجل وقال عن الملائكة ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ حَتَمٍ

الإجابة ودليلها

ودليلُ الإجابة قوله تعالى ﴿وَأَيُّكُمْ﴾
وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ [الرمر ٥٤] [٢٠]

وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الحل ٥٠] خواص الخلق من الملائكة والرسل والأولياء والصالحين يكونون على غاية عظيمة من خشية الله عز وجل والخوف منه سبحانه وتعالى والرهبة منه، فالرهبة والخوف والخشية، كلها بمعنى واحد وإن كان بعضها أخص من بعض، إلا أنها يجمعها الخوف من الله سبحانه وتعالى، وهذه من صفات الأنبياء وعبيد الله الصالحين، وهي أنواع عظيمة من أنواع العبادة، وهي من أعمال القلوب التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى

[٢٠] الإجابة الرجوع وهي معنى التوبة، والتوبة والإجابة بمعنى واحد ولكن بعض العلماء يقول الإجابة أخص من التوبة، أي: أكد لأنها توبة مع إقبال إلى الله عز وجل، أي توبة خاصة، والإنسان قد يتوب ويترك الذنب ولا يعود إليه، ويعدم عليه، ولكن قد يكون في الإقبال على الله إقبال ضعيف، أما الإجابة فهي إقبال على الله عز وجل، ولهذا قيل ﴿وَأَيُّكُمْ﴾
إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَكُمْ﴾ أي ارجعوا له، وأقبلوا عليه سبحانه

الاستعانة ودليلها

ودليل الاستعانة: ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا فَتَنَنَّا﴾

[العنكبوت: ٥]

ونعاني ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَبُونَ﴾ إذا جاء العذاب المهلك الماحق فإنها لا تقبل ثوبة من نال به عذاب ذلك ﴿إِلَّا قَوْمٌ يَبُوءُونَ لَنَا بِكَافَمُوا كُفَّتَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَبِيرِ﴾ [يونس ٩٨] هذا مستثنى، وإلا فإنه إذا نال العذاب المهلك فإنها لا تقبل الثوبة، ولهذا قال ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَبُونَ﴾

فالثوبة والإمامة لهما أهل ولهما حد، فلا تقبل ثوبة من هرعز أو من حضره الموت، ولا تقبل ثوبة من نال به العذاب الماحق المهلك، ولا تقبل الثوبة إذا خرجت الشمس من معربها قبل قيام الساعة، لا تقبل الثوبة حينئذ، فإنه يبحث بعدد على الثوبة والإمامة قبل انتهاء أجله ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَبُونَ﴾

الشاهد قوله: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ دل على أن الإمامة نوع من أنواع العادة لأنه قال ﴿إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا فَتَنَنَّا﴾ فهذا يدل على أنها نوع من أنواع العادة

وفي الحديث «إِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَنْسِ» بالله^(١). [٢١]

[٢١] الاستعانة طلب العون، وهي على نوعين

النوع الأول الاستعانة بشيء لا يقدر عليه إلا الله، بهذه صرّفها ليعبر الله شرك، من استعان بغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله فإنه قد أشرك، لأنه صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله عز وجل.

النوع الثاني الاستعانة فيما يقدر عليه المخلوق، فأتت نستعين بأحد أن يسي معك الحدار، أو أن يحمل معك مناعتك أو أن يمسك على مطلوب صاح، كما قال تعالى ﴿وَسَلُّوا عَلَى آلِيهِ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِلْمِ وَالْمُدْرِينَ﴾ (العنكبوت: ٢) بالاستعانة في الأمور العادية التي يقدر عليها الناس، هذا النوع لا بأس به، لأنه من التعاون على البر والتقوى، وقال ﷺ «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من حديث من عاص رضي الله عنهما

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أما الاستعانة بالمخلوق في شيء لا يقدر عليه إلا الله،
مثل جلب الرزق، ودفع الضرر، فهذا لا يكون إلا لله،
ولا استعانة بالأموات، والاستعانة بالجن والشياطين،
والاستعانة بالعائسين، وهم لا يسمعونك تهتف بأسمائهم،
هذا شرك أكبر، لأنك تستعين بمن لا يقدر على إغاثتك

فقوله تعالى ﴿إِنَّا كَنَعِدُّوْا۟ إِنَّكَ كَسْتَمِعُ﴾

إياك تعبد هذا فيه تقديم المعمول على العامل،
المعمول إياك في محل نصب، وبعد هذا هو العامل الذي
نصب إياك، وتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر

فمعنى إياك تعبد أي لا تعبد غيرك، فحصر العبادة في
الله عز وجل.

وإياك تستعين فحصر الاستعانة بالله عز وجل وذلك في
الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى

وهي قوله إياك تستعين، براءة من الحول والقوة، وأن
الإنسان لا قوة له إلا بالله، ولا يقدر إلا بالله عز وجل، وهذا
حاجة استعانة الله إذا تبرا من الشرك، وتبرا من الحول ومن القوة
فهذا حاجة استعانة الله عز وجل

الاستعانة ودليلها

ودليل الاستعانة قوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّي
الْعَلِيِّ﴾ [العنق: ١]. [٢٢]

[٢٢] الاستعانة طلب الالتجاء إلى من يصحك من محذور
تجاهه من أجل أن يدفع عنك هذا الشيء، هذه هي الاستعانة
والاستعانة نوع من أنواع العادة لا يجوز أن تستعيد
عبر الله عز وجل، فمن استعان بقبر أو يوتس أو بأي شيء غير
الله عز وجل فإنه يكون مشركاً بالشرك الأكبر، وقال تعالى
﴿وَلَقَدْ كَانَ يَكْفِئُ بَيْنَ الْإِنسِ يَوْمَئِذٍ يَكْفِئُ بَيْنَ لَيْلِي رَأَدُوهُمْ وَهَكَأُ﴾
[الحج: ٦].

كان العرب في جاهليتهم إذا مرلوا في مكان من الأرض
يقول أحدهم أعوذ سيد هذا الوادي، أي: كبير الحج،
يستعيد به من شر سبها قومه

فقال النبي ﷺ مطلقاً لذلك وميضاً لما يشرع بدله: من
مرل منراً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق،
لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك^(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) من حديث حوله من حكيم السلمية رضي الله

هذا هو الدليل الصحيح ، الاستعانة بكلمات الله التامات
بدلاً من الاستعانة بالجن

قال تعالى ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَلَقِ ﴾

العلق هو الصبح ، ورب العلق هو الله سبحانه وتعالى
كما قال تعالى ﴿ قُلْ أَتُشْرِكُ ﴾ [الأنعام : ١٦] أي مظهر
نور الصبح في ظلام الليل من الذي يفلتر على هذا إلا الله
سبحانه وتعالى

﴿ أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَلَقِ ﴾ أي رب الصبح إذا أصبح ،
المائل المتصرف فيه العادر عليه

﴿ وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ هذا يشمل شر جميع المخلوقات ،
يستعبد بالله من شر جميع المخلوقات

هذا بكفيت عن كل استعانة أو نعوذ مما يفعلُه الناس
﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ .

الغاسق هو ظلام الليل ، لأن ظلام الليل يخرج فيه
الوحوش والسباع ، فأنت تقع في خطر ، تستعبد بالله من شر
هذا الظلام وما تحته من هذه المؤذيات .

﴿ وَمِنْ شَرِّ الْفَسْخِ وَالْجَأْدِ ﴾ وهي السواحر
تستعبد بالله من السحر وأهله ، لأن السحر شر عظيم

وقوله تعالى ﴿قُلْ أَصْحَابُ يَرْبِّ الْكَافِرِينَ﴾ [الباس]

[١]. [٢٣]

﴿وَمِنْ شَرِّ مَا يَجْعَلُونَ إِذَا حُكِّدَ﴾

الحاكِد هو الذي ينمى روال النعمة عن الغير، إذا رأى على أحد نعمة فإنه يمتاط وينمى روال هذه النعمة حسداً وبعثاً والعياد بالله، وهو من أعظم الحاصل المدمومة لأن فيه اعتراضاً على الله، وفيه إساءة إلى الحق

ويدخل فيه العاش، الذي يصب سطرته، لأن الإصاصة بالعين نوع من الحسد، فأنت تسعيد الله من هذه الشرور، عدل على أن الاستعادة عيادة لا يجوز أن تصرف لغير الله، فلا تستعد بالمخلوق، ومن استعاد بمخلوق فقد أشرك بالله عز وجل، والذي يقرن لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما، «إذا استعنت فاستعن بالله»^(١)

[٢٣] وفي قوله تعالى ﴿قُلْ أَصْحَابُ يَرْبِّ الْكَافِرِينَ﴾ تخطيط الكافرين : إِنَّهُمْ الْكَافِرِينَ : مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِينَ : الْوَسْوَاسُ يُؤْتِي السُّخْرَىٰ مَا حُدِّدُوا الْكَافِرِينَ : مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ : أمر الله عز وجل بالاستعانة برب الناس ملك الناس به

الاس، هذه كلها أسماء وصفات لله عز وجل، وفيها أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الرمزية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

استعد بالله وبهذه الأسماء والصفات، استعد بالله من شر الوَسْوَاس وهو الشيطان، أما الوَسْوَاس بالكسر فهو مصدر وَشَّوَسَ يُوْشِوِسُ، وأما الوَسْوَاس بهذا اسم من أسماء الشيطان، لأنه يوسوس للإنسان ويحيل إليه، ويشغله من أجل أن يلقي في قلبه الرعب والتردد والحيرة في أمور، خصوصاً في أمر العبادة، فإن الشيطان يوسوس للإنسان في العبادة حتى يُلْطِش عليه صلاته أو عبادته، ثم ينتهي به الأمر إلى أن يفرح من الصلاة ويعتد أنها بطلت، أو يصلي ثم يعتقد أنه على غير وعوده، أو أنه ما قام لكده، أو أنه ما فعل كذا، ويصبح في وسواس ولا يطمئن إلى عبادته.

عنه جل وعلا أعطانا الدواء لهذا الخطر وذلك بأن يستعيد بالله من شر هذا الوَسْوَاس

الحساس الذي يتحلف ويتعد، فهو يوسوس إذا فعلت عز ذكر الله، ويحس، أي يتأخر إذا ذكرت الله عز وجل، فهو وسواس مع العجلة، وحاس عند ذكر الله عز وجل

﴿الَّذِي يُؤْتِيهِمْ مِنْ جُذُورِ الْكَايِ نَاتِ مِنَ الْيَتْرِ
وَالْكَاسِ﴾. كَانَ الْمَعْنَى - وَاللهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُ هُنَاكَ يَوْسُفُوسُ
مِنَ الْجِنِّ وَمِنَ الْإِنْسِ يَوْسُفُوسُ لِلنَّاسِ، يَأْتُونَ النَّاسَ
وَيُشَكِّكُونَهُمْ، فَكَيْفَا أَنْ لِلْجِنِّ شَيْطَانِينَ يَوْسُفُوسُونَ فَكَيْدُكَ
لِلْإِنْسِ شَيْطَانِينَ يَوْسُفُوسُونَ فَأَنْتَ مُسْتَعِيدٌ نَافَهُ مِنْ شَرِّ الْفِيلِيسِ
وَلِهَذَا يَقُولُ السَّيِّدُ ﷺ أَمَا تَعْلَمُونَ شُعْرَةً بِمِثْلِهِمَا^(١) أَيْ
هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فَيَعْنِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَفْرَأَهُمَا فِي أَدْبَارِ الصَّلَاةِ
وَيَكْرُرَهُمَا وَيَقْرَأَهُمَا عِنْدَ الْيَوْمِ مَعَ آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَسُورَةِ
الْإِحْلَاصِ.

يَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، وَسُورَةَ الْإِحْلَاصِ وَالْمَعْدُونِ،
يَفْرُزُهُمَا دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ وَيَكْرُرُهُمَا ثَلَاثًا بَعْدَ الْمَعْرُوفِ وَبَعْدَ
الْمَعْمُورِ، وَكَذَلِكَ يَفْرُزُهُمَا عِنْدَ الْيَوْمِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَعَدَّ عَنْهُ
الشَّيْطَانُ فَلَا يَكْتُمُ عَلَيْهِ نَوْمَهُ وَيَرْجِعُهُ بِالْأَحْلَامِ.

الشَّاهِدُ مِنَ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالِاسْتِعَادَةِ بِهِ
وَحَدَّثَهُ عَلَى أَنَّ الْاسْتِعَادَةَ مُعْبَرٌ مِنَ الْجِنِّ أَوْ مِنَ الْإِنْسِ أَوْ
مِنْ أَيِّ مَخْلُوقٍ لَهُ لَا يَحْجُورُ لِأَنَّهَا تَوَسَّعَتْ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ

(١) أَمْرُهُ أَبُو دَاوُدَ (١١٦٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٣/٨)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٨٠/٢٨).

(١٧٢٩٧) مِنْ حَدِيثِ خُصَّةٍ مِنْ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الاستعانة ودليلها

ودليل الاستعانة: ﴿إِذَا تَسْتَعِينُونَ رَبَّكُمْ فَأَسْتَجِبْ
لَكُمْ﴾ [الاعمال ٩] [٢٤]

[٢٤] الاستعانة هي نوع من أنواع العبادة، وهي طلب العون، وهي لا تكون إلا عند الشدة، إذا وقع الإنسان في شدة فإنه يطلب العون من الله والسجادة من هذه الشدة.

والاستعانة على نوعين

النوع الأول الاستعانة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وهذا شرك، فمن استعان بغير الله من جن أو إنس أو غائبين أو أموات فإن هذا شرك بالله عز وجل

والاستعانة بالأموات وبالغائبين من الشياطين والجِن هذا شرك بالله عز وجل.

النوع الثاني الاستعانة بالمخلوق المحاصر الحي فيما يقدر عليه، هذا جائز

قال تعالى في قصة موسى ﴿كَانَتْ مَعَهُ الذِّبْيَةُ مِنَ شَيْعُونٍ، عَلَى
الَّذِي مِنْ عَذَابِي﴾ [المقصود ١٥]

الذبح أقسامه ودليله

ودليل الذبح قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ صَلَّائِي وَمُسْكِي وَنَحْيَائِي وَمَسَائِي بِرُؤْيَا الْغَائِبِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢].

ومن السنة: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»^(١) [٢٥]

[٢٥] الذبح على أربعة أقسام

الأول الذبح على وجه التفريط والتعظيم لأحد ما، وهذا لا يجوز إلا لله سبحانه وتعالى، لأنه من العبادات المالية، فلا يجوز الذبح للجن ولا للشياطين ولا للملوك والرؤساء تعظيمًا لهم، لأن هذه عبادة لا تحوز إلا لله عز وجل.

فالذين يدسحون للجن من أجل السلامة من شرهم، أو من أجل شفاء المرحس، كما يفعل الكهان والمصحفون الذين يدعون العلاج ويقولون للناس ادسحوا كذا لأجل شفاء مريضكم، ولا تذكروا اسم الله عليه، هذا شرك أكبر صرح من الملوك، وهذا الذي قال الله تعالى محذراً من فعله لعير الله ﴿قُلْ إِنْ صَلَّائِي وَمُسْكِي وَنَحْيَائِي وَمَسَائِي بِرُؤْيَا الْغَائِبِينَ﴾ [الأنعام ١٦٢] وقال ﴿صَلِّ رِيكَ وَأَعَصِرْ﴾ [الكوثر ٢] أي: واذبح لربك

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٨) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

النذر ودليله

ودليلُ النذر ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَدْرِ وَكَافُّونَ يَوْمَئِذٍ شَرًّا مُتَقَلِّبِينَ﴾ [الإنسان ٧] [٢٦]

الثاني الذبح من أجل أكل اللحم، هذا لا بأس به لأنه ما ذبح من أجل اتقرب والمعطيم لأحد، وإنما ذبح لحاجة، ولا أكل منه، فهذا لا بأس به، لأنه ليس نوعاً من العبادة ويذبح لبيع اللحم

الثالث الذبح على وجه الفرح والسرور، بمناسبة زواج أو مناسبة تولد مسكن جديد، أو قدوم عائل، أو ما أشبه ذلك بجميع الأوقات ويذبح من باب إظهار الفرح والسرور بما حصل له، هذا لا بأس به، لأنه ليس فيه تعظيم لأحد، ولا تقرب لأحد، وإنما هو من باب الفرح والسرور في شيء حصل.

الرابع الذبح من أجل التصديق باللحم على الفقراء والمساكين والمحورين هذا يعتبر شئ وهو داخل في العبادة [٢٦] النذر هو إرام الإنسان عنه بشيء لم يلزمه ما حصل انشراح، كأن يسير أن يصوم، أو يسير أن يتصدق هكذا يلزمه الوفاء بنذره؛ لقول النبي ﷺ من نذر أن يفعل الله

فليطعمه^(١) والدمر نوع من أنواع العبادة لا يجوز إلا لله، فمن
 نذر لغيره أو لحسم أو غير ذلك فقد أشرك بالله عر وجل، وهو
 نذر محضية وشرك، وقد قال النبي ﷺ «ومن نذر أن يعصي
 الله فلا يعصيه»^(٢).



(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) و(٦٧٠٠) من حديث عائشة رضي الله
 عنها

الأصل الثاني معرفة دين الإسلام

تعريف الدين

الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة [٢٧]

[٢٧] لما مرع الشيخ من بيان معرفة الأصل الأول وهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالأدلة، انتقل إلى بيان الأصل الثاني، وهو معرفة دين الإسلام بالأدلة

فقال الأصل الثاني معرفة دين الإسلام بالأدلة، ثم عرفه وبين معناه ثم ذكر مراتبه

وقوله رحمه الله معرفة دين الإسلام: الدين يراد به الطاعة، يقال دنا له إذا أطاعه فيما أمر وترك ما نهى

ويطلق الدين ويراد به الحساب، كما في قوله ﴿مَشَايِ يَوْمِ الزَّيْءِ﴾ ويقال دابه إذا حاسبه، كما قال تعالى ﴿رَمَّا أَثَرَكَ مَا يَوْمَ آفَئِي ۖ ثُمَّ مَا أَثَرَكَ مَا يَوْمَ الْفَيْءِ﴾ [الاعطار ١٧-١٨] أي يوم الحساب ﴿يَوْمَ لَا تَنْفَعُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَفِيعًا ۚ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الاعطار ١٩]

قوله بالأدلة، أي أن معرفة دين الإسلام لا تكون بالتقليد أو تكون بالتحرص من عهد الإنسان، الذين لا بد له

وهو الاستسلام له بالتوحيد والابتناء له بالطاعة
والبراءة من الشرك وأهله [٢٨]

من أدلة من الكتاب والشيء أما الإنسان الذي لا يعرف دينه
وأما يفتد الناس، ويكون إمامة مع الناس، فهذا من يعرف
دينه وآخرين به أنه إذا سئل عنه في القبر أن يقول هاء، هاء لا
أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته^(١)، فواجب على
الإنسان أن يعرف دينه بالأدلة من كتاب الله وشمسة رسوله ﷺ
ولا يعرف هذا إلا بالتعلم.

[٢٨] الإسلام مأخوذ من أسلم للشيء إذا انفاد له، أسلم
بعضه للفعل، أي حصص للفعل، فأسلم بعضه للشيء إذا انفاد
له

فالإسلام هو إسلام الوجه والقصد والنية له عز وجل
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ رِيسَ
كَرْبِهِ خَيْرًا﴾ (الباء، ١٢٥). ﴿بَيْنَ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾
(البقرة ١١٢) أي أحسن عمله لله عز وجل، وانفاد له من
طواعية واحتيال ورعة ومحنة

(١) انظر ما سلف من ٢٠

الاستسلام لله بالتوحيد، وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وهذا هو معنى التوحيد، فمن عبد الله وحده لا شريك له فقد استسلم له

قوله والانتقاد له سبحانه بالطاعة فيما أمرك به وما نهاك عنه، وما فعله، وما نهاك عنه تحسن طاعة لله سبحانه وتعالى

قوله والبراءة من الشرك وأهله البراءة معاهة الانقطاع والاعتزال، والبراءة من الشرك وأهل الشرك، بأن تعتقد بطلان الشرك فتستعد عنه، وتعتقد وجوب عداوة المشركين لأنهم أعداء الله عز وجل، فلا تتحداهم أولاً، إنما تتحداهم أعداء، لأنهم أعداء الله ولرسوله ولدينه فلا تحبهم ولا تواليهم، وإنما تقاطعهم في الدين وتستعد عنهم، وتعتقد بطلان ما هم عليه، فلا تحبهم بالقلب، ولا تناصرهم بالقول والعمل، لأنهم أعداء لربك وأعداء لدينك، فكيف تواليهم وهم أعداء الإسلام!

لا يكفي أنك تستسلم لله وتنفذ له بالطاعة، وأنت لا تنبرأ من الشرك ولا من المشركين، هذا لا يكفي، ولا تعد مسلماً حتى تنصف هذه المصبات.

مراتب الدين المرتبة الأولى الإسلام

وهو ثلاث مراتب :

الإسلام (٢٩)

أولاً الاستسلام لله بالتوحيد

ثانياً الاقبياد له بالطاعة .

ثالثاً البراءة مما يعصده التوحيد ويضاد الطاعة وهو
الشرك .

وإنما البراءة من أهل الشرك .

بتحقيق هذه الصفات نكون مسلماً، أما إذا نقصت صفة
واحدة منها فذلك لا نكون مسلماً، فهذه الكلمات الثلاث
لخص الشيخ تعريف الإسلام، وكم من إنسان لا يعرف معنى
الإسلام، لأنه لم يتعلم هذا الشيء، ولو قيل له ما هو
الإسلام؟ لم يحب جواباً صحيحاً

(٢٩) معنى المراتب الدرجات، لأنها قُلُوب. إن الدين ثلاث
درجات بعضها أعلى من بعض، أول مرتبة من مراتب الدين
هي الإسلام، ثم بعدها الإيمان، ثم بعدها الإحسان،

والإيمان، والإحسان [٣٠]

والإسلام أوسع والإيمان أصيق من الإسلام، والإحسان
أصيق من الإيمان

هذاترة الإسلام واسعة، الساعفون يدخلون فيها إذا انقادوا
الى الإسلام وأظهروه، والرموا به ظاهراً، إذا ضلّوا مع
المسلمين، وركبوا وعملوا الأعمال الظاهرة، يسمون
مسلمين، ونطق عليهم أحكام المسلمين في الدنيا، فلهم ما
للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، لكنهم في الآخرة في
الدرك الأسفل من النار، لأنهم ليس عندهم إيمان وإنما
عندهم إسلام ظاهري فقط

[٣٠] قوله الإيمان هذه هي المرتبة الثابتة، والمؤمنون
يتفاوتون، منهم المفرون، ومنهم الأبرار، والمفرون هم
أصحاب أعلى الدرجات، والأبرار دونهم، ومنهم الظالم
لعمه وهو المرتكك للكمائن التي هي دون الشرك، فهو
مؤمن فاسق، أو مؤمن ناقص الإيمان، قال تعالى ﴿ثُمَّ لَئِنَّمَا
الْكَتَبَ الَّذِينَ آمَنُوا فَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّذِي أُتُوا بِهِ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [طه: ١٢٢]

وكلُّ مرتبةٍ لها أركانُ [٣١]

قوله الإحسان هذه هي المرتبة الثالثة وهي الإحسان، وهي أن يحس العبد فيما بينه وبين الله، في عبادة الله عز وجل وذكر النبي ﷺ الإحسان فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١) أي. يكون عندك علمٌ يقيناً أن الله يراك أينما كنت

[٣١] قوله: وكلُّ مرتبةٍ لها أركانُ والأركان جمع ركن، وهو ما يقوم عليه الشيء.

فأركان الشيء جوانبه التي يقوم عليها ولا يقوم بدونها، وتكون بذات الشيء، بخلاف الشروط فهي تكون خارج الشيء، مثل شروط الصلاة فهي خارج الصلاة قبلها، وأما أركان الصلاة فإنها بذاتها، مثل تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة، فإذا احتل شيء بها فإن الصلاة لا تصح، كما لو قُعد شيء من أركان السبائك فإنه لا يقوم ولا يعتمد.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري (٥٠٠) وأخرجه مسلم (١٠٠٩)

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

أركان الإسلام

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

معناها ودليلها

فَأَرْكَانُ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ. [٣٢]

[٣٢] لا يقوم الإسلام إلا على هذه الأركان، إذا قُيِّدَتْ فإن الإسلام لا يستقيم. وبيعة الطاعات مكملات لهذه الأركان، كل الطاعات وأعمال الخير كلها مكملات لهذه الأركان، ولهذا سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بحضرة الصلوة فقال أحبرني عن الإسلام، قال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً»^(١)

يفسر الإسلام بأنه هذه الأركان الخمسة، لكن حديث من عمر بين أن هذه الخمسة هي ماني الإسلام فقال «هي

(١) سبق شرحه من ١٦١

«دليلُ الشهادة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْقُلُوبِ حَقًّا﴾ بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَيْبُ الْمَحْجُوبُ» [آل عمران ١٨] . [٣٣]

الإسلام على خمس^(١) أي أن هذه الخمس ليست هي الإسلام كله لكنها أركانها ومسايقه التي يقوم عليها وبقية العشر وحات مكملات ومنحقات لهذه الأركان

[٣٣] قوله تعالى شهد، أي حكم وخصي وأعلم وشي وألزم، والشهادة من الله تدور على هذه المعاني الخمسة الحكم والقصد والإعلان والبيان والإلزام.

معنى شهد، أي فصي سبحانه وأعلم وأخبر وألزم عبادة بذلك، أنه لا إله إلا هو

لا إله إلا الله لا شائبة شيء جميع ما عدا من دون الله .

إلا هو مشت العبادة لله وحده

ومعنى أنه لا إله إلا هو أي لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، أما من عبد غير الله فإن عبادته باطلة لقوله تعالى. ﴿ذَٰلِكَ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَكْفُرُونَ بِهِ

(١) أخرجه البخاري (٨) وأخرجه مسلم (١٦) من حديث ابن عمر رضي

ثَبُوتِهِ. هُوَ الْبَاقِي وَأَمَّا اللَّهُ هُوَ تَعَالَى الْعَظِيمُ ﴿[الحج ٦٢]﴾
 شهد نفسه سبحانه وتعالى بالوحدانية وهو أصدق الدلائل،
 وشهادته سبحانه وتعالى أصدق الشهادات، لأنها صادرة
 عن حكيم خبير عليم، يعلم كل شيء، فهي شهادة
 صادقة

والملائكة شهدوا أنه لا إله إلا هو، وهم عالمٌ حقهم
 الله لعبادته، ملائكة كرام عباد مكرمون خلقهم الله لعبادته،
 يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأيضاً حقهم الله لتعبد
 أوامره في الكون، وكل إبيهم تعبد ما يأمر به سبحانه وتعالى
 من أمور الكون، فكل مُتَّبِعٌ منهم موكل بعمل، وشهادتهم
 شهادة صديق، لأنهم أقر علم وعادة ومعرفة بالله عز وجل،
 وهم من أفضل الخلق على الخلاف، هل صالح البشر أفضل
 من الملائكة أو الملائكة أفضل من صالح البشر، على
 خلاف.

وأولو العلم: صنفان، الملائكة والنصف الثاني أولو
 العلم من البشر، وأولو العلم لا يشهدون إلا بما هو حق
 بخلاف الجاهل لا اعتبار بشهادتهم، وكل عالم من خلق الله
 يشهد لله بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو، وهذا فيه تشریف

لأهل العلم حيث إن الله فرق شهادتهم مع شهادته سبحانه وتعالى وشهادته ملائكته ، اعتبر شهادة أهل العلم من الخلق ودل على فضلهم وشرعهم ومكانتهم ، على أعظم مشهود به وهو التوحيد

والمراد بأولي العلم ، أهل العلم الشرعي لا كما يقوله بعض الناس إن أهل العلم لمراد بهم أهل الصناعة والرياسة هؤلاء لا يقال لهم أهل العلم على وجه الإطلاق ، لأن علمهم محدود مقيد ، من يقال هذا عالم بالحساب ، عالم بالهندسة ، عالم بالطب ، ولا يقال لهم أهل العلم مطلقاً ، لأن هذا لا يطلق إلا على أهل العلم الشرعي ، وأيضاً أكثر هؤلاء أهل علم دنيوي ، وبهم ملاحظة يريدون عندهم - غالباً - جهلاً بالله عز وجل ، وغروراً وإلحاداً كما نشاهدون ، لأن في الأمم الكافرة ، إنهم متقدمون في الصناعات وفي الرياسة لكنهم كفار فكيف يقال إنهم أهل العلم الذين ذكرهم الله في قوله ﴿ وَذُكِّرُوا بِلِقَائِهِ ﴾ هذا غير معقول أبداً .

وكذلك قوله ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ إذ مر

[٢٨] المراد علماء الشرح الذين يعرفون الله حق معرفته ،

ويجحدونه حتى عبادته ويحشونه، أما هؤلاء فأعلمهم لا يحشون الله عز وجل بل يكفرون بالله ويجهلونه، ويدّعون أن العالم ليس له رب، وإسا الطبيعة هي التي توجد وتكصرف فيه، كما هو عند الشيوعيين. إنهم يكفرون الرب سبحانه وتعالى مع أن عندهم علمًا دينيًا كيف يقول إن هؤلاء هم أهل العلم.

هذا عبط، فالعلم لا يطلق إلا على أهل، وهو لقب شريف لا يطلق على الملاحدة والكفار ويقال هؤلاء أهل العلم.

فالملائكة وأولو العلم شهدوا له بالوحدانية إذا لا عيرة بقول غيرهم من الملاحدة والمشركيين والصابئين الذين يكفرون بالله عز وجل هؤلاء لا عيرة بهم ولا بقولهم، لأنه محال لشهادة الله وشهادة ملائكته وشهادة أولي العلم من خلقه.

وقوله: قائمًا بالقسط مصوب على الحال من شهد، أي حالة كونه قائمًا سبحانه وتعالى، والقسط العدل، أي أن الله سبحانه وتعالى قائم بالعدل في كل شيء،

ومعناه لا معبود بحق إلا الله، (لا إله إلا الله) ما فيها
جميع ما يُعبد من دواب الله (إلا الله) مُثَبِّتاً الْعِبَادَةَ لَهُ
وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي
مُلْكِهِ. [٣٤]

والعدل عبد الحور، وهو سبحانه وتعالى حكم عدل لا يصد
عنه إلا العدل في كل شيء.

لا إله إلا هو تأكيد للحملة الأولى

العرير الحكيم اسمان لله عز وجل يتصفان صفتين من
صفاته وهما العزة والحكمة

[٣٤] قوله ومعناه لا معبود بحق إلا الله، أي معنى لا إله
إلا الله ليس كف بقول أهل الباطل لا خالق ولا رازق ولا
الله لأن هذا توحيد الربوبية بقرآن به المشركون، وهم لا
يقولون لا إله إلا الله، قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا نَعْبُدُ مَا يَنْهَىٰ عَنْ قُبُورِهِمْ
[الصافات ٣٥-٣٦] أي معبوداتنا ﴿إِنَّمَا يَعْشَوْنَ﴾
يعنون الرسول ﷺ وصعوه بالشعر والحيون لأنه قال لهم
قولوا لا إله إلا الله، وبها هم عن عبادة الأصنام

ولما قال لهم قولوا لا إله إلا الله، فأنوا ﴿لَسَلَّ
الْآلِهَةُ إِلَٰهًا وَحِدًا إِلَٰهًا لَسَلَّ﴾ ﴿مَنْ﴾ [٥] يحسبون الآلهة
معدودة.

فدل على أن معابها لا معبود بحق إلا الله، ولو كان
معابها لا حائق ولا رائق إلا الله، فإن هذا بقرون به ولا
يمدرون فيه فلو كان هذا معابها، ما اعتصموا من قول لا إله إلا
الله، لأنهم يقولون إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض؟
يقولون الله، إذا سئلوا من الذي يخلق؟ من الذي يبرق؟ من
الذي يحيي ويميت؟ ويدبر الأرض؟ يقولون الله هم
يحترمون بهذا فلو كان هذا معنى لا إله إلا الله لأقروا بهذا،
لكن معابها لا معبود بحق إلا الله

لو قلت لا معبود إلا الله هذا غلط كبير، لأن المعبودات
كلها تكون هي الله - تعالى الله عن هذا - لكن إذا قيدتها
وقلت بحق انتفعت المعبودات كلها إلا الله سبحانه وتعالى،
لا بد أن تقول، لا معبود حق، أو لا معبود بحق إلا الله. ثم
بين ذلك على لفظ الكلمة

لا إله إلا الله، هي للعبودية عما سوى الله
إلا الله هذا إثبات للعبودية لله وحده لا شريك له.

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى ﴿وَلَا تَقَالُ
بِأَنفُسِكُمْ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَيْءٍ مِّنْ حُجَّتِكُمْ ۚ بَلْ أَنتُمْ عَلَىٰ
فُطْرَيْنِ مِّمَّا تَتَّبِعُونَ ۚ﴾ ﴿وَعَمَلُهَا كُنُفٌ نَّافِيَةٌ فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ [المحرف ٢٦-٢٨] [٣٥]

فلا إله إلا الله تشمل على بني وإنسان، ولا بد من
التوحيد من النبي والإنسان لا يكفي الإنسان وحده، ولا
يكفي النبي وحده، بل لا بد من النبي والإنسان كما قال
تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِكَفَرٍ﴾ [البقرة ٢٥٦]
﴿وَأَقْبِلُوا عَلَى اللَّهِ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الباء ٣٦]

فلو قلت الله إله هذا لا يكفي، اللات إله، والعزى
إله، ومناة إله كل الأصنام تسمى آلهة

فلا بد أن تقول لا إله، إلا الله، فلا بد من الجمع بين
النبي والإنسان حتى يتحقق التوحيد ويبتغي الشرك

[٣٥] حير ما يُفسر القرآن القرآن، فلا إله إلا الله شرها الله
في القرآن، وذلك في قول الحليل عليه الصلاة والسلام فيما
ذكر الله عنه ﴿إِنِّي نَزَّاهُ﴾ هذا النبي لا إله، ﴿إِلَّا أَنِّي
فُطْرَيْنِ﴾ يعني إلا الله، هذا الإنسان

فهذه الآية تفسير معنى لا إله إلا الله تعالى

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا اِلٰى صٰلٰتٍ سَوّٰمٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اِلَّا تَعْبُدُوْا اِلٰهًا اَخَرَ وَلَا تَشْرِكُوْا بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا اَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ الْغَیْبِ اِنْ تَوَلَّوْا فَغُلُوْا اَشْهَدُوْا بِاَنۢ مُّسْلِمُوْكُمْ﴾ [آل عمران ٦٤] [٣٦]

[٣٦] وقوله تعالى ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتٰبِ تَعَالَوْا اِلٰى صٰلٰتٍ سَوّٰمٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اِلَّا تَعْبُدُوْا اِلٰهًا اَخَرَ وَلَا تَشْرِكُوْا بِهِۦ شَيْئًا﴾ هذه الآية من سورة آل عمران نزلت في وفد سحران النصارى الذين قدموا على النبي ﷺ وباطلوه وسألوه، وحصل بينهم وبينه كلام طويل، وهم نصارى من نصارى العرب، وفي النهاية طلب النبي ﷺ منهم المباحلة ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَتَخِ اٰتَآءًا وَآبَآءًا ثُمَّ نَرٰىءَا وَرِىءَاكُمْ وَأَعۡصَمُكُمْ ثُمَّ نَتَقَبَّلُ فَنُجَعَلُ لَكُمۡ اَهۡلًا مِّنۡ اَهۡلِ الْكِتٰبِ﴾ [آل عمران ٦٤]

فلما طلب منهم المباحلة حافوا ولم يباحلوه عليه الصلاة والسلام، ودفعوا له الحرية لأنهم يعلمون أنهم على باطل، وأنه رسول الله ﷺ.

متهم، أي، يدعو باللعنة على الكاذب ما، وكانوا يعلمون أنهم هم الكاذبون، ولو يباحلوه لنزلت عليهم النار

وأحرفتهم في مكانهم، فقالوا: لا، لكن ندفع الجزية ولا
بأهلكم، فقبل النبي ﷺ منهم الجزية، لقد تبين لهم أن الله
أمره بما في هذه الآية

وهذه الآية فيها معنى لا إله إلا الله، قوله ﴿الْأَنْبِيَاءُ﴾
هذا النبي، وقوله ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ هذا الإلهيات، وهذا هو
العدل الذي قامت له السماوات والأرض، فالسماوات
والأرض قامت على التوحيد والعدل لا شرك في عبادته شيئاً
لا المسيح الذي تزعمون أنه رب وتعدونه من دون الله، ولا
غير المسيح ولا محمد عليه الصلاة والسلام ولا أحد من
الأنبياء ولا من الصالحين ولا من الأولياء، ﴿الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا اللَّهُ
وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً﴾

﴿وَلَا يَشْعُدُ بِكَ بَقَرًا أَوْ بَنَاتُ بَنِي دَاوُدَ أَوْ كَمَا اتَّخَذْتُمْ
الْأَحْبَارَ وَالرَّهْبَانِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى.﴾ ﴿الْمُكَذِّبَاتُ
أَشْكَارُهُمْ وَيَزَيِّفُهُمْ أَزْكَاءَ بَنِي دَاوُدَ أَوْ كَمَا وَالْمَسِيحَ ابْنَ
مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ (التوبة
[٣١]) ونحدد الأحبار والرهبان من دون الله يشبه رسول الله
ﷺ في أنه طاعتهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل

الله^(١) هذا معنى اتحادهم أرباباً من دون الله، إذا كانوا يحصلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل فإذا أطاعوهم في ذلك، فقد اتخذوهم أرباباً، لأن الذي يشرع للناس ويحطل ويحرم هو الله سبحانه وتعالى

﴿يَنْ تَوَلَّوْنَا﴾ ولم يقبلوا دعوة التوحيد ﴿مَقُولُوا﴾
 أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿أَشْهَدُوهُمْ عَلَى أَنكُمْ مَوْحِدُونَ﴾
 وأنهم كفار، مبنوا لهم بطلان ما هم عليه، فهي هذه الآية البراءة من دين المشركين والمصارحة بذلك، اشهدوا بأننا مسلمون، ففي هذا وجوب إعلان بطلان ما عليه المشركون وعدم السكوت عن ذلك، والإعلان عن بطلان الشرك والرد على أهله.

والخلاصة:

أن لا إله إلا الله لها ركبان هما النفي والإثبات، فإذا قبل لك: ما هي أركان لا إله إلا الله، تقول: النفي والإثبات.

(١) انظر حديث حذفي بن حاتم رضي الله عنه، الذي أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وفيه قال رسول الله ﷺ: «أما بهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا بهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»

وشروطها سبعة لا نتم إلا بهذه الشروط نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك

مع محبة وإتيان والقبول لها

فالعلم ضد الجهل، والذي يقول: لا إله إلا الله بلسانه ويجهل معناها هذا لا تعلمه لا إله إلا الله

واليقين فلا يكون معه شك، لأن بعض الناس قد يعلم معناها ولكن عنده شك في ذلك، فليس علمه صحيح، لا بد أن يكون عنده يقين بلا إله إلا الله وأنها حق

والإخلاص ضد الشرك، بعض الناس يقول: لا إله إلا الله، ولكنه لا يترك الشرك، مثل ما هو الواقع الآن عند عاد القبور، هؤلاء لا تعلمهم لا إله إلا الله، لأن من شروطها ترك الشرك

والصدق ضد الكذب، لأن المنافقين يقولون لا إله إلا الله، لكنهم كاذبون في قلوبهم، لا يعتقدون معناها، قال الله تعالى ﴿إِنَّ عَادَكَ الشَّكِرُونَ كَذَبُوا بِكَ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَقُولُ بِكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ يَقُولُ إِنَّ الشَّكِرِينَ كَذِبُوا﴾ (نحسراً) ﴿يُسَبِّحُونَكَ﴾ (المعصوم ٢٠١)

والمحبة - أن تكون معنا لهذه الكلمة وليا لأهلها، أما
الذي لا يحبها أو لا يحب أهلها فإنها لا تنفعه

والانقياد ضد الإعراس والترك، وهو الانقياد لما تدل
عليه من عبادة الله وحده لا شريك له وامثال أوامره، ما دمت
عترت وشهدت أنه لا إله إلا الله يلزمك أن تنقاد لأحكامه
وديه، أما أن تقول لا إله إلا الله، ولا تنقاد لأحكام الله
وشرعه فإنها لا تنفعك لا إله إلا الله

والقبول القبول الصافي للرد، بأن لا ترد شيئاً من
حقوق لا إله إلا الله وما تدل عليه بل تقبل كل ما تدل عليه لا
إله إلا الله، تنقله نقلاً صحيحاً
وريد شرط ثامن:

وريد ثاسمها الكفران بما

مع الإله من الأشياء قد أُلها

أي، البراءة من الشرك، فلا يكون موحداً حتى يشركاً من
الشرك: ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ أَفْئِدَةٌ وَلَا عَرْصٌ وَلَا يَمُوتُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦].

هذه شروط لا إله إلا الله، ثمانية شروط

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
[التوبة: ١٢٨]. [٣٧]

[٣٧] الركن الأول من أركان الإسلام مكون من شيئين

الأول: شهادة أن لا إله إلا الله

والثاني: شهادة أن محمداً رسول الله

فهما ركن واحد، الشق الأول يعني الإخلاص في العادة، والشق الثاني: يعني متابعة الرسول ﷺ

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ وأدلة شهادة أن محمداً رسول الله كثيرة من الكتاب والسنة والمعجزات الباهرات الدالة على رسالته ﷺ، ومن الكتاب هذه الآية، يقول تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

هذه شهادة من الله لهذا الرسول ﷺ بالرسالة وبيان
صداقه.

قوله تعالى لقد جاءكم اللام هذه لام القسم، ففيها
قسم مقدر، تقديره والله لقد جاءكم
لقد حرف تحقيق وتأكيد بعد تأكيد

جاءكم أيها الناس، هذا خطاب لجميع الناس، لأن
رسالة ﷺ عامة لجميع الخلق، الإس والجن

رسول: هو من أوحى إليه مشرع وأمر بشيعة، سمي
رسولاً لأنه مرسل من قبل الله سبحانه وتعالى

من أنكم أي من حكم من الشر، وليس منكم من
الملائكة، وهذه سنة الله سبحانه وتعالى أنه يرسل إلى البشر
رسلاً منهم من أجل البيان، ومن أجل أن يتخاطبوا معهم،
ولأنهم يعرفونه لو أرسل إليهم منكم ما استطاعوا أن
يتخاطبوا معه، لأنه ليس من جسمهم، وأيضاً لا يتفكرون على
روية الملك لأنه ليس من جسمهم من رحمته سبحانه
وتعالى أن أرسل إلى الناس رسولاً من جسمهم، بل ومن
العرب ومن أشرف بيوت العرب نبياً، من بني هاشم الذين

هم أشرف أنساب قريش، وفريش أشرف أنساب العرب، فهو خيار من خيار، يعرفونه، ويعرفون شخصه، ويعرفون سبه، ويعرفون قبيلته، ويعرفون بلده، ولو كانوا لا يعرفونه فكيف يعرفونه؟ ولو كان معبر لعنهم فكيف يفهمون كلامه؟ ﴿عَمِيرٌ عَلِيٌّ مَا عَسَيْتُمْ﴾

فقوله عمير يعني شاق عليه ﷺ

ما حتم يعني ما يشق عليكم، ألغت معناه انتعب والمشقة، والرسول ﷺ شق عليه ما يشق على أمته، وكان لا يريد لها المشقة وإنما يريد لها اليسر والسهولة

ولذلك جاءت شريعته ﷺ سهلة سمحة قال ﷺ قُبِلَتْ بِالنَّحْبِيعَةِ السَّحْمَةِ^(١) قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المح ٧٨]

وقال ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثْقَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة ٦] فشريعته سهلة تتماشى مع قدرة الباس واستطاعة الحكاميين ولا تحملهم ما لا يطيقون.

(١) أخرجه أحمد ٦٢٣/٣٦ (٢١٦٩١) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

ولهذا كان النبي ﷺ يحب لهم التيسير، وما حير بين أمرين إلا احتار أيسرهما ما لم يكن إثماً، وكان يحب أن يأتي بالعمل ويتركه شفقة بأمته، يترك العمل وهو يحب أن يأتي به من الأعمال الصالحة من أجل أن لا يشق على أمته، هذه من صفاته، أنه يشق عليه ما يشق على أمته، ويسر سرورها، ويعرج بعرجها، ومن كانت هذه صفته فلا شك أنه لا يأتي إلا بالخير والرحمة ﷺ

حريص عليكم، أي على هدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور، ولذلك كان يتحمل المشاق في دعوة الناس طمناً لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور حتى قال الله له ﴿لَنْ تَجِدَ نَفْسًا أَلَّا يَكُونُوا مَلْهُومِينَ﴾ (الشعراء: ٣) أي لعنك مهلك نفسك أن لا يكونوا مأمسين من أجل النحر عليهم، فلا تحزن عليهم، وهذا من كمال نصحه ﷺ

﴿وَالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمُونَ﴾

ورؤوف من الرأفة وهي الرفق واللطيف.

رحيم: وصفه بالرحمة وليس بعلبط ﴿يَسَاءَ رَعَى الَّذِينَ آتَوْهُمُ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ ظَافِرًا عَلَيْهِ الْقَلْبُ لَأَخَذُوا مِنْ حَتْلِهِ﴾ (آل عمران)

كان ﷺ متواضعا ليًا مع المؤمنين، يحفظ لهم جهاته ويستقلهم بالشر والرحمة والعطف والإحسان. هذه من صفاته ﷺ

ذكر الله خمس صفات في هذا الرسول ﷺ

الأولى: أنه سكرم.

الثانية: عزيز عليه ما عظم.

الثالثة: حريص عليكم.

الرابعة: بالمؤمنين رؤوف.

الخامسة: رحيم

خمس صفات من صفات هذا النبي ﷺ وخص المؤمنين بالرفقة والرحمة لأنه ﷺ كان عظيمًا على المشركين والمعادين، يهبط لمص الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى ﴿يَأْتِيَا أَتَيْنَا جَهْدَ الْقُسُوفِ وَالْمُتَوَيْتِ وَأَلْطَمَ عَلَيْهِمْ وَمَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُنْعِيرُ﴾ (البقرة ٧٣) الرحمة والرفقة خاصة بالمؤمنين، وهكذا المؤمنون بعضهم مع بعض. ﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَتْدَاءً عَلَى الْمَنَافِعِ وَرَحْمَةً مِّنْهُمُ﴾ [الفتح

[٦٩] هذه صفاته ﷺ

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واحتساب ما عنه بهي ورجز، وإن لا يُعبد الله إلا بما شرع. [٣٨]

[٣٨] شهادة أن محمداً رسول الله لها معنى ومقتضى ليست لغواً يقال فقط. فمعناها أن تعترف بلسانك وتقبل أنك رسول الله، تطلق بلسانك وتعتمد ذلك بقلبك أنه رسول الله ﷺ. أما التلصص باللسان والإيثار بالقلب فهذه طريقتا المباهقين كما أخبرنا الله عنهم بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَشْهَدُوا أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّكَ لِرَسُولِهِ وَفَقَّهُ بِشَهِدٍ إِنَّ الشُّكُوفِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [التحذير لجنهم حنة] (المأثور ٢-١) جعلوا أيمانهم، أي شهادتهم سرية يسترون بها، فصدوا عن سبل الله، هذا على ر الطعن باللسان لا يكفي

وكذلك اعتقاد القلب مع عدم اطلاق باللسان ليس بقدر على الطعن أيضاً لا يكفي. فرب المشركين يعلمون أنه رسول الله لكنهم يعاندون، كما قال تعالى ﴿قَدْ سَلِمَ إِنَّهُ لَمُرَكَّبُ الْحَيِّ يَتْلُونَ﴾ [نهم لا يتكذبونك ولكن الظالمين بآياتك الكفر يتحدون] (الأنعام ٢٣). فهم قلوبهم يعترفون بالرسالة، ويعترفون أنه رسول الله، لكن معهم الكثر وصحهم العباد من الإقرار برسالته

وكنتم معهم الحسد كما عبد اليهود وعبد مشركي العرب، وكان أبو جهل عمرو بن هشام يعترف ويقول: كما يحس وينو هشام مناوين في كل الأمور لكنهم قالوا: ما رسول وليس منكم رسول من أبي ناهي برسول؟ ولذلك أذكروا رسالته حيناً لى هشام^(١٢)

ويقول أبو طالب في قصيدته

ولقد علمت بأن دين محمد من حبر أديان الثرية دينا
لولا العلامة أو حذار عيبة لوجدتني سمحًا بذلك ميسا
يعترف بقله برسالة محمد لكن صحت الحمية الجاهلية
لقومه فلم يكفر بدين عبد المطلب الذي هو عبادة الأصنام،
فهم يعترفون بسوته يقلونهم، فلا يكفي الاعتراف بالقلب أنه
رسول الله بل لا بد أن ينطق بلسانه

ثم لا يحكي الطبق بالنسب والاعتراق بالقلب، بل لا بد
من أمر ثالث وهو الإتيان قال الله تعالى فيه ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قَالُوا لَا تاتوا إِلَّا بِاللَّيْلِ فَنَرْفِرُ نَحْنُ وَاللَّيْلُ وَالْحَرُّ شَرٌّ مِّنَ اللَّيْلِ قَالُوا هَذِهِ أَمْثَلُ الَّذِي أَتَاكُمْ فَأَصْبَحُوا تَحَدُّثًا﴾

(١) انظر «السر» الطبعة الأولى، ص ١٠١ / ١٠٢، هذه استنداء قريش إلى قرآنهم.

الْمُطِيعُونَ ﴿[الأعراف ١٥٧] حتى لو نصره مثل أبي طالب وخامس دونه وهو يعرف أنه رسول الله لكن لم يتبعه، فإنه ليس بمسلم حتى يتبعه، ولهذا قال الشيخ ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واحساب ما بهي عنه ورحم وأن لا يعبد الله إلا بما شرع

فلا بد مع الاعتراف برسالته ظاهراً وباطناً واعتقاداً، ولا بد من اتباعه ﷺ، ويتلخص ذلك في هذه الأربع كلمات التي ذكرها الشيخ رحمه الله

الأولى طاعته فيما أمر، يقول الله جل وعلا ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [البقرة ٨٠] ويقول سبحانه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا لِيُطِيعُوا أَمْرًا﴾ [البقرة ٦٤] ففرق طاعة الرسول مع طاعته سبحانه وتعالى، وقرن معصية الرسول مع معصيته ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء ٦٤] وقال ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا﴾ [النور ٥٤] وقال ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرًا لَكُمْ تَرْضَوْنَ﴾ [النور ٥٤] فلا بد من طاعته ﷺ، فالذي يشهد أنه رسول الله تفرقه طاعته فيما أمر لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ فَتَعْذُوبُوا وَمَا مَكَّنْهُمْ أَجْرًا كَثِيرًا﴾ [النور ٥٤]

وقوله ﴿فَتَحَذِّرِ الْكَافِرِينَ﴾ أي من أمره، أي من أمر الرسول ﷺ فلا بد من طاعة الرسول ﷺ

الثانية: تصديقه فيما أخبر، لأن الرسول ﷺ أخبر عن أمور كثيرة معينة، أخبر عن الله وعن الملائكة، وأخبر عن أمور عاتية، وأخبر عن أمور مستحيلة من قيام الساعة وأشرار الساعة والجنة والنور، وأخبر عن أمور ماضية عن أحوال الأمم السابقة، فلا بد من تصديقه فيما أخبر، لأنه صدق لا كذب فيه، قال تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [الجم ٣-٤].

الرسول ﷺ لا يتكلم بهذه الأخبار أو هذه الأوامر والنواهي لا يتكلم بشيء من عبده عليه الصلاة والسلام، إنما يتكلم بروحي من الله عز وجل فأخبره صدق، ومن لم يصدقه فيما أخبر فليس بمؤمن ولا صادق في شهادته أنه رسول الله، كيف يشهد أنه رسول الله ويكذبه في أخباره؟ كيف يشهد أنه رسول الله ولا يطيع أمره؟

الثالثة: اجتناب ما نهى عنه ورحرر اجتناب ما نهاك عنه الرسول ﷺ نهاك عن أقوال وأفعال وصفات كثيرة، ولا

يُحَى ﷺ إِلَّا عَنِ شَيْءٍ بِهِ ضَرَرٌ وَفِيهِ شَرٌّ، وَلَا يَأْمُرُ إِلَّا بِشَيْءٍ بِهِ خَيْرٌ وَفِيهِ بَرٌّ، فَإِذَا لَمْ يَحْتَسِبِ الْعَدُوَّ مَا نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ شَاحِدًا لَهُ بِالرَّسَالَةِ بَلْ صَارَ مُتَافِضًا، كَيْفَ يَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا يَحْتَسِبُ مَا يَنْهَاهُ عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ﴿وَمَا تَكُنْ لَكُمْ الرِّسُولُ فَحُذَرُوا وَمَا يَنْهَى عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [التحرش ٧] قَالَ ﷺ «إِذَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ فَاحْشَوْهُ، وَإِذَا أَمَرَ بِكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^(١) فَلَا يَدُّ مِنْ اجْتِنَابِ مَا يَنْهَى عَنْهُ ﷺ.

الرابعة أن لا يُعَدَّ اللهُ إِلَّا مَا شَرَعَ تَقَبُّدُ فِي الْعِبَادَاتِ
بِمَا شَرَعَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فَلَا تَأْتِ بِعِبَادَةٍ لَمْ يَشْرَعْهَا الرَّسُولُ
ﷺ وَإِنْ كَانَ فَصْلُكَ حَسَنًا وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْأَجْرَ، لَكِنْ هَذَا
عَمَلٌ بِاطِلُ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ. أَلَيْسَ لَا تَكْفِي بَلْ لَا
يَدُّ مِنَ الْإِتْيَاعِ

فَالْعِبَادَاتُ تَوْفِيقِيَّةٌ لَا يَجُوزُ الْإِتْيَانُ بِعِبَادَاتٍ لَمْ يَشْرَعْهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه

عليه أمرنا فهو رده^(١) وقال ﷺ اعليكم بسني وسنة
الحنفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا
عليها بالنواخذ، وبأيام ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة
بدعة، وكل بدعة ضلالة^(٢)

فالإتيان بعبادة لم يشرعها رسول الله تعتبر بدعة مكررة
مهيئت عنها، وإن قال بها فلان أو فلان، أو فعلها من فعلها من
الناس ما دامت خارجة عن ما جاء به الرسول ﷺ فإنها بدعة
وضلالة، فلا يعد الله إلا ما شرع على لسان رسوله،
والمحدثات والخرافات كلها عمل باطل وبهين وضلال على
من أتى بها وإن كان يقصد بها الخير ويريد الأجر، فإن العبرة
ليست بالمقاصد، وإنما العبرة بالأنواع والطاعة والانقياد،
ولو كنا أحراراً بأنبياء ما شاء ومستكثر من العبادات ما شاء
لما احتجنا إلى بعثة الرسول ﷺ

ولكن من رحمة الله بنا لم يكلنا إلى عقولنا، ولم يكلنا
إلى فلان وفلان من الناس، لأن هذه الأمور مرددا إلى

(١) سبق ترجمته ص ٢٥

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢).

(٣) أحمد ٢٨ / ٣٧٢ (١٧١٤٤) من حديث العريضي بن سبرة

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى
 ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْإِيْمَ حَقَّةً وَرَقِبُوا
 الصَّلَاةَ وَبَذَلُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ سَبِيلُ الْقِيَمَةِ﴾ [البقرة ٥]. [٣٩]

الشرع إلى الله ورسوله، ولا يقع بها إلا ما كان موافقاً لما
 شرعه الله ورسوله، ففي هذا الابتعاد عن جميع البدع، ومن
 ابتدع شيئاً في الدين لم يأت به الرسول ﷺ فإنه لم يشهد أنه
 رسول الله، لم يشهد الشهادة الحقيقية، لأن الذي يشهد أنه
 رسول الله ﷺ شهادة حقيقية يتخذ بها شرعه، ولا يحدث
 شيئاً من هذه أو يبتدع شيئاً محدثاً من سبقه

هذا معنى شهادة أن محمداً رسول الله ليست العاطفة تقبل
 باللسان فقط من غير التام ومن غير عمل ومن غير تفكير بما
 جاء به هذا الرسول ﷺ

[٣٩] والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، والزكاة
 هي الركن الثالث وهي فريضة الصلاة في كتاب الله، الصلاة
 عمل بدني، والزكاة عمل مالي

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه «والله لأقاتلن
 من فرق بين الصلاة والزكاة»^(١) لما امتنع أناس من دفع الزكاة

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٦٠)

بعد وفاة الرسول ﷺ فانتهم أبو بكر رضي الله عنه وقال
 « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو ضعوني
 جبالاً - وهي رواية عن أبي - كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ
 لقاتلنهم عليه ».

والزكاة حق واجب في الأسوان، وهي ركن من أركان
 الإسلام، وهي فريضة الصلاة في كتاب الله عز وجل في كثير
 من الآيات ومنها هذه الآية ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 آلِهَتَهُمْ حُفَّةً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾

دليل التوحيد في أولها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
 لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ آلِهَتَهُ ﴾ هذا هو تفسير التوحيد، وهو عبادة
 الله مع الإخلاص له وترك عبادة ما سواه، فاللهين والتوحيد
 والعبادة بمعنى واحد، ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ آلِهَتَهُ ﴾ أي العبادة، هذا
 تفسير التوحيد، لا كما يقوله علماء الكلام إنه الإقرار بأن
 الله هو الحائق بالربوبية المحيية المحيية هذا توحيد الربوبية،
 والمطلوب هو توحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا
 يصير المسلم مسلماً إلا إذا جاء به .

أما من جاء بتوحيد الربوبية فقط فهذا ليس مسلماً بدليل
 أن المشركين يعتقدونه ويطلقون به ويعترفون به ولم يذنبهم

في الإسلام، ولم يجمع من قبلهم وسي أمورهم توحيدهم
 هذا؛ لأنهم ليسوا موحدين لما أشركوا بالله عز وجل في
 العبادة، هذا هو تفسير التوحيد من كتاب الله لا من كتاب
 فلان وعلان كتاب «الجوهرة»^(١) أو كتاب «المواقف»^(٢) أو
 كتب علماء الكلام، لا يزجده تفسير التوحيد من هذه الكتب
 وإنما يزجده من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن كتب
 أهل السنة والجماعة الذين يتبعون بكتاب الله وسنة رسول
 الله ﷺ.

ودليل الصلاة في قوله تعالى ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ والمعنى
 أن يأتوا بها كما أمر الله عز وجل بشروطها وأركانها وواجباتها،
 أم مجرد صورة الصلاة فإنها لا تكفي، ولهذا لم يقل
 ويصلوا، بل قال ويقيموا الصلاة، ولا تكون الصلاة قائمة
 إلا إذا أتى بها كما أمر الله سبحانه وتعالى، أما الذي يصلّي
 مجرد صورة في أي وقت يشاء أو بدون طهارة وبدون
 حمائية، ولا يأتي بمتطلبات الصلاة، هذا لم يصل، ولهذا

(١) كتاب «جوهرة التوحيد» كتاب يعزو مذهب الأشاعرة وفيه مخالفات
 كثيرة لمذهب أهل السنة والجماعة

(٢) كتاب «المواقف» في علم الكلام، للإمامي

فإن **يُؤْتِي** للمسيء في صلاته الذي لا يطمئن في صلاته قال له
 «ارجع فصل فإنت لم تصل»^(١) ليس مقصوداً صورة الصلاة
 من قيام وركوع وسجود وحلوس فقط، ليس هذا المقصود،
 بل المقصود أن يؤتى بها كما شرع الله سبحانه وتعالى
 مستوفية لكل متطلباتها الشرعية

ثم ذكر دليل الركاة بقوله تعالى ﴿وَيَذَّكَّرُوا الرُّكُوءَ﴾ أي
 يذكروا الركاة للمسحقين لها، الذين ذكرهم الله تعالى في
 قوله ﴿إِنَّمَا الضَّالُّونَ الثَّاقِبُونَ وَالْمُكَذِّبُونَ وَالْمُفْرِّقُونَ
 وَالْمُؤَلَّفُونَ قُلُوبُهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْمُزْمِرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيُّ
 النَّبِيلِ فَرِيكَةً يَكُ اللَّهُ أَفْوَ وَأَفْوَ عَلَيْكُمْ عَزِيزٌ﴾ [البقرة ٦٠]

ذكر ثمانية مصارف وحصرها - (إسما) فلا يكون صرفها
 في غير هذه المصارف الثمانية، فمن صرفها في غير مصارفها
 الثمانية لم يكن قد أتى الركاة ولو أنفق أموالاً طائلة ملايس
 أو ملبات وسماها ركاة، ولا تكون ركاة حتى توضع في
 مواضعها التي حصرها الله تعالى فيها، هذا معنى إنشاء الركاة،
 وأيضاً في وقتها، أي يخرجها وقت وجوبها. لا يتباطأ

(١) أخرجه البخاري (٧٥٧)، ومسلم (٢٩٧) من حديث أبي هريرة رضي
 الله عنه

ودليل الصيام ﴿يَأْتِيهَا الْيَمِينُ ءَامْرًا كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الْيَمِينِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تُشْفَوْنَ﴾
[البقرة: ١٨٣]. [٤٠]

ويتأخر ويتكاسل، طية بها دمه، أي لا يعتبرها معرماً أو
حسرة وإنما يعتبرها معصاً له

هذه الأمور الثلاثة هي ﴿وَيِئْتِ الْقِيَمَةُ﴾ الدين الملة،
القيمة. صفة لموصوف محذوف تقديره دين الملة القيمة،
أي: المستقيمة.

هذا دليل الصلاة والركعة وتفسير التوحيد

[٤٠] الصيام لا يجب إلا على المسلمين أما الكفار لو فعلوه
ما صح منهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله ﷺ، ما داموا على الكفر فإنهم لا تنفعهم العبادات لا
صيام ولا غير صيام، ولذلك خاطب به المؤمنين خاصة
لأنهم هم الذين يستحبون، وهم الذين يصح منهم الصيام،
ويقبل منهم الصيام.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ معنى كتب فرض، مثل قوله
نعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] يعني فرض
عليكم القتال، والكتب في كتاب الله معناه العرض

﴿ كَذَّبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي كما مرص على الذين من قبلكم من الأمم، يدل على أن الصيام كان معروفاً عند الأمم السابقة وفي الشرائع القديمة، ولم يختص به شريعة محمد ﷺ

والنفس قد تناقل الصيام لما فيه من كبح جماحها وسعها من الشهوات، والله حل وعلا بين أمه مئة في حقه وأنه على جميع الأمم، حتى في الجاهلية كان الصيام معروفاً، كانوا يصومون يوم عاشوراء

﴿ لَمَّا كُنْتُمْ نَافِقُونَ ﴾ هذا بيان للحكمة من الصيام، فلعلكم تنفون بيان للحكمة في مشروعية الصيام، وهو أنه بسبب التقوى؛ لأن الصيام يترك به الإنسان مألوفاته وشهواته ومرغوباته تفرق إلى الله سبحانه وتعالى فيكسبه التقوى، كما أنه يكثر أيضاً شهوة النفس وحدها؛ لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، فمع تدول الشهوات يسلط الشيطان، ومع ترك الشهوات يضعف مجرى الدم يطرد الشيطان عن المسلم ففي الصيام حصول التقوى التي هي جماع الخير كله

هذه دائدة الصيام أنه بسبب التقوى، تقوى الله سبحانه وتعالى واتقاء المحارم والشهوات المحرمة؛ لأن الإنسان إذا

ودليل الخُح ﴿وَلْيَقُولِ الْكَافِرُ جَحُّ النَّبِيِّ مَيَّ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران
[٩٧] [٤١]

ترك المباحات طاعة لله كان من باب أولى أن يترك المحرمات .
انصيام يدره على تجنب الحرام، ويذكره على التمكن من
بعض الأمانة بالسوء، ويتردد عنه الشيطان، ويلتئس قلبه
للطاعة . ولذلك تجد الصائم أقرب إلى الخير من المعطر،
نحوه يحرم على تلاوة القرآن وعلى الصلاة، ويذهب إلى
المسجد مبكراً، الصيام لبنة للطاعة وعنده كل هذا داخل في
قوله ﴿فَلَكُمْ تَفْقَهُونَ﴾

فالشاهد من الآية قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ هذا
دليل على فرضية الصيام، وسره بقوله ﴿شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي
أُسْرِيَ فِيهِ الْفَرِيقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥) لأن قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الصِّيَامُ﴾ مجمل سره بقوله ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُومْ﴾ (البقرة: ١٨٥)

[٤١] ادعى اليهود أنهم مسلمون وأنهم على دين إبراهيم
ومنحهم الله حل وعلا في هذه الآية وقال ﴿وَلْيَقُولِ الْكَافِرُ
جَحُّ النَّبِيِّ مَيَّ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

أَفْعَلَيْكُمْ ﴿ فَإِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ فَحُجُّوا ۚ لِأَنَّ اللَّهَ يَفْرُسُ حَجَّ
الْبَيْتِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَإِذَا لَمْ تَحُجُّوا وَأَيْتَمَّ الْحَجَّ هَذَا دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مُسْلِمِينَ ، وَلَسْتُمْ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَمَنْ كَفَرَ
فَمَا اللَّهُ فَعْلٌ عَنِ الْكُفَّيْنِ ﴾

والله، أي هذا فرس وحق وواجب لله سبحانه وتعالى
على الناس

حج: معناه في اللغة القصد

الحج شرعاً: قصد الكعبة المشرفة والمشاعر المقدسة
في وقت مخصوص لأداء عبادات مخصوصة وهي مناسك
الحج

حج البيت، أي الكعبة، وما حولها من المشاعر نابع
لها.

من استطاع إليه سبيلاً هذا بيان شرط الوجوب وهو
الاستطاعة البدنية والاستطاعة المالية، الاستطاعة البدنية بأن
يكون قادراً على المشي والركوب والانتقل من بلده إلى مكة
في أي مكان من الأرض، هذه البدنية، بفتح المعاجر عجزاً
مستثمراً كالمريض مريضاً مريضاً والكبير الهرم، فهذا ليس عنه

استطاعة بدنية، فإن كانت عنده استطاعة مالية فإياه يبيع من يبيع عنه حجة الإسلام.

أما الاستطاعة المالية فهي توفر المركب الذي ينفقه، المرحلة أو السيارة أو الطائرة أو الناحرة كل وقت بحسبه، ويكون عنده مال يستطيع أن يوفر له المركب الذي يمتطيه لأداء الحج، وأيضاً الراد يكون عنده راد ينفقه له في السفر دعاتاً وإياتاً، ولحق بموتهم يكون عندهم كفايتهم إلى أن يرجع إليهم، فالراد معناه أن يكون عنده ما يكفي في سفره ويكفي من يموت من أولاده ووالديه وزوجته وكل من تلزمه بعفته يؤمس لهم ما يكفيهم حتى يرجع إليهم بعد تأمين سداد الديون إن كان عليه ديون، يكون هذا المال ماضياً بعد سداد الديون، فإذا توفر هذا فيكون هذا هو السيل، الزيد والمراحلة^(١) كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ومن لم يستطع، أي من ليس عنده راد ولا راحلة فليس

(١) أخرجه الترمذي (٨١٣)، وابن ماجه (٢٨٩٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرجه ابن ماجه (٢٨٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

عليه حج؛ لأنه غير مستطيع، بشرط وجوب الحج هو
الاستطاعة.

ولما كان الحج يؤتى إليه من بعيد من كل أنظار الأرض،
من كل صح صميم، ويحتاج إلى مؤنة، ومجه مشقة وتعب،
وقد يحصل فيه أخطار فمن رحمة الله أن جعله في العمر مرة
واحدة وما راد عليها فهو تطوع، هذا من رحمة الله سبحانه
وتعالى حيث لم يوجه على المسلم كل سنة، كما قال النبي
ﷺ: «إن الله فرض عليكم الحج فحجوا» قال الأقرع بن
حابس رضي الله عنه: أكل منه يا رسول الله، فسكت عنه
الرسول ﷺ ثم أعاد السؤال فسكت عنه النبي ﷺ ثم أعاد
السؤال فقال النبي ﷺ: «لو قلت نعم لوجبت ولما
استطعتم. الحج مرة واحدة فما راد فهو تطوع»^(١) هذا من
رحمة الله.

وقوله سبحانه ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فيه
دليل على أن من امتنع عن الحج وهو يقدر ولم يحج فإنه

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ١٥١/٢ (٢٣٠٤)، وأبو داود

(١٧٢١)، والنسائي ١١١/٥ من حديث من عسى رضي الله عنهما

كافر، لأن الله قال ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، أي من أسى أن يحج وهو قادر على الحج، فإن هذا كفر. قد يكون كفراً أصغر، فممن تركه جاحداً لوجوبه هذا كفر أكبر بإجماع المسلمين، أما من اعترف بوجوبه وتركه تكسلاً فهذا كفر أصغر، ولكن إذا تومي وكان له مال فإنه يحج من تركته لأنه دين عليه فله عز وجل، وهذه الآية فيها وجوب الحج، وهو ركن من أركان الإسلام، وفي الرسول ﷺ أنه ركن من أركان الإسلام في حديث جبريل^(١)، وفي حديث ابن عمر^(٢)

وقد مرص الحج في السنة التاسعة على قول، ولم يحج النبي ﷺ في هذه السنة، وإنما حج في السنة التي بعدها في السنة العاشرة لماذا؟ لأنه ﷺ أرسل محمداً في الناس في الموسم: «أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»^(٣) فلما سمع المشركون والمرأة من الحج في العام العاشر حج النبي ﷺ حجة الوداع.

(١) سبق تحريجه من ١٦١

(٢) سبق تحريجه من ١٦٣

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩) ومسلم (١٣٤٧) من حديث أبي هريرة رضي

المرتبة الثانية الإيمان

تعريف الإيمان

المرتبة الثانية: الإيمان، وهو تصدق وسبعون شعبة، فأعلامها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان. [٤٢]

[٤٢] فالإيمان أعم من الإسلام، فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً، فالإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أهله.

والإيمان في اللغة التصديق، قال تعالى على لسان إichوة يوسف ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ [يوسف ١٧] أي بمصدق لها.

وأما الإيمان في الشرع فهو كما مره أهل السنة والجماعة قول بالناس، واعتقاد بالقلب، وعمل بالحوارج، يريد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهو بهذا التفسير يكون حقيقة شرعية، لأن الحقائق ثلاث

حقيقة لغوية، وحقيقة شرعية، وحقيقة عرقية

تفسير الإيمان بهذا التعبير هو حقيقة شرعية، فالإيمان
نقل من المعنى اللغوي إلى المعنى الشرعي

فالإيمان قول باللسان، لا بد من الطق والاحترام
باللسان، واعتقاد بالقلب، لا بد من أن يكون ما ينطق به
بلسانه معتقداً له بقلبه وإلا كان مثل إيمان المنافقين الذين
﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ وَلَكِنَّ فِي قُلُوبِهِمْ كِبَرًا﴾ [النح ١١]

ولا يكفي القول باللسان والاعتقاد بالقلب، بل لا بد من
العمل بالحوارج أيضاً، لا بد من أداء الفرائض وتجنب
المحرمات، فعمل الطاعات ويجب المحرمات، كل هذا
من الإيمان، وهو بهذا التعريف يشمل الدين كله، لكن هذه
الطاعات والشرائع الكثيرة منها ما هو جزء من حقيقة الإيمان
ومنها ما هو مكملات للإيمان

والإيمان له أركان وله شعب، وقد بينها النبي ﷺ في
حديثين، بين أركان الإيمان في حديث جبريل، وبين شعب
الإيمان في حديث «الإيمان بضع وسبعون شعبة» وهذا يأتي
إن شاء الله .

والإيمان والإسلام إذا دُكِّرا جميعاً صار لكل واحد
معنى، وإذا ذكر منهما واحد فقط دخل في الآخر، وإذا دُكِّرا

جميعاً عسر الإسلام بالأعمال الظاهرة وهي أركان الإسلام الخمسة، وعسر الإيمان بالأعمال الباطنة وهي الأركان الستة وسعها القلب، ولا بد من اجتماعها في المسلم، لا بد أن يكون مسلماً مؤمناً بقيم أركان الإسلام وقيم أركان الإيمان لا بد من اجتماعها

قال رحمه الله: «الإيمان بصع وسعور شعبة، أو بصع وستون شعبة» رواه إمامان^(١)

قوله بصع البصع هو ما بين الثلاثة إلى التسعة، وإذا قيل بصعة عشر هو ما بين ثلاثة عشر إلى تسعة عشر، وإذا قيل بصع فقط فهو ما بين الثلاثة إلى التسعة

قوله شعبة الشعبة هي القطعة من الشيء، أي أن الأركان بصع وسعور قطعة أو جزءاً

قوله أعلها، أي أعلى هذه الشعب قول لا إله إلا الله، فهي رأس الإسلام ورأس الإيمان، وهي الركن الأول، وهي مدخل الدين

١. أخرجه البخاري (٩) موطأ (١٥٠٠) ومسلم (٣٥) ترمذي (١٠٠٠) حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قوله أدناها، أي أسرها وأذلها

قوله إمالة الأذى عن الطريق، أي إزالة الأذى عن الطريق المملوك، والأذى كل ما يؤذي الناس من شوك أو حجر أو قاذورات أو مخلفات، كل ما يؤذي الناس في طريقهم، ووضع الأذى في الطريق محرم لأن الطريق مسمرة، فالأذى يعطل المارة أو يعرضهم للخطر، مثل أن يوصف سيارته في الطريق هذا من الأذى، إرسال الماء من بيت في الطريق هذا من الأذى، وضع القمامات في الطريق هذا من الأذى، سواء كان الطريق في البلد أو في البر، وضع الحجارة، وضع الأحشاب، وضع الحديد بطرقات الناس حجر الخمر في طرقات الناس كل هذا من الأذى

عندما جاء مسلم وأراح هذا الأذى، أحلى الطريق منه، فهذا دليل على إيمانه بوضع الأذى في الطريق من شعب الكفر، وإزالة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان

قوله والحياء شعبة من الإيمان - الحياء خلق يجعله الله في الإنسان يحسنه على فعل ما يحمله ويتركه ويمنعه مما يندسه ويشبهه، والحياء الذي يحمل صاحبه على الخير ويمنعه عن نشر هذا محمود، أما الحياء الذي يمنع الإنسان

أركان الإيمان

قال: وأركانه ستة أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورأسه، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. [٤٣]

من فعل الخير وحلب العلم والبرّ عما أشكل عليه، فهذا
حياء مدموم لأنه عجل

وشعب الإيمان كثيرة كما عرفت بصح وسبعون، وقد
كتب الإمام البيهقي مؤلفاً كبيراً بيّن فيه شعب الإيمان وله
مختصر مطبوع

ومن أدلة العلماء على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد
بالقلب، وعمل بالجوارح، قوله ﷺ «أعلاها لا إله إلا
الله، هذا يدل على القبول، وقوله ﷺ «أدناها إمطة الأدي
عن الطريق»، هذا عمل دل على أن الأعمال من الإيمان،
وقوله ﷺ «الحياء شعبة من الإيمان»، هذا في القلب
الحياء إنما يكون في القلب بهذا دليل على أن الإيمان قول
باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح

[٤٣] الإيمان يتكون من أركان وشعب فما الفرق بينهما؟

المعنى أن الأركان لا بد منها، فإذا زال واحد منها زال الإيمان، لأن الشيء لا يقوم إلا على أركانه، فإذا نُقِدَ ركن من أركان الشيء لم يتحقق.

وأما الشعب فإنها مكملات، لا يروى الإيمان بزوال الشيء منها، لكنها مكملات إما واجبات أو مستحبات، فالواجبات لكمال الإيمان الواجب، والمستحبات لكمال الإيمان المستحب.

فإذا ترك المسلم شيئاً من الواجبات، أو فعل شيئاً من المحرمات، فإنه لا يروى إيمانه بالكلية عند أهل السنة والجماعة، ولكن يروى كماله الواجب.

فيكون ناقص الإيمان أو هاسقاً، كما لو شرب الخمر أو سرق أو رمى أو فعل شيئاً من الكبائر. هذا يكون عاجلاً لمحرم وكبيرة من كبائر الذنوب لكنه لا يكفر بذلك، ولا يخرج من الإيمان، بل يكون هاسقاً ويقام عليه الحد إن كانت المعصية ذات حد، وكذلك من ترك واحداً كمن ترك بر الوالدين أو صفة القراءة هذه واحداً، فمن تركها نقص إيمانه وكان عاصياً بترك الواجب، فيكون عاصياً إما بترك الواجب وإما

بفعل محرم، وعلى كل حال لا يخرج من الإيمان وإنما يكون مؤمناً بفصل الإيمان

هذا مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً للحوارج والمعتزلة الذين يكفرون مرتكب الكبيرة

والحوارج يكفرونه ويخرجونه من الدين

والمعتزلة يخرجونه من الدين، لكن لا يدخلونه في الكفر، وإنما يقولون هو في صوته بين مسلمين لا هو مؤمن ولا كافر

هذا مذهبهم وهو مذهب مبتدع، مخالف للأدلة، ومخالف لما هو عليه أهل السنة والجماعة، والسبب في ذلك تفهيمهم في الاستدلال، حيث أخذوا أدلة الوعيد وتركوا أدلة الوعد مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الباء ٤٨] هذه من أدلة الوعد، دلت على أن العصي الذي لم يصل إلى حد الشرك والكفر أنه مخرج من الجماعة ومعرض للوعيد والعقوبة

فإذا جمعت بين قوله تعالى ﴿وَمَنْ تَعْبَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَسْأَلُكَ أَنْ تَكُونَ مِنْ رَحْمَتِهِمْ عَلَيْكَ يَوْمَ إِلَاقِ﴾ [الحج ٢٣] من أحد نظائرها كفر

بالمنصبه مطلقاً، وإن رُدَّه إلى قول تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فحينئذٍ لا يثبت له الحق، وأنه لا يخرج من الهدى، ولكنه متوعد بالدار، إن شاء الله طهر له، وإن شاء عذبه فقد يأتي عليه مكدرات في الدنيا أو عذاب في القدر تكفر هذه السيئات والمكدرات كثيرة، يتلى بمصائب، يتلى بعقوبات في الدنيا أو يعذب في قبره أو يزحل إلى يوم الصاعه ويكون تحت المشيئة

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وهذا هو الفرق بين الشعب والأركان فمن ترك شيئاً من الأركان فهو بكفر، من جحد التوحيد وأشرك بالله عز وجل هذا بكفر لأنه ترك الركن الأول، ومن جحد أحد الرسل بكفر، لأنه ترك ركناً من أركان الإسلام، ومن جحد الملائكة بكفر ويخرج من الملة، من كفر بالبعث أو جحد النجاة أو النار أو الصراط أو الميزان أو شيئاً مما ثبت من أمور الآخرة فهو بذلك بكفر، لأنه أنكر ركناً من أركان الإيمان، كذلك من جحد القدر وقال: الأمر أتف، ولم يسبق قدر من الله إنما هي المصادفة، والأمور بالصدفة، وليس هناك قدر كما يفوله عبارة المعتزلة فإنه بكفر أيضاً، لأنه جحد القدر، أما من ترك شيئاً من الشعب فإن هذا

بنقص إيمانه، إما أن يكون نقصاً لكماله فهو جيب، أو نقصاً
لكماله المستحب لكنه لا يكفر بذلك

وما دليل الزيادة والنقصان في الإيمان؟

أما دليل الريادة فقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَرُحِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾
[الأنعام ٢] يدل على أن الإيمان يزيد بسماع القرآن، وقوله
تعالى ﴿وَيَا مَعْشَرَ الْقُرْآنِ سُبْحَانَكَ قَبَسُورٌ مَنْ يَقُولُ آيَاتُكَ زَادَتْهُ هُدًى
يَسْتَكُنُّ فَلْيَا الْوَيْبِ كَانُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾
[التوبة ١٦٤]

دل على أن الإيمان يزيد بمرور القرآن وسماعه وتدبره
كما في قوله تعالى ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا تَكْفُكًا وَمَا يَنْتَظِرُ
هَذَا نَتْمٌ إِلَّا فِيهِمْ كَفَرُوا يَسْتَبْشِرُونَ الْوَيْبُ لَوْ لَوْ الْكِتَابَ وَرَدَّ الْوَيْبُ كَانُوا
يَسْتَكُنُّ﴾ [سجدة ٣١] يدل على أن الإيمان يزيد بالاطاعات
والتصديق.

وأما النقصان فهو كل شيء يريد منه بنقص، كل شيء
قاس للزيادة فإنه قابل للنقص هذا من ناحية

ودل عليه قوله ﷺ في الحديث الصحيح «إِنَّ اللَّهَ
سَعَادُهُ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ أخرجوا من النار من كان

في قلبه متقال حية من حردل من إيمان^(١١) يدل على أن الإيمان ينقص حتى يكون على وزن حية من حردل في القلب وكذلك قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَفَّرُ يَتَهَيَّدُ أَقْرَبُ وَتَهَيَّدُ إِذِي﴾ (نل حردل ١٦٧) دل على أن الإيمان ينقص حتى يكون اقرب إلى الكفر، وفي قوله «من رأى منكم منكراً فليغير يده فإن لم يستطع فليسهه فإن لم يستطع فليقله وذلك أصعب الإيمان»^(١٢) دل على الإيمان يصعب، أي ينقص، فالإيمان إذا يريد بالطاعة وينقص بالمعصية

قوله وأركانها ستة، أي دعائمه التي يقوم عليها ويعقد يقدما أو يعقد واحد منها ستة أركان، وهي

الأول أن تؤمن بالله بالركن الأول وهو الإيمان بالله ويشمل أنواع التوحيد الثلاثة الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ربوبية ولا في الألوهية ولا في أسمائه وصفاته.

(١١) أخرجه البخاري (٢٢) ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

(١٢) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

الثاني الإيمان بالملائكة والملائكة جميع ملك، وأصله ملاك ثم سهل وقيل ملك، والملائكة خلق من خلق الله في عالم العيب، خلقهم الله لعبادته ولتحميد أوامره سبحانه وتعالى في ملكه، وهم أصناف كل صنف له عمل موكل به ويقوم به، لا يحصلون الله ما أمرهم ويعملون ما يؤمرون، فمنهم من هو موكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، وهو أشرف الملائكة، وهو الروح الأمين شديد القوى

ومنهم من هو موكل بحمل العرش ﴿أَلَيْسَ بِجَلِiousَ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ (عمر ٧) قال تعالى ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ﴾ (الحاقة ١٧)

العرش هو أعظم المخلوقات ولا يعلم عظمه إلا الله عز وجل يحمله الملائكة، وهذا دليل على عظم الملائكة وعظم قواهم وحلقتهم، قال تعالى ﴿لَقَدْ يَفْقَهُوا ظُرُوسَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَحِيلُ السَّمَكُ عَلَى رَأْسِ نَارٍ لَيُخَيَّرُ مَنَّا وَنُنَزِّلُ فِي السَّمَكِ مَاءً ذَرًّا﴾ (طه ١١)

ومنهم من به متانة جناح كجبريل عليه الصلاة والسلام فلا يعلم عظم خلقتهم إلا الله سبحانه وتعالى ﴿بَلْ يَحْكُمُ

شُكْرُوت ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْعُزْبِ وَهُمْ بِأَنفِهِمْ يَمْشُونَ ﴿٢٧﴾
 (الأنبياء: ٢٦-٢٧) ومهم الموكل بالفطر والنسب وهو
 ميكانيل، ومهم من هو موكل بالنفع في الصور وهو
 إسرائيل بنفع في الصور بهلك كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنُوحِىَ إِلَى الْقُورِ فَصَبَّحُوا مِنْ فِي الشَّجَرِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَقْبَى﴾ ثم صبح فيه مرة ثالثة فتطير الأرواح في أجسادها ﴿ثُمَّ نُوحِىَ بِهِ إِلَهُنَّ فَأَنَّهُنَّ يَتَطَهَّرْنَ﴾ (الزمر: ٦٨)

تطير الأرواح من القرون وهو الصور إلى أجسادها،
 ويدخل فيها فيحيون بدو الله ثم يسرون إلى المحشر

ومهم من هو موكل بنص الأرواح عند نهاية أجيالها،
 وهو ملك الموت، قال تعالى ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ اللَّهُ ثُمَّ يَتَوَلَّى الْوَلَّى الْأَمْرَ يُؤْتِيكُمُ اللَّهُ مِنْكُمْ ثُمَّ إِنَّكُمْ تَرْتَجِعُونَ﴾ [السجدة: ١٦]. ومعه
 أعوان من الملائكة ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلًا وَهُمْ لَا يُفْرَقُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]
 يعني أعوان ملك الموت، ومهم من هو موكل بالأجنة
 في الأرحام

قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ يَجْمَعُ حَلْفَهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ
 أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْفَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْعَةً

من ذلك ثم يرسل إليه الملك الحديث^(١)، وسهم الموكلون بحفظ أعمال بي آدم، قال تعالى ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ عُقُوبٌ مِّمَّنْ كَرَامًا كَثِيرِينَ﴾ [الأطوار ١٠-١١] يلازمونكم بالليل والنهار

قال ﷺ «يتعاضون عليكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار»^(٢) ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ويشهدون للمصلين عبد الله سبحانه وتعالى، ولهذا قال تعالى ﴿وَقَرَأَ الْقُرْآنَ يُفْخِرُ إِنَّ قُرْآنَ الْقُرْآنِ كَانَتْ مَشْهُورًا﴾ [الإسراء ٧٨] أي يحضره الملائكة، ملائكة الليل وملائكة النهار وسهم من هو موكل بحفظ بي آدم من المكروه، يحفظونه من الآفات، ومن الأعداء ومن الهوام من السباع ومن الأفاعي والحيات، ما دام له بقية حياة، فإن له ملائكة يحفظونه من الأخطار

يتم بين السباع وبين الحيات في البر، من الذي يدفع عنه الحيات والسباع والهوام؟ مع ملائكة سخرهم الله سبحانه

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٨)، ومسلم (٢٦١٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

ونعالى، قال الله فيهم ﴿لَمْ نُقَبِّلْ مِنْ بَنِي إِدْرِيسَ خَلْقَهُمْ
يَتَنَفَّسُونَ مِنْ نُفُوسِ اللَّهِ﴾ (الرعد ١١) أي بأمر الله هؤلاء
يحفظون بني آدم من المكافرة والأخطار إلى أن يحبس الأجل،
فإذا حان الأجل تحلوا عنه موقع ما قدر الله له من الموت أو
الإحياة التي تعصي إلى الموت

ومهم ملائكة موكلون بتعريف الأوامر في أنظار
السموات والأرض لا يعلمهم إلا الله سبحانه ونعالى، مهم
ملائكة يظلمون مجالس الذكر ويحصرونها كما قال رسول الله
ﷺ «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله
ويتدرسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم
الرحمة وحففتهم الملائكة»^(١) ملائكة سيأخون في الأرض
يظلمون خلق الذكر ويشهدونها

ولا يعلم الملائكة وأوصالهم وأوصالهم إلا الله لكن ما
جاء في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة أثبتته
واعتقدها، وما لم يذكر لنا بمسك عنه ولا نبعت فيه لأن
هذا من علم الغيب الذي لا يدخل فيه إلا بدليل

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

والإيمان بالملائكة ركن من أركان الإسلام، فمن جحد الملائكة وقال لا يوجد ملائكة لأسأ لا براهم، هذا يكون كفرًا ملحداً رديقاً والعياد بالله، لأنه لم يؤمن بالعب، وكذلك الذي يؤول الملائكة فيقول الملائكة إنما هي معان وليست أجساماً، وهي الهواجر التي تأتي على الإنسان، إن كانت هواجر حير فهي ملائكة، وإن كانت هواجر شر فهي شياطين، فهذا قول إلحادي والعياد بالله، ومع الأسف هو في «تفسير السار» نقله محمد رشيد رضا عن شيخه محمد عبده

وهذا كلام «اللاسفة»، وهو كلام باطل، من اعتقده فهو كافر، لكن مرجو أنه نقله ولم يعتقده ولكن نقله من غير تعقيب فيه خطورة، وهذا كلام باطل وكفر بالملائكة سأل الله العافية والسلامة.

والإنسان لا يدخل بعقله وتفكيره أو ينقل عن الفلاسفة أو عن الرائدة شيئاً من أمور الدين وأمور العيب، وإنما يعتمد على الكتاب والسنة هذا هو الواجب ويذكر في «تفسير السار» أنه منقول من كتاب «إحياء علوم الدين» للغرناي، والله أعلم

وكتاب «إحياء علوم الدين» للعراني فيه طوام وفيه بلايا،
 وإن كان فيه شيء من الخير والفوائد لكن فيه من المهلكات
 والسموم الشيء الكثير، وهو كتاب محتلط شره أكثر من
 خيره، فلا يليق بالمبتدئ أو العامي أن يطالع فيه إلا إذا كان
 هذه علم وتعمير بين الحق والباطل

والملائكة ليسوا معان كما يقول، بل الملائكة أجسام
 وأشكال يتشكلون بأشكال أعطاهم الله العدة عليها، ولهذا
 كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ في صورة رجل،
 فأعطاهم الله القوة على التشكل في أشكال من أجل مصلحة
 في آدم، لأن بني آدم لا يطفون رؤية الملائكة على خلقهم
 التي خلقهم الله عليها، وإنما يأتون إلى النبي ﷺ في صورة
 رجل وفقاً لبني آدم، ولا يرون على صورتهم وخلقهم إلا
 عند العذاب، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُودُ الْمَلَائِكَةُ لَا يَرَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ
 يُعَذِّبُهُمْ﴾ [الفرقان ٢٢] وعند الموت يعاينهم الإنسان، يرى
 ملائكة الموت، لكن في الدنيا وعلى قيد الحياة لا يراهم إلا
 لا بطريق رؤيتهم، خلقهم الله من نور، وخلق الشياطين من نار
 كما في القرآن وخلق آدم من تراب، فانه على كل شيء
 قدير

والكفر يعتمدون أن الملائكة سات الله، قال تعالى ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ بِشَرًّا أَنَّهُمْ اشْهَدُوا حَقِّهِمْ سَكَنًا شَهِدْتُمْ وَيَسْتَلِيدُوا﴾ (الرحم ١٩)

الثالث الإيمان يكتبه وهي الكتب التي أرسلها الله على الرسل لهداية البشر، يؤمن بأنها كلام الله حقيقة، ويؤمن بما سمي الله بها وما لم يسم، سمي الله لها بها التوراة والإنجيل والربور والقرآن العظيم وصحف إبراهيم وموسى والربور هؤما بها، ويؤمن بما لم يسمه الله بها، فالإيمان بالكتب السابقة يكون إيماناً مجملاً، والإيمان بالقرآن يكون إيماناً مفصلاً بكل ما فيه، لأنه كتابا وأمر على سيدنا محمد ﷺ من جحد أية أو حرفاً من حرفه فهو كافر مرتد عن الإسلام.

وكذلك من أس ببعض القرآن وكفر ببعض فهو كافر، وكذلك من أس ببعض الكتب وكفر ببعض فهو كافر، ومن قال: أنا أؤمن بالقرآن ولا أؤمن بالتوراة والإنجيل فهو كافر، أو قال: أؤمن بالتوراة والإنجيل ولا أؤمن بالربور الذي أرسل على داود عليه السلام فهو كافر، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا بِكَ بِشَرًّا﴾ (الباء ١٦٣) أو أنكروا صحف إبراهيم فهو كافر،

لأنه مكذب لله عز وجل، ومكذب لرسوله، فهو كافر لأنه
 حيدركاً من أركان الإيمان

الرابع الإيمان برسوله الإيمان بالرسول جميعهم من
 أولهم إلى آخرهم من سمي الله منهم ومن لم يسم، نؤمن بهم
 جميعاً وألهم رسول الله حقاً جدوا بالرسالة وبلغوها لأسمهم

من كفر بسبي واحد فهو كافر بجميع الرسل؛ لقوله
 تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ
 يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِمَعْشَرَ
 وَنَكْفُرُ بِمَعْشَرَ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا
 وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِأَقْصَىٰ وَرُسُلِهِ وَكُنُوا
 يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَمْرِ اللَّهِ وَرُسُلِهِمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْرِقُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا﴾ (الب. ١٥٠ - ١٥٢)

والكفر بسبي واحد أو برسول كفر بالجميع، ولهذا قال
 ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰ الثَّوْرَيْنِ﴾ (الشعراء ١٠٥) مع أنهم كذبوا
 بوخا، فكذبهم لئلا صار تكديبا لقبية المرسلين، وكذلك
 من كفر بعيسى ومحمد كاليهود، أو كفر بمحمد كالتنصاري،
 فبذلك كفر بالجميع، لا بد من الإيمان بجميع الرسل عليهم
 الصلاة والسلام من سمي الله منهم ومن لم يسم

وقد سمي الله منهم كما في سورة الأعمام ﴿وَلِلَّهِ
 حُجُجًا، قَوْمًا إِيَّاهُ يَتَّبِعُونَ قَوْمًا نَرَىٰ أَعْيُنُنَا عَنْ سَرَائِهِمْ بَعْثَ رُوحٍ مُّسْتَنَافٍ مِنْ أَشْأَانِ رَيْبٍ
 حُكْمٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَوَقَّتْ لَهُ إِبْرَاهِيمُ وَيَسْمُوتُ حُكْمًا هَدِيَّتًا
 وَثُوبًا هَدِيَّتًا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْيَئِيَهُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانُ وَأَيُّوبُ وَيُوسُفُ
 وَمُوسَىٰ وَهَارُونُ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ وَذَكَرْنَا وَنَحْنُ وَجِيزُونَ
 وَإِنَّا نَحْنُ كُلِّ يَوْمٍ فَاعِلُونَ ۖ وَتَسْجُدُ وَالسَّجْدَةُ وَتُوسُّدُ وَتُوسُّدُ
 وَتُوسُّدُ فَتُوسُّدُ عَلَى الْفَتَاوَى ۖ [الأعمام ٨٣-٨٦] وذكر جماعة
 منهم في هذه الآيات وفي آيات أخرى، مؤمن بمن سمي الله
 منهم، ومؤمن بمن لم يسم الله منهم

الحامس اليوم الآخر الإيمان باليوم الآخر، هو الركن
 الخامس، واليوم الآخر المرد به يوم القيامة سمي باليوم
 الآخر لأنه بعد اليوم الأول وهو يوم الدنيا، الدنيا هي اليوم
 الأول والقيامة هي اليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر هو
 الإيمان بما بعد الموت من عذاب القبر ونعيمه، وسؤال
 الملكين في القبر، وكل ما يكون بعد القبر فهو من الإيمان
 باليوم الآخر، وكذلك الإيمان بالبعث والنشور والمحشر
 والحساب ووزن الأعمال، والنصراط والحيوان الذي تورى به
 الحساب والسنتات، والجنة والنار، فتفاصيل ما يحصل في

اليوم الآخر تؤمن بها جملة وتفصيلاً، بداية من الموت إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، كل ما صح من هذا يؤمن به ولا يشك في شيء منه، فمن شك في شيء منه فهو كافر مرتد عن الإسلام، كل هذا يطلق عليه اليوم الآخر وما فيه

الركن السادس تؤمن بالقدر خيره وشره تؤمن بأن ما يجري في هذا الكون من خير أو شر، من كفر وإيمان، من نعمة ونعمة، من رحاء وشدة، من مرض وصحة، من حياة وموت، كل ما يجري في هذا الكون فإنه مقدر لم يكن صدفة أو يمكن أمراً مستألفاً، أي أنه مبتدأ لم يسبق أن قدّر، تؤمن بهذا، كله بأنه بقضاء الله وقدره، وتؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن هذا بقضاء الله وقدره، قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كُتُبٍ قَبْلُ أَنْ يُرْسِلَهَا إِنْ ذَلِكَ عَلَى أَتَقْوَى يَوْمٍ﴾ [التحديد ٢٢] هذا هو الإيمان بالقدر

والإيمان بالقدر ينقسم أوسع درجات من لم يؤمن بها كلها فليس مؤمناً بالقدر

المرتبة الأولى العلم بأن الله عليم كل شيء في الأول، علم كل ما يجري ما كان وما يكون إلى ما لا نهاية، فله قد علمه في الأول قبل أن يكون وقبل أن يقع، علمه مسبقه وتعالى بعلمه القديم الأزل الذي هو موصوف به (أزلاً وأبداً، هذه مرتبة العلم من جمعتها فهو كافر

المرتبة الثانية مرتبة الكتابة في اللوح المحفوظ وهي أن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ بما يجري شيء إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ليس هناك شيء يجري وهو غير مكتوب، ولهذا قال تعالى ﴿مَا أَتَا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ كَاتِبٌ﴾ [الحديد ٢٢] يعني اللوح المحفوظ، كتب الله فيه مقادير كل شيء، قال رسول الله ﷺ «أول ما خلق الله القلم، قال اكتب قال وما اكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١) فمن جملة الكتابة وقال الله يعلم كل شيء لكنه لم يكتب في اللوح المحفوظ شيئاً، هذا كافر مرتد عن دين الإسلام.

(١) أخرجه أبو داود (١٧٠٠)، والترمذي (٢٦٥٥) عن حديث عذبة بن

المرتبة الثالثة. مشيئة الله العائدة وهي أن الله سبحانه يشاء الشيء ويريدُه، فما من شيء يحدث إلا وقد شاءه الله وأرادَه كما في السرح المحفوظ، وكما علمه سبحانه وتعالى، يشأ كل شيء في وقته، ويريد كل شيء في وقت حدوثه، لا يقع شيء بدون مشيئة الله أو بدون إرادة الله، فمن قال إن الأشياء تحدث بدون أن يشاءها الله أو يريدَها فهذا كافر.

المرتبة الرابعة. مرتبة الخلق والإيجاد الله خالق كل شيء، إذا شاء وأرادَه خلقه سبحانه وتعالى وأوجدَه، فكل شيء هو مخلوق لله سبحانه وتعالى، وهو من خلق الله وهو فعل العباد وكسب العباد.

هذه المراتب الأربع لا بد من الإيمان بها وإلا لم يكن الإنسان مؤمناً بالقدر مرتبة العلم، والكتابة، والعيشة، والخلق والإيجاد، كل هذه لا بد من الإيمان بها، فمن جحد شيئاً منها فإنه كافر مرتد عن دين الإسلام؛ لأنه جحد ركناً من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر.

الدليل على أركان الإيمان

والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا أَوْحَافَكُمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِأَقْوَامٍ يَتُوبُ الْأَخِرَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْكِتَابَ وَالنَّبِيَّ﴾ [البقرة: ١٧٧]. [٤٤]

[٤٤] لما ذكر الشيخ هذه الأركان ذكر دليلها من القرآن ومن السنة؛ لأن أي شيء من أمور الدين والمعدة والمقبلة وأموال الأحكام الشرعية يحتاج إلى دليل، وإن لم يكن له دليل، لم يكن صحيحاً. لما ذكر الشيخ أركان الإيمان الستة ذكر دليلها من القرآن أولاً ثم من السنة.

فمن القرآن قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا أَوْحَافَكُمْ﴾

البر هو فعل الخير الذي يقرب من الله ويوصل إلى جنته، فكل أعمال الخير هي من البر، فالبر لفظ عام يجمع جميع أنواع الخير، وأنواع الطاعات كلها داخلة تحت معنى البر ونحت معنى التقوى.

فالبر والتقوى من الأسماء العامة التي يجمع كل أعمال الخير، وقوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا أَوْحَافَكُمْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ هذا ردّ على اليهود الذين استكروا تحويل القبلة

من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، استكروا هذا
وجحدوه مع العلم أنهم يعلمون أنه حق، لكن جحدوه من
باب الصاد والمكابرة والحسد للنبي ﷺ ولهذه الأمة

يقول الله ليس البر أن تولوا وجوهكم جهة من الجهات
من غير أمر من الله، ولكن البر طاعة الله سبحانه وتعالى، إذا
أمركم بأمر وجب عليكم امتثاله هذا هو البر، فإذا أمركم
باستقبال بيت المقدس، فالبر في ذلك الوقت هو استقبال بيت
المقدس، لأنه طاعة لله عز وجل، ثم إذا أمركم أن تستقبلوا
الكعبة، فالبر هو استقبال الكعبة، فالبر يدور مع أمر الله
سبحانه وتعالى

أنتم عبيد يجب عليكم الامتثال، إذا أمركم الله أن
تستقبلوا جهة من الجهات وجب عليكم الامتثال، أما أن
تتعمدوا لجهة معينة وتقولوا لا يصح إلا استقبالها، فهذا
معاد اتباع الهدى والعصية العبد الصادق يدور مع أوامر
الله حيث دارت، ولا يعترض على أمر الله، لأن استقبال جهة
بعد سبح استقبالها لا يكون طاعة لله عز وجل، فالعمل
بالمسوخ وترك السامح ليس طاعة لله عز وجل وإنما هو
طاعة للهوى والعصية، فالبر متعلق بطاعة الله، بحيث
وُجهت توجهه إن كنت محققاً في عبوديتك لله عز وجل

ودليلُ الغديرِ قوله تعالى ﴿ إِنَّا كَفَّيْنَاهُ حَقَّقَةً يَفْتَرُونَ ﴾
[الفرع: ١٤٩] [١٥]

المرتبة الثالثة الإحسان

تعريف الإحسان

المرتبةُ الثالثةُ: الإحسانُ، رُكْنٌ واحدٌ، وهو أنْ
تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ. [٤٦]

﴿لَيْسَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَقُولُوا وَنُوحَكُمْ فَلَمَّا أَلْهَمْنَا الْقُرْآنَ مِنَ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ أَعَانَ
بَاقُوا﴾ [البقرة: ١٧٧]

[٤٥] دليل الركن السادس من أركان الإيمان قوله تعالى
﴿ إِنَّا كَفَّيْنَاهُ حَقَّقَةً يَفْتَرُونَ ﴾ أي كل شيء حلفه الله عليه مقدر في
علمه وكتابته ومشيئته وإرادته سبحانه وتعالى، وليس هو عفوياً
أو صدقياً، إنما هو أمر سابق في علم الله، ومكتوب في اللوح
المحفوظ، وسابق في مشيئة الله وإرادته سبحانه وتعالى
[٤٦] الإحسان في اللغة إتقان الشيء وإتمامه، مأخوذ من
الحسن وهو الجمال ضد القبح وهو ينقسم إلى أقسام:

أولاً إحسان بين العبد وبين ربه وهذا هو المقصود

ثانياً إحسان بين العبد وبين الناس

ثالثاً: إحسان الصلوة وإتمامها: إذا صبح الإنسان شيئاً أو عمل عملاً فإنه يجب عليه أن يتقنه ويثبته

النوع الأول: وهو الإحسان بين العبد وربه. بينه الرسول ﷺ لما سأله جبريل بحصرة الصحابة كما يأتي، فقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك

فالإحسان بين العبد وربه هو إتقانه العمل الذي كلفه الله به بأن يأتي به صحيحاً خالصاً لوجه الله عز وجل، عمل الإحسان بين العبد وربه ما توفّر فيه الإخلاص لله عز وجل والمتابعة للرسول ﷺ، وقد بين النبي ﷺ أن الإحسان على مرتبتين، واحدة أعلى من الأخرى

الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه، بأن يبلغ بك اليقين والإيمان بالله كأنك تشهد الله عياناً، ليس عندك تردد أو أي شك، بل كأن الله أمامك سبحانه وتعالى تراه عياناً، فمن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان، تعبد الله كأن تراه من كمال اليقين وكمال الإخلاص، كأنك ترى الله عياناً، والله جل وعلا لا يرى في الدنيا وإنما يرى في الآخرة، ولكن تراه بعينك حتى كأنك تراه بعينك، وبذلك يجاري أهل الإحسان بالآخرة بأن يروه سبحانه وتعالى، لما عدوه وكأنهم يرونه

في الدنيا جاراهم الله بأن أصبح لهم المجال بأن يروه
بأبصارهم في دار الحيم

قال تعالى ﴿يَلْبِسْ أَخْسَأَ الْمَتَى وَرِيَادَةً﴾ [يوس ٢٦]
الريادة هي النظر لوجه الله، السب أنهم أحسوا في الدنيا
وأعطاهم الله الحس وهي الحجة، ورادهم رؤية الله عز وجل
تعد الله كأنك نراه على المشاهد، والمحبة والشوق إلى
لقائه سبحانه وتعالى، تتلذذ بطاعته، وتطمش إلى طاعته
سبحانه وتعالى، شتاق إليها، هذه طريقة المحسين

المرتبة الثانية إذا لم سلح هذه المرتبة المطيعة براك
تعد على طريقته المراقبة بأن تعلم أن الله يراك، ويعلم
حالك، ويعلم ما في نفسك، فلا يلبس بك أن تعصيه، وأن
تحالف أمره، وهو يراك ويطلع عليك، وهذه حالة جيدة
ولكنها أقل من الأولى، وما دمت أنك تعلم أنه يراك فراك
نحس عيادته ونشققها، لأنك تعلم أن الله يراك، والله المثل
الأعلى لو كنت أمام مخلوق له سرلة وأمرك بأمر وأنت تعد
هذا الأمر أمامه وينظر إليك، هل يلبس بك أن يقع منك إحلال
بهذا العمل؟

الحاصل أن الإحسان على مرتبتين

مرتبة المشاهدة القلبية وهي أن تعدد الله كأنك تراه من شدة اليقين والإيمان، كأنك ترى الله عز وجل عياناً.

والمرتبة الثانية وهي أقل منها، أن تعدد الله وأنت تعلم أنه يراك ويطلع عليك، فلا تعصيه ولا تحالف أمره سبحانه وتعالى.

هذه مرتبة الإحسان وهي أعلى مراتب الدين، من بلغها فإنه بلغ أعلى مراتب الدين، وقبلها مرتبة الإيمان، وقبلها مرتبة الإسلام

عالمين دوائر

الدائرة الأولى الإسلام وهي واسعة حتى إنه يدخل فيها المنافق ويقال له مسلم، ويعامل معاملة المسلمين؛ لأنه استسلم في الظاهر، فهو داخل في دائرة الإسلام، ويدخل فيها ضعيف الإيمان الذي ليس معه من الإيمان إلا مثقال حبة خردل.

الدائرة الثانية وهي أصغر من الأولى وأحص، دائرة الإيمان وهذه لا يدخل فيها المنافق، لا اعتقادي أبداً،

دليل الإحسان

والدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (الحمل ١٢٨) وقوله تعالى ﴿وَتَزَكَّىٰ عَنَ الْمَظْهَرِ الرَّحِيمِ ۚ أَلَمْ يَكُن مَعَكُمْ قَبْلُ ۖ وَفَلَاحٌ ۙ لِّالشَّاعِرِينَ ۚ﴾ (يوسف ٢١٧-٢٢٠) وقوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأٍ وَمَا نَتَلَوْنَاهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا نَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبَيِّنُونَ مِثْقَلًا وَيَوْمَ يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ يَنْتَعَالِ دُفُّ رَبِّ الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْعَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (يونس ٦١).

[٤٧]

وإما يدخل فيها أهل الإيمان وهم على قسمين إيمان كامل، وإيمان ناقص، يدخل فيها مؤمن فاسق أو مؤمن نفي

الدائرة الثالثة وهي أصبغ من الثانية، دائرة الإحسان وهي كما بينها السيوطي ولا يدخل فيها إلا أهل الإيمان الكامل.

[٤٧] هذا دليل المرتبة الأولى من الإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ ذلك لأنه أن الله مع المحسنين،

وهم اندى عدو الله كأنهم يرون الله معهم، معية خاصة، معية الصرة والتأييد والتوفيق.

وقوله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ الآية يرتبط بها ﴿تَقُومُ﴾ ﴿وَتَعْبُدُ فِي الشُّعْبَيْنِ﴾ هذا دليل المعربة الثانية. هذا دليل قوله ﴿إِنَّمَا يَرَاكَ﴾

وتوكل، أي: مؤمن أمورك

على العزيز الرحيم وهو الله سبحانه وتعالى

حين تقوم تقوم للعبادة والصلاة

وتقبلت في الساجدين يراك وأنت راجع وأنت ساجد،

يراك في جميع أحوال العبادة قدناً وركناً وساجداً فهو يراك سبحانه وتعالى

إنه هو السميع العليم لسمع لأقوالك العليم بأقوالك

سبحانه وتعالى وقوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأٍ وَمَا تَقْرَأُ مِنْ

مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا حَسَبًا عَلَىٰكُمْ شُهُورٌ إِذْ يُخِشُونَ

فِيهِ﴾ هذا دليل المعربة الثانية، وما تكون في شأن، هذا

خطاب للرسول ﷺ، في أي شأن من أمورك، من أمور

العبادة أو من غيرها، جميع أعمالك وتحركاتك ما تكون في

شأن من الشؤون

﴿وَمَا تَنْتَوَيْتُمُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ أي من الله لأن القرآن من عند الله عز وجل أو الصمير راجع إلى الشأن، أي ومن الشأن الذي تكون فيه تلاوة القرآن

﴿وَلَا تَسْتَوُونَ﴾ هذا لجميع الأمة، للمرسول ﷺ وغيره

﴿مِنْ عَمَلٍ﴾ أي عمل من الأعمال خير أو شر

﴿إِلَّا حَكَمًا عَمَلُكُمْ شَهَادًا﴾ مراكم ومصركم ومشاهدكم

هذا دليل لقوله ﷺ «إياه يراك»

﴿إِنْ تُؤْيِسُونِ فِيهِ﴾ تأسروه وتعملونه فهذا يعطي دليلاً

على العزلة الثانية من مراتب الإحسان، وأنه جل وعلا شهيد

على كل عامل بعمله يراه سبحانه وتعالى ويعلمه ويصره،

ولا يخيب عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ﴾ (آل عمران: ٥)

وأما الإحسان بين العبد والخلق فمعناه: بدل المعروف

لهم، وكف الأدنى عنهم، بأن تطعم الجائع، وتكسر العاري،

وتعين بجاهك المحتاج، وتشبع لس احتاج الشفاعة، تدل

المعروف، جميع وجوه المعروف، تكرم الضيف، تكرم

الحر، لا يصدرك إلا خير لعارك، وتكف أدبك عنه أخصاً،

علا يصدر منك أدى له ولا لغيره من الناس من لا يصدر منه إلا أدى، ومن الناس من يصدر منه أدى وخير، ومن الناس من لا يصدر منه إلا خير فهذا في أعلى الطبقات

بذل الخير للناس وكتب الأدي عنهم هو الإحسان للناس: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ أَنذَرْنَا لِلنَّاسِ﴾ [الفرد ١٩٥] حتى الهائم يحب أن تحسن إليها بأن نهى لها ما تحتاج إليه، وتسمع الأدي عنها، وترفق بها هذا من الإحسان إلى الهائم حتى المستحق للقتل لا تعديه بل تقتله قتلة حسنة ومريجة. من وحى عليه القصاص، ومن وجب عليه الحد فإنه يتعد فيه برفق لا تعذيب ولا تعذيب ولا صبر

قال ﴿إِذَا كَانَ مِنَ الْإِحْسَانِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَإِذَا قُتِلَتْ فاحسوا القنلة، وإذا دبحتم فأحسوا الذبيح﴾^(١) في القصاص أو غير ذلك مما يلزم الحد

فإذا دبحتم أي دبحتم الحيوانات المأكولة فأحسوا الذبيحة وليحد أحدكم شعره وليربح ذبيحته، فتحسن حتى للهائم، وقد عفر الله للنبي من بني إسرائيل بسبب أنها سقت كذباً وأنه يلهث من العطش، صفه بشكر الله لها، فعفر الله لها

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه

والدليل من السنة حديث حبريل المشهور عن عمر رضي الله عنه، قال: **بِئْسَ مَنْ جُلُوسٌ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَاطِنِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ.** [٤٨]

بئساً^(١) وهو ذئب عظيم، وهو البلاء أي الرى بمعرفته لها بسب ذلك لأنها أحست إلى هذا البهم العطشان فكيف بمعير الكلب إذا أحست إلى جائع من المسلمين أو حتى من بني آدم ولو كان كافراً، إذا أحست إليه فإن الله جل وعلا يشكر لك ذلك الإحسان، قال تعالى ﴿وَأَنصِرُوا لِلَّهِ فِيهِ الْخَبِيرُ﴾ [الفرء: ١٩٥]

النوع الثالث وهو إيمان العمل، أي عمل تعمله، يجب عليك أن تتقه، لا ليقل إن فلاناً يحسن كذا، وقد جاء في الحديث **إِنِ اللَّهُ يَحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَهُ**^(٢) [٤٨] قد تقدم الكلام على الإسلام والإيمان والإحسان، وأركان كل مرتبة، وذكر الشيخ رحمه الله أدلة كل مرتبة من

(١) انظر ما أخرجه البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي

هريرة رضي الله عنه

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب الإيمان ٤ / ٣٣٤ (٥٣١٣) و(٥٣١٤) من

حديث عائشة رضي الله عنها

المقرآن، وهذا كله تقدم وانتهى، ثم ذكر الشيخ رحمه الله دليل هذه المراتب من السنة، سنة الرسول ﷺ وذكر حديث جرير، وأنه أتى النبي ﷺ وهو مع أصحابه، أناهم في صورة رجل، وحلّس إلى النبي ﷺ، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم سأله عن الساعة، وسأله عن أماراتها. هذا ما يسمى بحديث جرير أو حديث عمر، وهو حديث ورد من عدة طرق عن جماعة من الصحابة، فهو حديث صحيح، وذكر الشيخ رحمه الله رواية عمر بن الخطاب^(١) في هذا الحديث مع اختلاف في ألفاظ الحديث في طرق أخرى ولكن المعنى واحد.

قال يسما بن جندب عن عبد النبي ﷺ، كان من عاداتهم رضي الله عنهم أنهم يجتمعون عند النبي ﷺ في المسجد ويتلقون به العلم، ويستمعون إلى أجوبته ﷺ على ما يرد من الأسئلة، يسما هم كذلك على عاداتهم، إذ دخل عليهم رجل من الباب، رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، أي: أن جرير عليه السلام تمثل في صورة هذا

(١) أخرجه مسلم (٨)، وانظر جامع العلوم والحكم، لابن رجب ٩٣ / ١
حديث النبي

لا يُرى عليه أثر السحر ولا يعرفه مأ أحدٌ، حتى
 جلس إلى النبي ﷺ فأسد ركبته إلى ركبته ووضع
 كفيه على فخذيه وقال يا مُحَمَّدُ أخبرني عن الإسلام
 [٤٩]

الرجل ولم يأنهم بصورته الملكية، لأنهم لا يطيقون النظر
 إليه في صورته الملكية.

[٤٩] لا يُرى عليه أثر السحر ولا يعرفه ما - أي من الحاضرين -
 أحد - فهذا من العجائب، أنه ليس قادمًا من سفر حتى يقال
 إنه من غير أهل المدينة وهم لا يعرفونه، وهو ليس من أهل
 البلد حتى يعرفوه، فتعجبوا في شأنه، لا هو قادم ولا هو من
 أهل البلد، لو كان قادمًا من سفر لظهر عليه أثر السحر في
 ثيابه وفي لونه؛ لأن المسافر تظهر عليه آثار السحر، فلا يعرفه
 أحد من الحاضرين - وليس هو من أهل البلد، وليس هو قادم
 من سفر، فمن أين يكون هذا الرجل؟ هذا الذي استعجبوه.
 فجلس إلى النبي ﷺ بين يديه جلوس المتعلم من معلمه
 وأسد ركبته إلى ركبتي النبي ﷺ، أي أنه قريب منه
 جدًا

ووضع يديه على فخذيه، أي فحدي النبي ﷺ

قال أن أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، فقال: صدقت، لمعجبا له بسأله ويصدقهُ [٥٠]

فقال يا محمد. حاطبه باسمه ولم يقل. يا رسول الله، ولعنه فعل ذلك عليه السلام من أجل أن يظن الصحابة أنه من أهل البادية، لأن من عادة أهل البادية أنهم يحاطبون النبي ﷺ باسمه، لأن أهل البادية على طبيعتهم وعاداتهم، وهو زيادة في الإعراب والعمية حتى لا يعرفوه.

قال يا محمد أخبرني عن الإسلام، أي اشرح لي معنى الإسلام

[٥٠] قال الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ذكر له النبي ﷺ أركان الإسلام، التي لا بد منها، والتي إن تحققت ووُجدت تحققت الإسلام، وما زاد عليها من الأمور الأخرى فهي مكملات، فالرسول ﷺ اقتصر على بيان أركان الإسلام، لأن الجواب كل ما كان مختصراً كان أسهل على المتعلم والسامع، وسهل

قال أحبرني عن الإيمان، قال أن تؤمن بالله،
وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن
بالقدر خيره وشره، قال صدقت (٥١)

عليه حفظه ورعيه، يسألنا لو طُول الجوابُ تشعب على
الحاضرين، وربما أن أكثرهم لا يستوعبه، فهذا دليل على أن
المسؤول ينبغي أن يتوخى الاحتصار مهما استطاع، ويقتصر
على الشيء الضروري، ولا فالإسلام أكثر من ذلك. هذه
أركانها ودعائمه التي يقوم عليها

قال صدقت هذه عجيبة ثابته

قال: فعجبا له بسأله ويصدقه يدل على أنه عالم، وأنه
لا يسأل سؤال حميل، وإنما يسأل وهو عالم بدليل أنه قال
صدقت، يدل على أنه عالم فعماذا يسأل؟

[٥١] قال. أحبرني عن الإيمان، قال أن تؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره. وذكر
له ﷺ أركان الإيمان الستة بعدما ذكر به أركان الإسلام
والإسلام والإيمان إذا ذكرنا جميعاً فالإسلام معناه الأعمال
الظاهرة، والإيمان هو الأعمال لاهية أعمال القلوب وما
يقوم به من التصديق والعلم، ولا بد من الإسلام والإيمان

قال. أحبرني عن الإحسان، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال. فأحبرني عن الساعة، قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. [٥٢]

حقيقاً، الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة لقوله ﷺ «الإسلام علانية والإيمان في القلب»^(١) فإن ذكرنا جميعاً صار لكل واحد معنى خاصاً به، وإذا ذكر واحد منهما دخل فيه الآخر إذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، لأنه لا يصبح إسلام بدون إيمان ولا يصبح إيمان بدون إسلام لا بد من الاثنين، وهما متلازمان ولهذا يقولون إن الإسلام والإيمان من الأسماء التي إذا اجتمعت انفردت، وإذا انفردت اجتمعت، أي يدخل بعضها في بعض لأنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر فأنه عن الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، وبشر له ﷺ أركان كل من الإسلام والإيمان

[٥٢] قال. فأحبرني عن الإحسان، قال أن تعبد الله، سبق أن المحسنى هو من يعبد الله على المشاهدة واليقين كأنه يرى

(١) أخرجه أحمد ١٩ / ٣٧١ (١٢٢٨١) من حديث أنس رضي الله عنه

الله، أو بعده، على المرافقة وهو يعلم أن الله يراء محسن العمل؛ لأن الله مطلع عليه، فالمحسن بعد الله إما على المشاهدة في القلب وهذا أكمل، وإما على المرافقة وأن يعلم أن الله يراء في أي مكان أو في أي عمل يعمل، هذا هو الإحسان.

قال: صدقت، فأخبرني عن الساعة، أي عن قيام الساعة متى؟ ولما كان هذا السؤال لا يعلم أحد الجواب عنه إلا الله سبحانه وتعالى، لأن قيام الساعة لا يعلم تحديده إلا الله عز وجل.

نحن نعلم أنها ستقوم الساعة لا شك في هذا، من شئت في هذا فهو كافر. نعلم أنها ستقوم الساعة ولا بد، ولكن الوقت الذي تقوم فيه الساعة الله عز وجل لم يحررها عنه ولم يبيها لنا، واستأثر بعلمه، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْرُسُ إِلَهُكُمْ أَلَعَدَّ إِلَهُاتٌ﴾ (الأنعام ٢٢١) وقال تعالى ﴿يَسْتَوُونَ عَنِ الشَّعَرِ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ الْحَدُودَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ لَا يُهْلِكُ شَيْئًا إِلَّا وَأَمْرٌ إِلَيْهِ يَوْمَ يُنْفَخُ الصُّورُ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (الأنعام ٥٩) وسها وقت قيام الساعة

قال فأخبرني عن أماراتها، قال أن تِلْدَ الأمة
رَبَّتْهَا [٥٣]

قال لجريل ما المسؤول عنها ما علم من السائل،
أي أما وأنت سواء لا نعلم متى تقوم الساعة، الله جل وجلالهم
يمنع على هذا لا املائكة ولا الرسل ولا أحدًا بل استأثر
بعلمها سبحانه وتعالى

[٥٣] قال أخبرني عن أماراتها الأمارات جمع أماراة وهي
العلامة، أما الإمارة بالكسر فهي لولاية

أخبرني عن أماراتها، أي العلامات التي تدل على قرب
قيامها، نعم الساعة لها أمارات وقد بينها الله سبحانه وتعالى،
منها أمارات صغيرة، ومنها علامات كبيرة، ومنها متوسطة
ومنها علامات مقاربة للساعة، تكون عند قيام الساعة، تكون
قريبًا من قيامها، أما العلامات الأخرى فإنها متقدمة العمداء
يقوتون علامات الساعة على ثلاثة أنواع هي علامات
صغيرة ومتقدمة، وعلامات متوسطة، وعلامات كبيرة.

العلامات الصغيرة والعلامات المتوسطة كلها حصلت أو
حصل معظمها، أما العلامات الكبار، ظهور الدجال ونزول
عيسى عليه السلام وحروج الدابة، وحروج بأجروح وأجروح
هذه تكون عند قيام الساعة وتنتفع

وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ
فِي الْبُنْيَانِ [٥٤]

قال أحبري عن أماراتها ولما كانت أماراتها معلومة
أجابه الرسول ﷺ قال «أَنْ تَلِدَ الْأُمَةُ رِيثَهَا» هذا من علامات
الساعة، الأمة هي المملوكة، وريثها، سيدتها.

[٥٤] قال الشراح معناه والله أعلم، أنه في آخر الزمان يكثر
التسري، يعني يكثر وطء الإمام، أي المملوكات قبلد
نات، تكون بنتها حرة، وتكون سيدها لأمتها ومالكة لها وقيل
معناه أنه يكثر الحقوق فتكون الست كأنها سيدها لأمتها.

وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ هَذِهِ عَلَامَةٌ ثَابِتَةٌ

الحفافة الذين ليس لهم مال من العقر والنفقة

العراة الذين ليس لهم لباس

العالة: الفقراء.

رِعَاءَ الشَّاءِ جمع راع الذين يرعون الأضام هؤلاء كانوا
في الأصل في البراري في بيوت ينتقلون من محل إلى آخر،
وفي آخر الزمان يستوطنون في المدن، ويسون القصور
والعمارات الشاهقة، هذا من علامات الساعة، إذا تحولت
المدية إلى حاضرة، وصاروا يتطاولون في المباني، وينشاهون

قال حمص، فلشأ ملياً، فقال: يا عمرُ أتدري من السائل؟ قلتُ اللهُ ورسولُه أعلم، قال هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم أمرَ دينكم. [٥٥]

بها وبمقوتها، وهم ليس من عادنهم، يتحولون إلى أعباء إلى أصحاب ثروة وأصحاب مظاهر هذه من علامات الساعة

وكما تعلمون فإن الرسول ﷺ لا يطق عن الهوى، كما تعلمون الآن كيف حال الناس، لقد تغيرت الأحوال وتحول الفقراء إلى أعباء أصحاب ثروات، وتحصرت البادية وسوا وتناولوا في البيان، وهذا مصداق ما قاله رسول الله ﷺ

[٥٥] قال ثم خرج ولبشأ ملياً يعني وقتاً قصيراً

فقال النبي ﷺ: يا عمر! أتدري من السائل؟ أو أتدرون من السائل؟ وفي رواية أن النبي ﷺ قال «علي بالرجل»^(١) فطلبوه فلم يقدروا عليه

قال: هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم: هذا الذي دخل وسأل هذه الأسئلة هو جبريل عليه السلام وجاء في

(١) أخرجه الهيثمي في «الذكري» ٥/ ٣٨٠ (٥٨٥٢) من حديث أبي عمر

رضي الله عنه، وابن حبان (١٧٣)، والدارقطني ٣/ ٣٢١ (٢٧٠٨) من

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

صورة رجل كما وصف لعرض تعليم الحاضرين أمور دينهم
على طريق السؤال والجواب

فدل هذا الحديث على مسائل عظيمة

الأولى أن الدين ينقسم إلى ثلاثة مراتب الإسلام
والإيمان والإحسان، كل مرتبة أعلى من التي قبلها، وأن كل
مرتبة لها أركان، أركان الإسلام، وأركان الإيمان والإحسان
ركن واحد

الثانية: فيه التعليم بطريق السؤال والجواب، وهذه
طريقه تعليمية ناجحة، لأنها أدعى للانتباه وتلقي العلم كونه
يسأل وينتهي عنه، يتطلب الجواب، ثم يلقي عليه الجواب
وهو يتطلع إليه يكون هذا أثبت

الثالثة: في الحديث دليل على أن من سأل عن علم وهو
لا يدري عليه أن يقول الله ورسوله أعلم، يكل العلم إلى
عالمه فلا يتكلم بالجواب وهو لا يعرفه ويتفرص هذا لا
بحوره، والرسول ﷺ لما سُئل عن الساعة قال: ما المسؤول
عنها بأعلم من السائل، ولما قال لنصحته أتدرون من
السائل؟ وهم لا يعرفونه قالوا الله ورسوله أعلم

عدل ذلك على أن مسائل الشرع ومسائل الدين لا يحور
التحريض فيها، لأن هذا من التكلف، ولكن من كان عنده
علم فإنه يجب، ومن ليس عنده علم يقول الله أعلم، ومن
قال: لا أدري فقد أجاب.

قد سئل الإمام مالك رحمه الله عن أربعين مسألة وأجاب
عن ست منها، وقال في الباقية لا أدري، فقال له السائل
أنا جئت من كذا وكذا وسأمرت وأتعبت راحلتي وتقول لا
أدري، قال: اركب راحلتك، واذهب إلى البلد الذي جئت
منه وقل: سألت مالكاً فقال لا أدري هذا ليس حيناً أن
الإنسان إذا كان لا يعرف الجواب في الأمور الشرعية أنه
يقول لا أدري ولو كان عالماً، الرسول ﷺ قال ما
المسؤول عنها بأعلم من السائل

وكان ﷺ إذا سئل في بعض الأسئلة ولم يكن عنده وحي
من الله عز وجل انتظر حتى يزل الوحي من الله عز وجل ألتزم
تقرؤن يسألونك عن كذا، يسألونك عن كذا، قل كذا.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالنَّبِيرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾

[البقرة: ٢١٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَلْجَفِ قُلْ مِنْ مَوْضِعِ الثَّالِثِ

وَالْمَحْجِ﴾ [البقرة: ١٨٩]

والرسول ﷺ كان إذا سئل ولم يكن عنده جواب ينتظر حتى يهرل عليه الوحي من الله، وكذلك غيره من باب أولى، ينتظر حتى يسأل غيره أو يبحث عن المسألة في كتب أهل العلم ليتحصل على جواب، أما أن يستعجل بهذا فيه خطورة عظيمة وفيه سوء أدب مع الله عز وجل لأن الذي يجيب يجب عن شرع الله، يقول الله أحل كذا أو حرم كذا أو شرع كذا، فالأمر فيه خطورة جداً

المسألة الرابعة في الحديث دليل على آداب المتعلم، جبريل وهو سيد الملائكة يجلس بين يدي الرسول ﷺ وهو يسد ركبتيه إلى ركبتي الرسول ﷺ، ويصح يديه على فخذه يسأل بأدب هذا من أجل أن يعلم الناس كيف يتأدبون مع العلماء.

هذا بعض ما يدل عليه الحديث وفيه:

مسألة خامسة. وهي بيان بعض علامات السابعة، ذكر علامتين: أن تلد الأمة ربتها، وبعض العلماء يقول معنى أن تلد الأمة ربتها أنه يكثر العقوق في آخر الزمان حتى تصبح البنت كأنها سيدة على والدتها تأمرها وتنهاها وتعلظ عليها



الأصل الثالث : معرفة بيينا محمد ﷺ

اسمه ونسبه ونشأته

الأصل الثالث : معرفة ببيكم محمد ﷺ [٥٦]

[٥٦] قوله الأصل الثالث أي من الأصول الثلاثة، لأن الشيخ رحمه الله ذكر في أول الرسالة أنه يجب على كل مسلم ومسلمة معرفة هذه الأصول الثلاثة وهي معرفة الله، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة بيه محمد ﷺ بالأدلة

أما الأصل الأول والثاني فقد تقدم شرحهما وبيان أدلتهما

الأصل الثالث وهو معرفة النبي ﷺ، لما كان النبي ﷺ وسطاً بين الله وبين خلقه في تبليغ ديه ورسالته، وجب معرفته عليه الصلاة والسلام، وإلا كيف تتبع شريعته لا تعرفه فلا بد أن تعرفه من حيث الاسم ومن حيث البلد الذي ولد وشأ فيه، والبلد الذي هاجر إليه، وتعرف مدة عمره عليه الصلاة والسلام.

وأقسام عمره عليه الصلاة والسلام، وأقسام العدة التي أقامها في هذه الدنيا، تعرفها أيضا قبل السيرة وبعدها، وقيل

وهو مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ
 مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ
 إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى بَيْنِنَا أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (٥٧)

الهِجْرَة وَبَعْدَ الْهِجْرَة نَعْرِفُ كَيْفَ اسْتَدْنَى بِالْوَحْيِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ وَمَتَى اسْتَدْنَى بِالْوَحْيِ، وَمَا هِيَ الْآيَة الَّتِي تَدُلُّ عَلَى
 سَوْتِهِ، وَالْآيَة الَّتِي تَدُلُّ عَلَى رِسَالَتِهِ، تَأْتِي بِالْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ
 عَلَى سَوْتِهِ، وَالْآيَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى إِرْسَالِهِ، فَلَا يَدُّ أَنْ نَعْرِفَ
 هَذَا، نَعْرِفُ نِسْبَهُ مِنْ أَيِّ هَيْلَةٍ، لِأَنَّ الْعَرَبَ مَبْتَغَلٌ، وَهُوَ عَرَبِيٌّ
 بِلَا شَكٍّ، فَلَا يَدُّ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ مَا
 تَدْرُسُ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ الْمَعْلُوقَةُ بِهَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَنُظَرُ فِي
 سِيرَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَدَعْوَتِهِ لِأَجْلِ أَنْ نَعْرِفَ هَذِهِ الْأُمُورَ عَنِ
 نَبِيِّكَ الَّذِي أَنْتَ مُأْمُورٌ بِاتِّبَاعِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ

[٥٧] هَذَا اسْمُهُ وَنِسْبُهُ، اسْمُهُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 وَلَهُ أَسْمَاءٌ غَيْرُ مُحَمَّدٍ، لَكِنْ أَشْهُرُ أَسْمَانِهِ مُحَمَّدٌ فَدَكَرَ اللَّهُ
 ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح ٢٩]
 وَقَوْلُهُ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾
 [النحل ١٠٤] وَقَوْلُهُ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾

[الأحزاب ٤٠] وقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَأُولَئِكَ سَتَرْنَا عَنْ أَصْحَابِهِمْ لَقَدْ كَانَ عَدُوُّهُمْ غَافِلًا﴾ [محمد ١] وذكر الله اسمه محمداً في عدة آيات

ومن أسمائه أحمد، قد ذكره الله في قوله في بشارة المسيح عليه السلام ﴿وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ إِذْ هُمْ عَلَى آثَارِهِمْ لَعَنُوا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرْسَلُ﴾ (صف ٦) فهو محمد وأحمد ومعنى ذلك أنه كثير المحامد عليه الصلاة والسلام، وكثير الصفات التي يحمد عليها، ومن أسمائه سي الرحمة، وسي الملحمة، يعني الجهاد في سبيل الله، والحاشر، والعاقب عليه الصلاة والسلام الذي يحشر الناس بعد بعثته، لأنه آخر الرسل ﷺ، وليس بعده إلا قيام الساعة، فبعد رسالته تقوم الساعة، ويحشر الناس للحراء والحساب، ومن أراد أن يلم بهذه الأمور فليرجع إلى كتاب اجلاء الأئمة في الصلاة والسلام على خير الأنام* للإمام ابن القيم رحمه الله

وَأَمَّا سَبَّ، فَهُوَ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ
هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ

وهو من قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل، وقريش من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، والعرب على قسمين في المشهور :

العرب العاربة وهم الفخطانية، والعرب المستعربة وهم العدنانية من ذرية إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام، سموا بالمستعربة لأنهم تعلموا العربية من العرب العاربة، لما جاءت جُرُهم وبرزلوا في مكة عند هاجر أم إسماعيل واسمها إسماعيل، وهو صعب، لما وجدوا ماء وموم برلوا، واصطلحوا مع هاجر أن يرلوا عندها، وأن تسمح لهم أن يستقوا من الماء، فإسماعيل عليه السلام كان وصيهاً في ذلك الوقت، ثم إنه ترى وشأ وأحد العربية عن جُرُهم وهي من العرب العاربة، ونزوح من جُرُهم، وجاءه ذرية تعلموا العربية وشؤوا مع العرب، فصاروا عرباً مستعربة وهي العدنانية، أما العاربة فهم الفخطانية أصلها من اليمن

ومضى العلماء يقول العرب العاربة على قسمين عرب باللة وعرب بالية، العرب باللة هم الذين هلكوا، وهم قوم موح وعاد ونمود وشيب، أما العرب البالية هم الذين ينقسمون إلى عرب عاربة، وعرب مستعربة وهي

العرب الباقية، والتي من سي هاشم، وهاشم من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعبد المطلب ليس هذا اسمه، اسمه شيبه، ولكن سمي عبد المطلب لأن عمه المطلب بن عبد مناف جاء به من المدينة وهو صغير من عند أحواله سي الجار، فلما رآه الناس أسود من السفر ظنوا أنه عبد مملوك للمطلب، فقالوا: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وعبد مناف له أربعة أولاد هاشم جد الرسول ﷺ، والمطلب، وعبد شمس، ونوعل.

هو هاشم يقال لهم الهاشميون، وهو المطلب يقال لهم المطلبون وأما عبد شمس، فمنهم عثمان رضي الله عنه ومنهم أبو أمية هؤلاء من سي عبد شمس ونوعل كذلك له ذرية منهم جبير بن مطعم، وحكيم بن حرام.

وإبراهيم عليه الصلاة والسلام له إسماعيل وهو الأكبر، وهو جد العرب العدنانية، وإسحاق وهو جد بني إسرائيل، وجميع الأنبياء كلهم من ذرية إسحاق إلا يسا عليه الصلاة والسلام فهو من ذرية إسماعيل حاتم النبيين

أما مولده فقد ولد ﷺ عام الفيل ، وهو العام الذي جاء فيه أربعة ملك اليمس ، ابتدبه ملك الحشنة ليهدم الكعبة ومعه فيه فيل عظيم ، فلما وصل إلى مكان يقال له . العمقس ، ولم يبق إلا أن يدخل مكة ويهدم الكعبة وتغرق أهل مكة وصعدوا الجبال ، لأنهم لا طاقة لهم به ، فأراد أن يتوجه إلى الكعبة ، فاحسب الفيل ، وأبى أن يقوم من الأرض ، حبسه الله ، فإذا وجهه إلى غير جهة مكة قدم وهرول ، وإذا وجهه إلى جهة مكة انحس ولم يستطع المشي ، وبسما هم كذلك رأوا فرقان طير من قبل البحر معها حجارة ، كل طائر معه حجران حمر في مقارن وحمر في رحليه ، فرمتهم فصارت الحصى تصرب هامه لرحل فتخرج من دبره وتشقه بصبي ، فأهلكهم الله عز وجل ، فأمر الله في ذلك يذكر فريشاً سورة الفيل ﴿الَّذِي نَزَّلَ كَيْفَ نَعْلَ رَبُّكَ بِأَحْسَنِ الْإِنْبِيِّ ۚ أَتَى بِجَعَلٍ كَيْدَمُ فِي تَصِيلِ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبْدَلَ ۚ نَزَرِيهِمْ بِحِجَارٍ مِنْ يَسِيلِ ۚ مِنْ جَهَنَّمَ وَالْمِيَادِ بَاثِلَ ۚ جَنَّتْهُمْ كُفْعَصِ ۚ تَأْسُكُولِ﴾ [الفيل] أصبحوا مثل النس الذي أكلته الدواب ورائته .

هذه قصة الفيل حمى الله بيته الحرم ، وأهلك هذا الجبر . وفي هذا العام ولد محمد ﷺ ، وظهر مع ولادته

وله من العُمُر ثلاث وستون سنة، أربعون قبل
السُّور، وثلاث وعشرون بيناً رسولاً نُبئَ بـ ﴿أَفْرَأَ﴾
[٥٨]

آيت، حيث ظهر معه نور أشرقت له قصور الشام، وهي ليلة
ولادته الرنجت الأصنام، وارتج إيوان كسرى وسقطت منه
شرقات، هي ليلة ولادة النبي ﷺ هذه إزهاصات لعتة النبي
ﷺ، والجن والشياطين حصل عندهم صحة في الليلة
العظيمة

ولد في مكان يقال له شعب على مقربة من الكعبة، ولد
في مكة لكن لا يوجد تحديد ثابت لموضع الدار

[٥٨] فهو ولد في مكة ﷺ، واسترعى في سي سعد عبد
حليمة السعدية، ومات عبد الله أبوه وهو في نظر أمه، ثم
ماتت أمه بعد ولادته بقليل، فحضنته أم أيمن الحبشية التي
ورثها عن أبيه، وصار في كفالة جده عبد المطلب، ثم مات
عبد المطلب وانتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب، وعاش ﷺ
أربعين سنة قبل السورة معروفاً بالأمانة، والصدق، والكرم،
وتجنب عبادة الأصنام، وتجنب شرب الخمر ما كان يعمل
ما يمينه أهل الجاهلية بل كان عليه الصلاة والسلام يحرج

إلى غار حراء ويتعبد فيه الأيام ذات العدد، يعبد الله على مائة إبراهيم، على التوحيد، ثم لما بلغ الأربعين من عمره عليه الصلاة والسلام نزل عليه الوحي بأن جاءه جبريل وهو في غار حراء وقال له اقرأ، قال ما أنا بقارئ، أي لا أحسن القراءة، فضمه صمعة شديدة ثم أرسله وقال اقرأ، قال ما أنا بقارئ، ثم ضمه مرة ثانية، ثم أرسله وقال له اقرأ، قال ما أنا بقارئ، فقال له ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ (العلق: ١ - ٤)

هذه هي سورة ﴿اقْرَأْ﴾ ساء الله ماقرأ، أي جعله سبب بدلك، ثم ذهب إلى بيته يرتجف من الخوف، لأنه لقي شيئاً ما كان يعرفه من قبل، أمراً هائلاً يوجد روحه خديجة رضي الله عنها فعطته وهدايته، وقالت له كلا والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتغري الصبغ، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر، هو طائفة وذهبت به إلى عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تحث وقرأ في الكتب السابقة تعبداً لله عز وجل فلما أخبره بما رأى قال هذا هو الناموس الذي كان يهزل على موسى يعني جبريل عليه الصلاة والسلام

نزل الوحي عليه

وَأَرْسَلْنَا بِهِ الْمُدَّثِّرَ، وَبَدَأَ مَكَّةَ، وَهَاجَرَ إِلَى
الْمَدِينَةِ، بَعَثَ اللَّهُ بِالْمَدَارَةِ غِيَاثَ الشُّرَكِ، وَدَعَا إِلَى
التَّوْحِيدِ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ
فَإِنَّكَ ﴿٢﴾ وَرَيْكَ مَكِينٌ ﴿٣﴾ وَبِاللَّهِ تَعَالَى ﴿٤﴾ وَالْآخِرَ فَاكْفَرُ ﴿٥﴾ وَلَا
تَسُبُّكَ تَكْفِيرٌ ﴿٦﴾ وَرَيْكَ مَكِينٌ ﴿٧﴾ [المعثر ١-٧] [٥٩]

[٥٩] ثم نزل عليه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَاكْفَرُ ﴿٢﴾﴾ هذا
هو الإرسال، وهذا معنى قول الشيخ بقاء بالقرآن وأرسله
بالمعثر

والعرق بين النبي والرسول أن النبي هو من أوحى إليه
بشرع ولم يؤمر بتليعه، والرسول هو من أوحى إليه بشرع
وأمر بتليعه، وتوضيح ذلك أن الرسول نزل عليه شريعة
وكتاب، فهو بين بالقرآن وأرسل بالمعثر على رأس الأربعين،
وكذلك الأنبياء، والتي بعث بشرع من قبله وكتاب من
قبله، ويومئ إليه ببعض المسائل كآبياء بني إسرائيل من بعد
موسى والمعثر معناه المنكشف لأنه لا يخفى أصابه شيء من
الفرع فقال دثروي دثروي، أي عطوي، ما نزل الله عليه
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَاكْفَرُ ﴿٢﴾ وَرَيْكَ مَكِينٌ ﴿٣﴾﴾ أي غطيه ﴿وَرَيْكَ

تَكْفِيرٌ ﴿ أَي طَهَّرَ أَعْمَالَكَ مِنَ الشَّرِكِ ، فَأَلْأَعْمَالُ تَسْمَى الشَّيْبَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَلَمَّا نَسُوا مَا كُنُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأعراف ١٢٦] سَمَى التَّكْفِيرَ لِبَاسًا

وَالرَّجَزَ الرَّجْرَ مَعَاءَ الْأَصْحَامِ
فَاهْجَرَ ، أَي أَتْرَكَهَا وَابْتَعَدَ عَنْهَا

فَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ الْأَرَمِيِّ ، وَبَقِيَ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْوَحِيدِ وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْحَامِ ، وَحَصَلَتْ مَدَافِلَاتٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ ، حَصَلَ عَلَيْهِ أَذَى وَعَلَى مَنْ آمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ، وَحَصَلَتْ مَضَائِقَاتٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي حِلَالِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَبْلَ الْهَجْرَةِ ثَلَاثَ سَوَاتٍ أُسْرِىَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، وَخُيِّرَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهَرَمَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْحَمَسُ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ ، ثُمَّ تَأَمَّرَتْ قُرَيْشٌ عَلَى قَتْلِهِ وَعَلَى الْفَتْكِ بِهِ ، فَأَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، بَعْدَ مَا انْقَضَى بِالْأَنْصَارِ فِي بَيْعَةِ الْعُقُوبَةِ الْأُولَى وَبَيْعَةِ الْعُقُوبَةِ الثَّانِيَةِ

هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا عَشْرَ سَوَاتٍ ، فَالْمَجْمُوعُ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، بَعْدَ الْبَيْعَةِ عَاشِ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، ثَلَاثَ عَشْرَةَ فِي مَكَّةَ يُؤَسِّسُ دَعْوَةَ الْوَحِيدِ ، وَعِشْرَ

سوات في المدينة، ثم ثوباء الله على رأس الثالثة والسبعين من عمره عليه الصلاة والسلام، فمدة عمره في الرسالة ثلاثة وعشرين سنة، وهذه البركة التي أنزلها الله عز وجل عليه، وعد العلم العزيز، وهذا الجهاد، وهذا التمكين في هذه المدة الوعيرة ثلاث وعشرين سنة هذا من آيات الله سبحانه وتعالى، ومن بركات هذا النبي ﷺ، وبركات دعوته، وبركات الوحي الذي أنزل إليه، وقبل هذا كله بإعادة الله عز وجل، وهو الذي أعانته، وهو الذي حماه وأيده ونصره حتى بلغت دعوته المشارق والمغارب، والحمد لله رب العالمين.

قوله بعث الله بالنبوة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد هذه دعوته ﷺ النادرة عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد، وهذا الذي يحب أن يسير عليه الدعوة في دعوتهم أن يتركوا على الإنداء عن الشرك والدعوة إلى التوحيد قبل كل شيء، ولا تم تكن دعوتهم على منهج الرسول ﷺ.

الرسول ﷺ بعث الله بالنبوة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد، فلا بد من تأصيل هذا الشيء أولاً ثم بعد ذلك يتجه إلى بقية الأمور، لأنها لا تصلح الأمور إلا بوجود التوحيد لو أن الناس تركوا الرمي، والحرر والسرقه وانصرفوا لكل قصيدة

مدة الدعوة في مكة

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد. [٦٠]

من الأعمال والأخلاق لكنهم لم يتركوا الشرك فلا فائدة من هذه الأمور ولا نعمهم، يسألوا لو سلم الإنسان من الشرك وعنده كيان دون الشرك فهو مرحب أن يعمر الله له أو يعذب بقدر ذنوبه، ولكن مآله إلى الحجة لأنه موحد

فالتوحيد هو الأصل والأساس، ولا حاجة إلا بوجود التوحيد أولاً، ولذلك يجب التركيز عليه، والحاجة به دائماً وأبداً، ودعوة الناس إليه وتعليم الناس إياه، وأن يبين لهم ما معنى التوحيد، وما معنى الشرك، لا بد أن يعرف المسلم هذا الأمر ويتحقق منه، ويعتقد بحقه حتى لا يقع في شيء من الشرك أو يحل بالتوحيد، فلا بد من هذا الأمر ولا بد أن تقوم الدعوة على هذا الأساس.

[٦٠] قوله: أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد، أي. أخذ على دعوة الناس إلى التوحيد والإنداز عن الشرك عشر سنين في مكة، وهو يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك، لأنهم كانوا يعبدون الأصنام، والحكمة أن الله بعث في مكة لأن مكة هي أم القرى التي ترجع إليها القرى، والله

جل وعلا يقول ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهَيْلًا الْقُرَىٰ خَلَّى بَيْنَ يَدَيْهَا
رَشُولًا﴾ [سورة القصص ٥٩] والام هي المرجع الذي يرجع
إليه، والأصل الذي يرجع إليه، هذا هو الام. قوله تعالى.
﴿مَنْ أُمِّ الْكَافِبِ﴾ [آل عمران ٧] أي الأصل الذي ترد إليه
الآيات المتشابهات

كذلك مكة شرعها الله هي الأصل الذي يرجع إليه أهل
الأرض، والمسلمون في أقطار الأرض يرجعون إلى مكة،
عهي أم القرى بمعنى هي المرجع، ولذلك بعث الله فيه ﷺ
من مكة لأنها أم القرى، ومكث فيها ثلاث عشرة سنة، يهي
أهل مكة عن الشرك، ويأمرهم بالوحيد، لأن أهل مكة هم
العدوة لغيرهم، ولهذا يجب أن تفي مكة إلى قيام الساعة
دارًا للوحيد، وسائرًا للدعوة إلى الله، وأن يعدد عنها كل ما
يحالف ذلك، يحد عنها الشرك والدع والحرامات، لأن
الناس ينظرون إليها دائمًا وأبدًا، ما يفعل فيها ينشر في
العالم، من كان ما يفعل فيها خير انتشر الخير، وإن كان
على عكس ذلك انتشر الشر

يجب أن تظهر مكة دائمًا وأبدًا، ولهذا يقول جل وعلا
﴿وَعَهْدًا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَخَاهُ تَتَّبِعُنِي بِإِيمَانِي وَاتَّقِ اللَّهَ

الإسراء والمعراج

وبعد العشر عرج به إلى السماء، وفُرِصَتْ عليه الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سَبْعِينَ [٦١]

وَأَرْحَلَّ كَثُورًا (المرء: ١٢٥) يجب أن تظهر مكة من كل ما يحالف الإسلام حتى يصدر منها الدين والدعوة إلى مشارق الأرض ومغاربها، لأن الله بعث رسوله بها، وبدأ دعوته فيها عليه الصلاة والسلام، مكث النبي ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة منها عشر يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك، ولم يؤمر بشيء غير ذلك، لم يؤمر بالصلاة ولا ركاة ولا صيدم ولا حج بل كانت دعوته مقتصرة على التحذير من الشرك والأمر بالتوحيد يقول لهم قولوا لا إله إلا الله فاعلموا، وهم يقولون: ﴿أَجْعَلِ الْآيَةَ الْهَاطِلَةَ فِي هَذِهِ الْقُبَّةِ حُجَّةً﴾ (عن ٥)

[٦١] قوله رحمه الله وبعد العشر عرج به إلى السماء، ففي ﷺ عشر سبعين على هذا ينهى عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، يؤسس هذا الأساس، ثم في السنة الحادية عشرة أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقد تعالى ﴿شَهِدَ الْوَيْلُ لِمَنْ يُشْرِكْ. لَيْسَ مِنَ الشَّيْءِ الْحَكِيمِ إِلَى الشَّيْءِ الْأَفْصَى﴾ (الإسراء: ١) بينما هو ﷺ قائم في بيت

أم هانئ جاءت جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه دابة يقال لها البراق، أقل من البعل وموق الحمار، ويقع خطوه عند مد بصره، فأركب عليه السلام عليها وذهب به إلى بيت المقدس في الليل

أسرى، من السرى وهو السير بالليل، وهذا من خواصه ﷺ ومن معجراته عليه الصلاة والسلام، فالتقى هناك مع الأنبياء في بيت المقدس، ثم إنه ﷺ عُرج إلى السماء يعني رُفع من بيت المقدس، إلى السماء بصحبة جبريل، ومعنى العروج الصعود، وأسرى به من مكة إلى بيت المقدس وعُرج به من بيت المقدس إلى السماء، يعني صُحِبَ به جبريل عليه السلام ومر بأهل السموات، كل سماء يستفتح جبريل ويفتح له ثم انتهى إلى السماء السابعة، ثم صعد فوق السموات إلى سدرة المنتهى، وعنده كلمة الله من وحيه بما شاء ففرض عليه الصلوات الخمس، فرضها في اليوم واللييلة خمسين صلاة، ولكن موسى عليه السلام أشار على نبي محمد ﷺ بأن يسأل ربه التحفيف فوأن أمته لا تطيق خمسين صلاة في اليوم واللييلة، فعاد رسول الله ﷺ يراجع ربه يسأله التحفيف حتى انتهت إلى خمس.

فكان الله عز وجل كما في حديث الإسراء والمعراج
 «أُنصِبْتُ فريضة، وحُقِّقْتُ عن عبادي، وأُجِرِّي لِحِصَّةِ
 عشرة»^(١) وفي رواية أُسْر عن أبي ذر فقد «في خمس وهي
 حسون»^(٢) أي خمس في العمل، وخمسون في الميراث

خمس صلوات في ليوم وليلة تعدل خمسين صلاة في
 الميراث؛ لأن الحصة بعشر أمثالها، فالصلاة الواحدة عن
 عشر صلوات، فالإسراء ذكر أول سورة سبحان، سورة بني
 إسرائيل، والمعراج ذكر أول سورة البقر ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً
 أُخْرَى ۖ هُوَ بِذِكْرِ الْكُوْكِ ۖ هَٰذَا جَنَّةُ الْكُوْكِ ۖ لَهُ شَجَرَتَا الْتَمْرِ
 يُتَخَنُّ ۖ مَا رَأَى الْغَيْرَ وَلَا كَانَ ۖ لَقَدْ رَآهُ مِنْ فَتْحٍ مُّبِينٍ رَّبُّهُ الْكَوْكُ ۖ﴾
 [البقر ١٣-١٨] هذا في المعراج

ثم إنه نزل من السماء إلى بيت المقدس، ثم إنه رجع إلى
 مكة في ليلته، قلب أصبح وأحمر الناس بدليل، المؤمنون زاد
 إيمانهم، وأما الكفار فراد شرهم، وفرحوا بهذا وراحوا
 يشبهون به، كيف يرغم عبد حكيم أنه ذهب إلى بيت المقدس،

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٧) و(٣٨٨٧) من حديث مالك بن صعصعة
 وهو حديث طويل فيه قصة المعراج

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩) من حديث أسْر عن أبي ذر رضي الله عنهما

ورجع منه في ليلة واحدة، ومن هرب أكاد الإبل إليها شهراً ذهباً، وشهراً إياتاً، يقيسون بقدره الحائق بقدره المخلوق، فكان الإسراء والمخراع امتحاناً من الله عز وجل للناس المشركون راد تدبرهم وشربهم وتغصهم للرسول ﷺ، والمؤمنون راد إيمانهم

فهذا لما قال المشركون لأبي بكر الصديق رضي الله عنه انظر إلى صاحبك ماذا قال؟ قال وماذا قال؟ قالوا برغم أنه ذهب به إلى بيت المقدس وخرج به إلى السماء، وبه جاء في ليلة واحدة قال أبو بكر الصديق إن كان قاله فهو كما قال لقد صدق قالوا كيف ذلك؟ قال أنا أصدقه في ما هو أعظم من ذلك، أنا أصدقه في حشر السماء يزل عليه فكيف لا أصدقه في الإسراء إلى بيت المقدس^(١)

وهذا بقدره الله عز وجل لا بقدره الرسول ﷺ إنما هو بقدره الله عز وجل، وهذا من معجزات هذا الرسول ﷺ ومن كرامته عند ربه عز وجل.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٦٥/٣ (١١٠٧) من حديث عنه رضي الله عنها

ولا بد من الاعتمادات بأنه سُيِّرَ أسرى وعرح بروحه
 وجسده معاً ينفطة لا مماناً، لأن بعض الناس يقولون أسرى
 بروحه، وأما جسده فلم يهرح مكة وأما أسرى وعرح
 بروحه، وهذا كلام باطل، بل أنه أسرى بروحه وجسده عليه
 الصلاة والسلام وحمل على الرائق، وكان ذلك ينفطة لا مماناً
 إذ لو كان بروحه فقط أو كان مماناً مع العرق بينه وبين
 الرقيب، والله جل وعلا يقول ﴿شَبَّحْنَاهُ لِيْلَىٰ أَسْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١]

فالعبء يطلق على الروح والبدن جميعاً لا يطلق على
 الروح وحدها أنها عبء، ولا يطلق على البدن وحده أنه عبء،
 لا يطلق إلا على مجموع الروح والبدن، لم يقل سبحانه
 الذي أسرى بروح عبء، بل قال أسرى بعبده، والعبء هو
 مجموع الروح والبدن، والله جل وعلا لا يعجزه شيء وهو
 القادر على كل شيء.

قال رحمه الله وفرضت عليه الصلوات الخمس وصلى
 في مكة ثلاث سنين.

وكان يصليها ركعتين ركعتين فلما هاجر النبي ﷺ أتت
 الرباعية إلى أربع إلا الحجر فإنها تطول فيها القراءة عقيب

ركعتين كما هي، وإلا المعروف بأنه ثلاث من أول ما فرضت
لأنها وتر النهار، أما الظهر والعصر والعشاء وكانت في مكة
ركعتين ركعتين فلما هاجر النبي ﷺ أُنمت أربع ركعات.

كما في الحديث: «أول ما فرضت الصلاة ركعتين فلما
هاجر النبي ﷺ أُنمت صلاة الحضر وقبيل صلاة السفر»^(١)
هذا، بوجماع أهل العلم، أن الصلاة فرضت بمكة، وأن النبي
ﷺ صلاها بمكة، لكن احملوا هل هي فرضت قبل الهجرة
ثلاث ستين؟

هذا هو الراجح، كما ذكر الشيخ هنا، وقيل قبل
الهجرة بحمس سنين، وقيل قبل الهجرة سنة واحدة،
وقيل بسنة ونصف، لكن الراجح هو ما ذكره الشيخ أنها قبل
الهجرة بثلاث سنين، وهل فرض مع الصلاة شيء آخر من
أركان الإسلام؟ هذا محل خلاف بين العلماء، منهم من يرى
أن الركعة فرضت أيها بمكة وإنما بيئت أنصبها ومقاديرها
وأصل الركعة في المدينة، أما أصل فرضيتها فهو في مكة.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٤) من حديث عائشة رضي الله

الهجرة إلى المدينة

وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة [٦٢]

والدليل قوله تعالى ﴿وَكَانُوا حَقًّا يَوْمَ وُعْثِهِمْ﴾ [الأحزاب ٦٤] والمراد بحقه ها الركاة، والسورة مكية كلها، وكذلك في قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنَّهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٢٤] والمعارف [٢٥ ٢٦]

أيضاً هذه السورة مكية، والمراد بالحق المعلوم الركاة، فعرص أصلها في مكة، لكن بيت تفاصيلها بالمدينة هذا قول.

والقول الثاني وهو الذي يظهر من كلام الشيخ ها أن الركاة إما عرست في المدينة، ولم يعرص في مكة غير الركن الأول وهو التوحيد، والركن الثاني، وهو الصلاة، هذا ظاهر كلام الشيخ

[٦٢] قوله رحمه الله وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة: لما اشتد أدى فريش وراذ شرهم بالصد عن سبيل الله ومضايقة المسلمين، وتعتيد من ليس له جماعة تحميه من مستضعفي المسلمين، أدن الله سبحانه ومعالى للمسلمين بالهجرة إلى الحشة، الهجرة الأولى لأن بها بلدك لا يظلم أحد عنده،

وكان بصرايا ولكنه كان عادلاً، هاجر منهم امر كثير، فلما علمت قريش بهجرتهم إلى الحبشة، أرسلوا في طلبهم مدويين من دهاة قريش أحدهما عمرو بن العاص، ومعهما الهدايا للجاشي، وقالوا إن هؤلاء فروا ما وهم أقاربنا يريد أن يرجعوا وإنهم أشترار، لا يصدقون في بلدك إلح.

وأعطوه الهدايا التي معهم لعمرو، ولكنه رحمه الله استدعى المهاجرين وسمع منهم، وحيروهم واحتدوا البقاء في الحبشة، مرجع المدويان خائين ومقي من بقي في الحبشة من المهاجرين

ثم إن الله من على الجاشي فأسلم وحسن إسلامه، فلما توفي صلى عليه الرسول ﷺ هو وأصحابه صلاة العائب، وكان في هجرتهم إليه خير له أيضاً هداه الله بسبهم فدخل في الإسلام.

ثم لقي النبي ﷺ عمراً من الأنصار في من في موسم الحج، وكان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، يذهب إلى عارل العرب في من ويدعوهم إلى الله، ومصادف أن لقي أمياً من الأنصار فدعاهم إلى الله فعرض عنهم ما عده، فقبلوا من الرسول ﷺ دعوته، وبايعوه على

الإسلام، ورجعوا إلى قومهم من موسم الحج فدعوه إلى الله عز وجل، فوافى في الموسم الذي بعده أكثر من الموسم الأول، جاء ناس من الأنصار واتبعوا النبي ﷺ بهذه العقبة الثانية، أي عند جرة العقبة، بايعوه على الإسلام، وعلى أن ياصروه إذا هاجر إليهم، وأن يحموه مما يحمونه من أنفسهم وأولادهم

فبعد ذلك، أي بعد هذه البيعة المباركة أمر النبي ﷺ من كان في مكة من المسلمين بالهجرة إلى المدينة، وهاجر من هاجر إلى المدينة، وبقى الرسول وبعض أصحابه، ثم إن الله أدن نبيه ﷺ بالهجرة فلما علمت قريش بهجرة الصحابة إلى المدينة، وعلموا بالبيعة التي حصلت فيه وبين الأنصار، حافوا أن يلحق رسول الله ﷺ بأصحابه في المدينة، ويتكون له قوة، ويتكون لهم سعة، فهي هذه البيعة التي أراد النبي ﷺ أن يهجر إلى الهجرة جنوداً وحاصروا البيت، ووقفوا عند الباب معهم أسلحتهم يريدون العتق برسول الله ﷺ، فأمر الله به ﷺ، فأمر النبي ﷺ علياً أن يدم على فرات حتى يراه المشركون ويظنون أنه النبي ﷺ، فدم علي رضي الله عنه على فرات رسول الله ﷺ فتعطي

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد
الإسلام. [٦٣]

بعطاء الرسول ﷺ، فصار المشركون ينتظرون خروجه على
أمر الرسول ﷺ وخرج النبي ﷺ من بينهم وهم لا يشعرون
أعلم الله بضايرهم عنه، وأخذ ثوباً ودّاه على رؤوسهم،
وخرج من بينهم، وذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وخرجوا
فذهب إلى عاتور، فاحتجوا فيه ثلاثة أيام، وقريش تطلب من
الناس العثور عليه بأي وسيلة، حباً أو ميئاً، فلما ينسوا من
اعتور عليه بعد البحث والتنقيب، أعروا بالجواهر من يأتي به
ﷺ حباً أو ميئاً، فلما أبسوا خرج رسول الله ﷺ وصاحبه من
لعار، وركبوا الرماح وذهبوا إلى المدينة
[٦٣] الهجرة في اللغة ترك الشيء.

أما الهجرة في الشرع فهي كما عرفها الشيخ الانتقال
من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهذه هي الهجرة الشرعية،
والهجرة عمل جليل قرره الله بالجهاد في كثير من الآيات.

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة جاء المهاجرون الذين
كانوا في الحبشة إلى المدينة واجتمع المسلمون في المدينة،
والحمد لله، وتكونت للمسلمين دولة في المدينة من

المهاجرين والأنصار، ومن يستم يأتي إليهم، عند ذلك شرع الله بقية شرائع الدين، فمرس على به ﷺ الصيام والركاة في السنة الثانية من الهجرة، ومرس عليه التحج في السنة التاسعة من الهجرة على الصحيح، وبذلك تكاملت أركان الإسلام، أولها الشهادتان، وآخرها التحج إلى بيت الله الحرام

والحاصل من هذا أن معلوم أن التوحيد هو المهمة الأولى في الدعوة إلى الله عز وجل، وأنه بدأ الداعية به قبل أن يبدأ بالصلاة والصيام أو الركاة أو التحج، لأن النبي ﷺ بقي عشر سنين يدعو إلى التوحيد، ونهى عن الشرك، ولم يؤمر بالصلاة، ولم يؤمر بركاة ولا تحج ولا بصيام، وإنما أمرت عليه هذه الفرائض بعد أن تقرر التوحيد

فالنبي ﷺ كان إذا بعث الدعوة يأمرهم أن يدعو الناس أول ما يدعون إلى التوحيد كما في حديث معاذ: «إني كنت تأتي قوماً من أهل الكتاب، فيكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أجابوا لذلك فاعلمتهم أن الله اعترض عليهم خمس صلوات» «إلى الحديث»^(١)

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩) من حديث أبي حمزة رضي الله عنه.

والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى
بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة [٦٤]

بدل على أنه لا يلزم بالصلاة ولا الزكاة ولا بالصيام إلا
بعد تحقيق التوحيد ووجود التوحيد، وأن من بدأ بعير
التوحيد فإن دعوته فاشلة ومذهبه مخالف لمذهب الرسل
كلهم عليهم السلام

الرسل كلهم أول ما يبدؤون به التوحيد وإصلاح العقيدة،
وهذا مذهبهم معروفه للساكنين؛ لأنه كثر اليوم من يعكر
على هذا المذهب فيعير هذا المذهب ويختار مذهباً لغيره من
عنده ومن عند غيره من الجهة، لا بد من الرجوع إلى مذهب
لرسول ﷺ، وهذه فائدة معرفة الرسول ﷺ وسيرته وجعل
ذلك من الأصول الثلاثة، نعرف كيف دعى الناس، وما
مذهبه ﷺ في دعوتهم؟ حتى نسير عليه لأنه هو القدوة عليه
الصلاة والسلام

[٦٤] الهجرة قرية الجهاد في سبيل الله، وهي فريضة باقية
غير مسوخة، يجب على كل مسلم يحتاج إلى الهجرة أن
يهاجر، ولا يجوز للمسلم أن يقيم في بلاد الكفر وهو لا
يقدر على إظهار دينه، يجب عليه أن يهاجر إلى بلاد

والدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْفُلْكَهَ ظَالِمِينَ
 أَنفُسِهِمْ قَالُوا بَيْنَ يَدَيْهِمْ كُفْرًا قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ
 تَكُنْ أَرْضُ آدَمَ وَنِسْفَةً فَنَاجِرُوا بَيْنَ قَوْمَيْكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ
 مَعِيرًا ۝ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا
 يَسْتَطِيعُونَ جِدَالًا وَلَا يَتَذَكَّرُ سَبِيلًا ۝ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ
 لَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا عَفُورًا ۝ ﴿٦٥﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ
 فِي الْأَرْضِ مَرْغَبًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ
 وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْوُثْقُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا﴾ [النساء ٩٧-١٠٠] [٦٥]

المسلمين فهي مريضة بالنية لقوله ﷺ «لا تقطع الهجرة
 حتى تقطع التوبة، ولا تقطع التوبة حتى تخرج الشمس من
 مغربها»^(١)

[٦٥] هاتان الآياتان فيهما التوحيد على من ترك الهجرة وهو
 يقدّر عليها، وإن مأواه جهنم وساءت مصيرًا، وإن كان لا
 يخرج من الإسلام، لكن هذه منصوص التوحيد، وإن كان

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٧٩)، وأحمد (١١١/٢٨) (١٦٩٠٦) من حديث

صغيرة بن أبي سفيان رضي الله عنهما

وقوله تعالى: ﴿بَنِيَّ الَّذِينَ كَانُوا بِآثَامِهِمْ كَاثِبِينَ﴾ [المكثرون ٥٦]

قل المعبود رحمة الله - سببُ نُزُولِ هذه الآية في

ترك الهجرة فقد ترك واجبا، وكان عاصيا، ولكن لا يخرج من الإسلام بترك الهجرة، ولكن عليه وعيد شديد ثم يترى الله بالآية التي بعدها العذر الذي يسقط وجوب الهجرة، قال تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْبَيْتِ وَالْحَنَاءِ وَالْأَنْبَاءِ﴾ يعني الأحباء ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حَبْلَةً﴾، ما عندهم إمكانيات، ﴿وَلَا يَسْتَكُونُ سَبِيلًا﴾، أي ما يعرفون الطريق إلى البلد المدينة لأن الهجرة تحتاج إلى معرف، وإلا فإن الإنسان يهلك خلال الهجرة إذا كان لا يعرف الطريق، فعذرهم في أمرين

الأول لا يستطيعون حيلة

الثاني، ولا يهندون سبيلا، حتى لو كان عندهم إمكانيات مادية، ولكنهم لا يعرفون الطريق الذي يسلكونه، من بدلهم هذا هو العذر الصحيح

أما الإنسان الذي عنده إمكانيات ويعرف الطريق فهذا لا عذر له.

المسلمين الذين بمكة ولم يهاجروا، ياداهم الله باسم
الإيمان. [٦٦]

[٦٦] هذه الآية من سورة الممتحنة، وفيها الأمر بالهجرة
وأن أرض الله واسعة، إذا كنت في بلد لا تتمكن من إظهار
دينك فيها، فهناك أرض الله واسعة، اسفل منها، لا تنق في
هذه البقعة السيئة بل اخرج منها إلى أرض الله الواسعة، فد
وسع الله الأرض سبحانه وتعالى، والدليل على الهجرة من
الله قوله ﷺ: «لا تقطع الهجرة حتى تقطع التوبة، ولا
تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»^(١)

أما قوله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح»^(٢) ظاهر هذا الحديث
أن الهجرة انتهت بعد فتح مكة، وظن بعض الناس التعارض
بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «لا تقطع الهجرة حتى
تقطع التوبة، ولا تقطع التوبة حتى تطلع الشمس من
مغربها» لكن أهل العلم أحابوا على هذا الحديث، أن المراد

(١) سبق تخرجه من ٢٦٧

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٨٣)، ومسلم (١٣٥٣) (٤٥) في الحديث

(١٨٦٤) (٨٦) من حديث من عباس رضي الله عنهما، وأخرجه مسلم

(١٨٦٤) من حديث عائشة رضي الله عنها

الاستقرار في المدينة ومزول باقي الشرائع

واكمال الدين

فلما استقر بالمدينة أُمِرَ بصفة شرائع الإسلام، مثل
الزكاة والصوم والحج والجهاد، والأذان، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع
الإسلام أخذ على هذا عشر سنين، وبعدها توفي
صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باقي وهذا دينه، لا
خير إلا ذلك الأئمة عليه، ولا شر إلا حذرهما منه،
والخير الذي دلها عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله
وبرأءه، والشر الذي حذر منه الشرك وجميع ما
يكرهه الله ويأبؤه، نعمت الله إلى الناس كافة، واقتصر
الله طعته على جميع الثقلين الجن والإنس

لا هجرة بعد الفتح، أي من مكة، لأنها عاصرت بالفتح دار
إسلام يطون أن الهجرة باقية من مكة بعد الفتح، فيريدون
تحصيل ثواب الهجرة، وأما الهجرة من بلاد الكفر فهي باقية
بني أن تقوم الساعة، والدليل الآيات السابقة والحديث
لسبوي السائق، هذا هو الجواب على هذا الإشكال

والدليل قوله تعالى ﴿عَلَّيْهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولٍ
أَقُولَ إِلَيْكُمْ جِبْرًا﴾ [الأعراف ١٥٨] [٦٧]
وأكمل الله به الدين .

والدليل قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْتَكُمْ
وَأَمْسَيْتُ عَلَيْكُمْ يَمِينِي وَرَبِّبْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة
[٦٨] . [٢]

[٦٧] هذا كما سبق منه أن الشريعة نزلت بالتصريح حتى
تكملت - والله الحمد - قل وفاة النبي ﷺ وأمر الله عليه
﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْتَكُمْ وَأَمْسَيْتُ عَلَيْكُمْ يَمِينِي وَرَبِّبْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا﴾ وبعد مرور هذه الآية بمدة يسيرة توفي النبي ﷺ ودينه
باق إلى أن تقوم الساعة

[٦٨] علم بنوب ﷺ ألا بعد أن أكمل الله به الدين ، وأتم به
الجمعة ، وأمر الله عليه قوله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ وَبَيْتَكُمْ
وَأَمْسَيْتُ عَلَيْكُمْ يَمِينِي وَرَبِّبْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة ٣)
نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ وهو واقف في عرفة في
حجة الوداع من يوم الجمعة ، وعاش بعدها ﷺ مدة يسيرة
وتنقل إلى الرميح الأعلى ، وترك أمته على استقامة ليصلها
ليها كنهدها ، لا يربح عنها إلا هالكة

وفي هذه الآية شهادة من الله سبحانه وتعالى على كمال هذه الدين، وشموله لمصالح العباد، وحل فضايلهم ومشاكلهم إلى تقوم الساعة، وهو صالح لكل زمان ومكان لا يحتاجون بعده إلى شريعة أخرى، أو إلى كتاب يزل أو إلى رسول يبعث بعد الرسول ﷺ فما من قضية تجد وما يارلة نزل إلى يوم القيامة إلا وفي شريعة محمد ﷺ حلها والحكم فيها، ولكن الثمان فيمن يحسن الاستدلال في الأحكام والقضايا، فإذا توفر أهل العلم وأهل الاجتهاد الذين تتوفر منهم شروط الاجتهاد فإن هذه الشريعة كاملة وفيها حل للمشاكل كلها، وإنما يحصل القصص من ما حينا نحن، من باحة فصور العلم وعدم إدراك ما نزل الله سبحانه وتعالى، و من باحة الهوى بأن يكون هناك هوى يصرف عن الحق، وإلا فهذا الدين صالح وشامل وكامل قد أعى الله به الأمة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة إذا ما عملت به حق العمل، ورجعت إليه في أمورها

فإن تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ يَنْزِلْ غَدًا فَرَقَدُّوا إِلَيْكُمْ وَالرَّسُولُ﴾ (س. ٥٩) انزل إلى الله هو الرد إلى كتاب الله، والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرد إلى سنته، قال تعالى ﴿وَنَا

اختلفتم به بين من و نكحتم إلى الله ﴿ (الشورى ١٠) هذه الآية فيها رد على الذين يزعمون الشريعة الإسلامية بالقصور أو النقص من الملاحظة والرباطة أو أنصاف المتعلمين الذين قصرت أفهامهم عن إدراك أسرار هذه الشريعة، فسبوا القصور إلى الشريعة، ولم يعلموا أن القصور من عندهم هم، فعياها رد على من اتهم الشريعة بالنقص، وأنها لم تتناول حاجات العباد ومصالح العباد إلى أن تقوم الساعة، أو قال إنها محصورة بالزمان الأول، لأن كثير من الجهال إذا قيل لهم هذا الحكم شرعي فأنوا هذا زمان الرسول والزمان الأول، أما لأن تعبرت الأحوال وتبدلت الأمور، والأحكام الشرعية هذه لأبأس مصوا ولمشاكل انتهت، يقولون هذا، وهذا كفر بالله عز وجل ونكذب بقوة تعالى ﴿ الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ اكمل الله الدين لهذه الأمة إلى أن تقوم الساعة لكن زمان ولكن مكان وكل حيل من الناس، وفيها رد أيضا عن المبتدعة الذين يحدثون عبادة من عند أنفسهم ويسبونها إلى الدين، وليس لها دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وإنما ابتدعوها باستحبابهم أو تقليدهم لمن يحسنون به الظن من المحرفين وأصحاب المطامع والشهوات، يحدثون

في الدين عادة ما أنزل الله بها من سلطان، وقد قال ﷺ
 من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد^(١) وقال عليه
 الصلاة والسلام قولوا لكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة
 بدعة وكل بدعة ضلالة^(٢)

ولهذا يحدث عادات ليس لها دليل من كتاب الله ولا من
 سنة رسول الله عليه منهم لهذا الدين بعدم التزام، وهو يريد
 أن يكمل الدين من بعده، ولا يعترف بتكامل الله له، فعلم
 بكر دما في عهد النبي ﷺ فإنه لا يكون من بعده دين أبداً،
 عهد رد على هذه الطوائف، الطائفة التي تقول إن الإسلام
 لا يصلح لكل زمان، أو الذين يتدعون البدع المحدثات التي
 ليس لها دليل من كتاب الله وسنة رسوله ويسبونها إلى الدين
 صبي هذه الآية رد عليهم لأن الدين أكمله الله سبحانه وتعالى

فلا مجال للريادة فيه، ولا نقصان، ولا مجال للتشكيك
 والنسب بأنه لا يصلح لأهل الزمان المتأخر. ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ
 لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هذا كلام الله سبحانه وتعالى وهو أصديق القائلين

(١) سلف تخرجه من ٢٥

(٢) سلف تخرجه من ١٨٨

وقال تعالى ﴿وَأَمْسِكْ عَلَيْكُم بِقَتْلِي وَرَبِّكَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ وَمَا﴾
 هذا آخر ما نزل على النبي ﷺ وهو شهادة من رب العالمين
 لهذا الدين بالكمال والشمولية والصلاحية لكل زمان ومكان .
 فقله تعالى خطاب لهذه الأمة من أولها إلى آخرها وليس
 خطاباً للحل الأول فقط إنما هو خطاب لكل الأمة إلى أن
 تقوم الساعة .

أما الإجماع فقد أجمعت الأمة على وفاته ﷺ ولم يحالف
 في هذا إلا المحرمون الذين يقولون إن الرسول مات ،
 ويموت الموت عن الرسول ﷺ ، هذا كلام ساقط كلام مردود
 واضح ، يردده الحنفي والشافعي ، فإن الرسول ﷺ توفي بين
 أصحابه وغسل وكفن وحمل عليه ودفن عليه الصلاة والسلام
 هل هذه الأعمال تعمل مع إنسان حي ؟ أو عمل ﷺ معاملة
 الأموات غسل وكفن وحمل عليه ثم دفن ﷺ في قبره .

هذه سنة الله عز وجل في خلقه ، ثم أين الرسل الذين من
 قبله ؟ سنة الرسل الذين من قبله وقد ماتوا وهو واحد
 منهم يموت ، هذا لإجماع أهل السنة والجماعة ولم يحالف
 في هذا إلا المحرمون الذين يتعلقون على الرسول ﷺ
 ويستحيثون به من دون الله ويقولون هو حي .

والدليل على موته ﷺ قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ
وَلَهُمْ قَبُورٌ﴾ ١٢٠ قَدْ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْيَعْنَى بِعَدَدِ رِزْقِكُمْ
تُخَصِّصُونَ ﴿[الرمر ٣٠-٣١] [١١٩]

[١١٩] والسي ﷺ لما أكمل الله به الدين وأنتم به النعمة نوافه إليه
كما هي سنة الله سبحانه وتعالى في خلقه ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ
الْمَوْتِ﴾ [آل عمران ١٨٥] والآباء والرسل داخلون في هذا
لعموم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ والسي ﷺ قد توفي وانتقل
من هذه الدنيا إلى ربه عز وجل، وهذا ثابت بالنص والإجماع
واقطع، أما النص هي قوله تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ
قَبُورٌ﴾ هذا جازم من الله لرسوله ﷺ أنه سوف يموت، إنك
مَيِّتٌ، أي تموت يقال للذي يموت هذا ميت، وأما الذي
تومي بالفعل يقال له مَيِّتٌ بالتحبيب لقوله تعالى ﴿أَوْ مَسَّ
كَانَ مَيِّتًا فَاتَّخِذْهُ﴾ [الأنعام ١٢٢] الميت هو الذي فارقت
روحه جسده أما المَيِّت فهو الذي سيموت في المستقبل.



خاتمة

الإيمان بالبعث

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ ﴿وَمِنْ حَقِّكُمْ وَهِيَ تُبْعَثُكُمْ وَهِيَ تَحْرِجُكُمْ نَارَ أَخْرَى﴾ [طه: ٥٥].

[٧٠]

[٧٠] انتقل إلى أصل آخر وهو الإيمان بالبعث، أي أنه ليس المراد موت فقط، نحن علماء والكل يعلم حتى الكفار والملاحدة والرمادقة، كلهم يعلمون أنه لا بد من الموت، لا أحد ينكر الموت لأنه شيء محسوس، لكن الشك في البعث بعد الموت، هذا هو محل النزاع بين المؤمنين والكافرين، البعث بعد الموت، وهو إعادة الأجسام التي تفتت وصارت رميًّا وتربًا وتفرقت في الأرض، تعاد وبسي كما كانت، لأن التقدير على إيمانها أول مرة قادر على إعادةنها، ثم تجمع فيها الأرواح ثم تتحرك وتسير من القبور إلى المحشر لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَانِ عَمَدًا كَانَتْ مِنْهُمْ إِلَى نَسْرِ يَوْمَهُمْ﴾ [الصافات: ١٣]

وقال تعالى ﴿يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَانِ عَمَدًا كَانَتْ مِنْهُمْ حَرًّا مُبِينًا﴾ [الصافات: ١٧-١٨] لا أحد يتحلف، بهذا البعث

وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا آلَأْتُمْ بِهِ تَنَآ﴾ ثُمَّ
يُيَذِّرُ فِيهَا رُحْمًا حَكَمَكُمْ إِخْرَآ﴾ [سوح ١٧-١٨] [٧١]

حق لا ريب فيه، ومن أنكره فهو كافر بالله عر وجل، والإيمان
بالمبعث هو أحد الأركان الستة للإيمان التي قال فيها النبي
ﷺ «أَنْ تَوْضَّعَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ حَيْثُ وَشَرُّهُ»^(١) فمن لم يؤمن بالمبعث واليوم
الآخر فإنه يكون كافرًا بالله عر وجل ولو شهد بأن لا إله إلا
الله وأن محمدًا رسول الله، ولو صلى وصام وحج وزكى
وفعل الطاعات، وإذا أنكر المبعث أو شك فيه فإنه يكون كافرًا
بالله عر وجل.

وأدلة المبعث كثيرة منها قوله تعالى ﴿يَنَآ خَلَقَكُمْ﴾
[طه ٥٥] يعني الأرض حينما خلق آدم عليه السلام أبا
الشرية ﴿وَمِنْهُ يُخَلِّقُكُمْ﴾ يعني بعد الموت في القبور ﴿وَمِنْهُ
يُخَرِّجُكُمْ تَرَاةَ أُخْرَى﴾ هذا هو المبعث فهذه الآية تضمنت البدء
والإعادة ﴿يَنَآ خَلَقَكُمْ وَمِنْهُ يُخَلِّقُكُمْ وَمِنْهُ يُخَرِّجُكُمْ تَرَاةَ أُخْرَى﴾.

[٧١] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا آلَأْتُمْ بِهِ تَنَآ﴾ حينما خلق منها آدم عليه
السلام، ﴿ثُمَّ يُيَذِّرُ فِيهَا﴾ أي بالموت والقبور ﴿رُحْمًا حَكَمَكُمْ﴾

(١) سنن أبي هريرة عن النبي ﷺ

إِنَّمَا هَـذَا هُوَ النُّعْثُ، يخرجون من القبور ويسرون إلى المحشر، قال تعالى ﴿قَالَ إِنَّمَا تُحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَفِيهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف ٢٥] أي نحبون على ظهرها، وفيها نموتون، ومنها يخرجون للنعت يوم القيامة

هذه أدلة من القرآن على البعث، أثبت بوجود دليل عقلي من القرآن نفسه وهو أن الذي قدر على الدائمة قادر على الإعادة من باب أولى، قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَذَكَّرُ الْكَافِرَ ثُمَّ يُدْخِلُهُمْ فِي أَهْوَابٍ مُّخْتَلِفَةٍ وَأَنْ لَّيْسَ لَهُ الْخَلْعُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الزمر ٢٧] الذي قدر على إيجاد الناس من عدم قادر على إعادتهم بعد الموت من باب أولى، هذا دليل سمعي عقلي

ومن الأدلة على البعث ما يحصل للأرض من الحياة بالنبات، أنت ترى الأرض ميتة ليس فيها نبات جرداء ثم إن الله سبحانه وتعالى يرسل عليها المطر، ثم يبيت النبات الذي كان حشياً ميتاً، كذلك الأجسام في الأرض كانت ميتة في الأرض فينزل الله عليها مطراً ثم تستت الأجسام وتتكامل ثم تنصح فيها الأرواح، فاسم تروى الأرض كيف تكون قاحلة ثم تحيا بما يت فيها، الله حل وعلا هو الذي يحيي الأرض بعد

موتها ﴿وَمِنْ نَبَاتِهِ لَبَنَةٌ تَرَى الْأَرْضَ خَضِيعَةً يُهْرَأُ فَرْتًا عَلَيْهَا الْمَاءُ
أَفْثَرَتْ وَذَرَّتْ إِنْ أَلْبَيْتَ أَحْيَاهَا لَتَحْيِيَ الْمَوْتَةَ يَتَمَّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
[فصل ٣٩] فالذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها قادر
على إحياء الأجسام بعد موتها لأن الكل أحياء بعد الموت

ومن الأدلة على البعث أنه لو لم يكن هناك بعث للرم أن
يكون خلق الناس عبثاً حيث إنهم يعيشون منهم المطيع
المتقي المؤمن بالله ورسوله، ومنهم الكافر الملوحد والمرتدق
والفاجر والعنكب والعاصي، كلهم يعيشون ثم يموتون، دون
أن يقال هذا المؤس شيئاً من حرائه أو يقال هذا الكافر وهذا
المرتدق وهذا الملوحد وهذا الطاعة المنحصر على الناس دون
أن يقال جرائمه.

فهل يليق بالله أن يترك الناس هكذا دون أن يجاري
أهل الإيمان بإيمانهم، وأهل الإحسان بإحسانهم، وأهل
الإحرام والكفر بإجرامهم وكفرهم؟ هذا لا يليق بحكمة الله
سبحانه وتعالى، ولهذا قال ﴿وَقَدْ مَاتِ السَّمَوَاتُ وَمَاتِ الْأَرْضُ
لَبَرَى الْيَوْمَ أُنُوتُوا بِمَا فَعَلُوا وَنَحْنُ الْيَوْمَ أُنُوتُوا بِالْحَقِّ﴾
[نجم ٣١] هذا لا يكون إلا في يوم القيامة، وكذلك في قوله
سبحانه ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ لَحِقُوا الشَّيْطَانَ أَنْ نُمَتِّعَهُمْ كَالَّذِينَ

﴿سَوَّاهُمْ وَجَعَلُوا الصَّيْحَتِ سَوَاءً فَتَرَاهُمْ مَعًاهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
[الجن: ٢١].

وقال سبحانه وتعالى ﴿إِذْ جَعَلْنَا لِبَنِي إِدْرِيسَ الْمَسْجِدَ وَالْمَقْبَرَةَ وَمَوَاقِفَ شِدْقٍ وَمُشَافَعَةٍ وَجَعَلُوا الصَّيْحَتِ كَالْمِثْقَالِ فِي الْأَرْضِ أَوْ نَحْمِلُ الشَّيْءَ كَالْفِجَارِ﴾ [مريم: ٥٨] وقال سبحانه وتعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال تعالى ﴿إِن حَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ مُتَّكِفٌ فِي الزَّيْتُونِ ثُمَّ قَالَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى غُلَقٍ فَتَحْنُوهُ ثُمَّ خَلُوبُهُ الرُّوحِي الذَّكَرُ وَالْأُنثَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النبه: ٣٦-٤٠] ورد على الكافر الذي قال ﴿مَنْ يُنْفِ الثَّوَمَ وَهِيَ زَرْبٌ﴾ بقوله ﴿قُلْ تَحْسِبُ الْإِنْسَانَ أَشْأَعًا أَوَّلَ مَسْرُورٍ وَهُوَ يَكْفِي حَلْفِي عَلَيْهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ جَفَنٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ تَارَةً أُخْرَى أَشْأَعُهُ يَتَفَقَّدُونَ﴾ [يس: ٧٨-٨٠] الذي قدّر على إحراج لباد المحرقة من الشجر الأخضر الرطب الذي قدّر على هذا ألا يقدر على إحياء الأموات

ومن أدلة البعث الاستدلال بحلق السماوات والأرض فالذي خلق هذه المخلوقات الهائلة العظيمة الكبيرة قادر على أن يعيد الإنسان، لأن القادر على شيء العظم يقدر على ما دونه من باب أولى.

الحساب والميزان

وبعد البعث مُحاسِنُونَ وَمُجْرَزُونَ بِأَعْمَالِهِمْ،
وَالذَّبِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ سَاءَ الَّذِينَ كَانُوا الْأَرْضَ
يَنْحَرِيهِمْ أَلْيَمَ أَنْشَأُوا بِهَا عُجُلًا وَغُرِيًّا الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ﴿٣٩﴾﴾
[الحج: ٣٩]، [٧٢]

فقال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ أَلْيَمَ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَنْحَرِيهِ عَلَيَّ
أَنْ يَخْلُقَ يَوْمَهُمْ بَلْ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٤١﴾﴾ [يونس: ٤١]، وقال
تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [احقر ٥٧]

هذه أدلة البعث التي تثبت أن الله سبحانه وتعالى يبعث
من في القبور، وأنه يحازي كل عامل بعمله إن خيرًا أم شرًا
وإن شرًا أم خير، فليكثر الكفر وليعشق العاصي والمرتدق
وانملحده فإن أمامه البعث والشور والحراء والحساب، أما
المؤمن المتقي الذي يمد الله وينتفرب إلى الله فإن عمله لن
يضيع، فإن هناك موعدًا يوفيه الله به عمله ويضاعف له أجره
ويعطيه ما لم يقع في ظنه وحسابه

[٧٢] من أعمال يوم القيامة، الحساب والميزان، الحساب
بمعنى مناقشة أهل المعاصي

والمسجون عن أقيام يوم القيمة .

القسم الأول منهم من لا يحاسب ويدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب، كما في حديث السجين ألقا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب^(١)

القسم الثاني من الناس من يحاسب حساباً يسيراً وهو العرض فقط، لا يحاسب حساب ماقشة وإنما يحاسب حساب عرض فقط، وهذا أيضاً من السبعة، قال تعالى ﴿ قَاتِلْ مَنْ لُوِيَٰ بَكْمُ يَمِيْنٍ ۚ فَتَوَلَّٰ يَحْتَفِلُ جَنَّتًا ۚ يُبَيِّرُكَ ۚ وَيَخْلِفُ ۚ إِنَّ أَهْلِيْكَ شَرِيْرٌ ۚ ﴾ [الشعراء ٩٧]

القسم الثالث من يحاسب حساب ماقشة وهذا تحت المحطر لقوله ﴿ مَنْ لُوِيَٰ الْحِسَابُ عَذَابٌ ۚ ﴾^(٢).

أما الكفار فقد اختلف العلماء فيهم هل يحاسبون أو لا يحاسبون، فمن العلماء من يقول: إن الكفار لا يحاسبون، لأنهم ليس لهم حسابات وإنما يذهب بهم إلى النار لأنهم ليس

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ومسلم (٣١٨) من حديث عمرو بن حبيب رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (١٠٣) ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها

ومن كَذَّبَ بِالْبَيْتِ كَعَمْرٍ، وَالذَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:
﴿رَعِمَ الْيَتِيمَ كَعَمْرًا أَلَمْ يَسْعَوْا لِلِّ يَدَيَّ لِيُتَمَنَّى ثُمَّ ثَمَرُوا إِيمَانَهُمْ
وَدَيَّكَ عَلَى أَفْوَيْبِهِ﴾ [النعام ٧] [٧٣]

لهم حسبات، ومن العلماء من يقول: إنهم يحاسبون حساب
تفريده أي بأعمالهم وكفرهم والحادهم، ثم يذهب بهم
إلى النار.

والعبران معناه الآلة التي توزن بها أعمال العباد توضع
لحسابات في كفة والسبب في كفة، قال تعالى: ﴿لَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون ١٠٢ ١٠٣] وإذا ثقلت
الميزان حسر الإنسان وإذا ثقلت الحسابات ربح الإنسان.

هذا الميزان ميزان الأعمال، كذلك من أوتي كتابه يمينه
فحسابه يسير، ومن أوتي كتابه بشماله فحسابه عسير، وسيرى
الأهوال والأخطار حسبه، ومن خطر إلى خطر في مواقف
القيامة والحساب والحشر، هذه أمور هائلة لو فكرنا فيها

[٧٣] قوله من كذب بالبيت كعمر، لأنه جحد ركنًا من أركان
الإيمان، ولأنه مكلف لله ولرسله ولكتبه، لأن الله حل وعلا
أمر عن البيت، والرسول أحررت عن البيت، والكتب
أحررت عن البيت، فمن أبكره فهو كافر ولذليل قوله تعالى

﴿رَفَعَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، الرعم هو الكذب، ﴿أَنْ لِّيْ يَبْعَثُوا﴾ فدللت الآية على أن إنكار البعث كفر، يقيمون ليس بعد الموت بعث، المشركون وعبداء الأصنام في عهد النبي ﷺ كانوا يجادلون بالبعث ﴿أَوَلَمْ كُنَّا بِعِلْمِكُمْ نَجْرًا﴾ ﴿قَالُوا بَلَدًا كَرَّةً حَاسِرَةً﴾ [الرحاب ١١-١٢] وفانوا ﴿مَنْ يُنْفِ الْوَعْدَ وَيَنْهَ رَبِّهِ﴾ [يس ٢٨] ومن محادلتهم ﴿أَتَبَدِّلُ الْكُرْآنَ يَا مَعْشَرَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿وَكُنْتُمْ تُرَاوَعُونَ الْكُفْرَ تَوَاعَوْتُمْ﴾ ﴿فَبَيِّنَ فَبَيِّنَ يَا نُصْرَتِي﴾ [المؤمن ٣٥-٣٦] إلى غير ذلك من مقالات الكفار من الأمم السابقة ومن المشركين في عهد النبي ﷺ فمن كذب بالبعث فهو مع هؤلاء الكفرة.

لا ينكر البعث إلا كافر، ولقد أمر الله جل وعلا به ﷺ أن يقسم به على البعث، قال ﴿قُلْ نَزَّلَهُ بِهَذَا الْقَسَمِ، ﴿كَلْبَشْتُمْ ثُمَّ لَنْ نُنْزِلَ بِهَا وَعِلْمُكُمْ﴾ هذه الآية إحدى الآيات الثلاث التي أمر الله بيه فيها أن يقسم على البعث

الآية الأولى في سورة يونس ﴿وَيَسْتَفِثُونَكَ إِِنْ هُوَ إِلَّا رَيْبٌ وَرَدٌّ لِّمَنْ لَّهُ الْحُكْمُ وَمَا تُحَدِّثُ بِهِمْ﴾ [يونس ٥٣]

الثانية في سورة سبأ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَنْهَاهَا آلُكُمْ عَنْ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَ بَعْثُكُمْ عَلَى الْغَيْبِ لَا يَمُرُّ عَنْهُ شَيْءٌ إِلَّا عَنِّي وَلَوْ نَشَاءُ﴾

الإيمان بالرسول

وَأَرْسَلَ اللَّهُ خَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ،
وَبَدَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَتْلَا
يَكُونُوا لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا﴾ [النساء ١٦٥] [٧٤]

وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَحَدٌ إِلَّا فِي حَسْبِ
ثَبَّتِ ٥ لِيُخْرِجَ الْيُوسُفَ وَأَوْسَى وَغَيْرَهُمَا الْفَضْلَ لِيُؤْتِيَهُمْ
مُنْعَةً وَرِزْقًا كَثِيرًا ﴿سبا ٣ ٤﴾ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْ يَقْسَمَ بِهِ
عَلَى الْبُعْثِ وَحَسْبُ قِيَامٍ لِمَا بِهِ

الآية الثالثة هي التي معنا من سورة النعاس ﴿وَتَمَّ الْوَيْتَ
كَفَرُوا أَلَمْ يَكْفُرُوا قُلْ لَنْ يَنْفَعَهُمْ قَوْلِي لَتُفَعَّنَ ثُمَّ لَنُتَوَّى بِمَا خَلَقْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بَيِّنٌ﴾ [النعاس ٧] فالحكمة من البعث هي جلاء العباد
عن أعمالهم، وقوله تعالى لست، أي لتنجسون بأعمالكم
وتجازون بها.

[٧٤] الإيمان بالرسول هو أحد أركان الإيمان الستة قال ﷺ
«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(١).

(١) سلف تخريجها من ١٦١

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ،
والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى

والإيمان بالرسول هو أحد أركان الإيمان، فلا بد من
الإيمان بالرسول جميعهم من أولهم إلى آخرهم، فمن جحد
رسولاً واحداً منهم فهو كافر بالجميع كما قال تعالى ﴿إِنْ
الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِي وَرُسُلِي، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا
لَنَرِيحًا وَنُفُوفًا يُفْتَنُونَ، وَيَقُولُوا لَوْ أَنَّا نَسْمَعُ وَنَعْصِي لَآتَيْنَا
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا نَجْيًا ۖ لَكِن كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ أَفَتَزِيدُ الْكَافِرِينَ
كَفْرًا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ يَصْطَرِّفُونَ﴾ (الباء ١٥٠-١٥١) فلا بد من الإيمان
بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، من سمي الله منهم في
كتبه ومن لم يسم، فإن الرسل كثيرون، ولهذا جاء في
الحديث أن عددهم مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، الرسل
من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر رجلاً غير^(١)

منهم رسل كثيرون منهم من سمي الله في كتابه ومنهم من
لم يسم، فيجب علينا الإيمان بجميعهم من أولهم إلى
آخرهم.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» ٣٦/٦١٧-٦١٩ (٢٢٢٨٧) من حديث
أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾
[اسراء: ١٠٣]. [٧٥]

[٧٥] الدليل على أن أولهم روح قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ هذا خطاب لسي بيده ﴿ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَيُحْيَىٰ وَيُوسُفَ وَيُوزَافَ وَهَارُونَ وَشَافِينَ وَأَيُّهَا دَاوُدَ رَجُوزًا ﴿ ذكر الله جملة من أسمائهم في هذه الآية كما ذكر جملة من أسمائهم في آية الأنعام ﴿ وَفِي دُفِينِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ إلى آخر الآيات [الأنعام ٨٤-٨٦]

فأولهم روح عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى ﴿ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾ معناه إلى عومه لما علوا في الصالحين بعد أن كان الناس على دين التوحيد منذ آدم عليه السلام إلى عشرة قرون وهم على التوحيد، فلما جاء قوم روح كان فيهم رجال صالحون، فلما مات هؤلاء الصالحون حرموا حرماً شديداً، فانتهر الشيطان هذه الفرصة وقال لهم صوروا صور هؤلاء الصالحين وانصروها على محالكم من أجل إذا رأيتم هذه الصور تتذكرون أحوالهم وتشتطون على العبادة، فقاموا وصوروا صور هؤلاء الموتى، ونبهوها على المحال فلم

تعبد في أول الأمر لوجود العلماء الذين يبينون للناس التوحيد ويذكرون الشرك

فلما مات العلماء وذهب الحبل الأول، جاء جيل متأخر وقد مات العلماء، جاء الشيطان إليهم فقال لهم: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا لعبودها، وبها كانوا يسقون المطر، فربى لهم عبادتها فعبدوها من دون الله، ومن ثم حدث الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً عليه الصلاة والسلام بدعوتهم إلى الله عز وجل ويردهم إلى التوحيد الذي هو دين آبيهم آدم عليه السلام، لكنهم عاندوا واستكبروا ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِصِرُ﴾ ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِصِرُ﴾ [سورة النحل: ٢٣] قال ابن عباس: هذه أسماء رجال صالحين، صوروا صورهم ونصبوها على محالهم قال بهم الأمر إلى أن عبودها من دون الله

فلما جاءهم نوح عليه الصلاة والسلام وبهاهم من عبادتها، وأمرهم بعبادة الله، قالوا لا ندرن آلهتكم، لا تطيعوا نوحاً، واستمروا على كفرهم وطمعانهم وعنادهم هذا أول شرك حدث في الأرض، وبسبب الصور ولدلت قال النبي ﷺ: «إن أشد الناس عداً على عبد الله يوم القيامة

المصورون»^(١) وقال ﷺ «إن الذين يصنعون هذه الصور يعدون يوم القيامة، يقال لهم أحيوا ما خلقتم»^(٢) يؤمرون بفتح الروح في هذه الصور من باب التعجير والتعذيب لهم والعياد بالله، لأن التصوير وسيلة من وسائل إشراك كما حصل لقوم سوح

فلو أن الرسل سوح، وأنا حاتم الرسل وأحرهم فهو محمد ﷺ، قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَئِن رُّسُولٌ أَفْتٍ وَكَانَ الْيَقِينُ﴾ [الأحراب ٤٠] وقال ﷺ «وأنا حاتم السبيح لا نبي بعدي»^(٣).

فهو ﷺ حمت الرسالات السماوية فلا يعت بعدة بي إلى أن تقوم الساعة، ولكن شريعته باقية إلى أن تقوم الساعة، ودينه باق إلى أن تقوم الساعة كما سبق، فمن ادعى النبوة

(١) أخرجه البخاري (٥٩٥٠) ومسلم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٥١) ومسلم (٢١٠٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩) من حديث ثوبان رضي الله عنه

وَكُلُّ أُمَّةٍ نَعَتْ اللَّهَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْ بَرٍّ إِلَى مُجْتَبٍ
بِأَمْرِهِمْ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحِدَةً وَبِهَا هُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ ،
وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا

بعد محمد ﷺ فهو كافر ، ومن صدقه فهو كافر بالله لأنه لا
سبي بعده ﷺ

وقد ادعى النبوة بعده خلق كثير ، وبصحبهم الله وأظهر
كذبهم ، ومن أحرهم فيما نعلم ، الهندي ، علام أحمد
القادياني ، الهندي ، الذي كان في الأول يدعي العلم والعبادة
ثم ادعى أنه عيسى ابن مريم ثم ادعى النبوة ، والآن له أتباع
يسمون بالقاديانية وقد كفرهم المسلمون وباندوهم واعتبروهم
فرقة كافرة خارجة عن الإسلام ، وهم مذبذبون ومطاردون
وله الحمد من بلاد المسلمين ، ولهم نشاط ، ولكن نشاطهم
يبرء بالعقل ، الحاصل أنه لا سبي بعد رسول الله ﷺ ، من
ادعى النبوة فهو كذاب كما قال ﷺ : ألا تقوم الساعة حتى
يُحْمَسَ دجالون كذابون ، فربما من ثلاثين كلهم يزعم أنه
رسول الله ﷺ^(١) .

(١) أحرجه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم بإثر (٢٩٢٣) في كتاب الفتن

أَبِ اعْتَدُوا اللَّهَ وَآخِزِمُوا الظُّعُوتَ ﴿٣٦﴾ (سج ٣٦).

[٧٦]

[٧٦] المشبوهون كثيرون؛ ولكن الله بهضج أمرهم، ويكشف سترهم، ويبس حرهم للناس، ومن صدقهم فهو كافر، لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ ولاجماع المسلمين على حتم البوة بمحمد ﷺ

قوله وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً، أي كل أمة من الأمم بعث الله إليها رسولاً ليقم الحجة عليهم، لئلا يقولوا ما جاءنا من نبير ولا ندير، ولقوله تعالى ﴿وَمَا كُنَّا مُعْظِمِينَ عَلَىٰ بُعْثِكَ رَسُولًا﴾ (الأنعام ١٥) فكل أمة من الأمم السابقة بعث الله إليها رسولاً كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَآخِزِمُوا الظُّعُوتَ﴾ فكل ما عبد من دون الله طعون، كما يأتي في أنواع الطوائف أن من أنواعهم ما عبد من دون الله وهو راض بذلك كما سباني

بمعنى قوله تعالى ﴿وَآخِزِمُوا الظُّعُوتَ﴾ أي اجتنبوا عبادة الأوثان والأصنام والفسور والأصراحة هذه هي

الطواغيت، عدلت الآية الكريمة على أن دعوة الرسل كلها
تتركز على التوحيد من أولهم إلى آخرهم

كما قال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ إِلَّا يَأْتِيهِمْ آيَاتُ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (الأنبياء ٢٥)
وقوله ﴿يَرْكُضُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَنِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ بَنَاتِهِ أَنْ
أُنَبِّئَهُنَّ آيَاتُ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (الحجر ٢)

دعوة الرسل كلهم إلى التوحيد، وإفراد الله جل وعلا
بالعبادة، والنهي عن الشرك هذه هي دعوة الرسل، ثم بعد
التوحيد تأتي الشرائع من الحلال والحرام، وتفاصيل الشرائع
تختلف باختلاف الأمم وحاجة الأمم، ويسمح الله معها ما
يشاء، ثم سحب كلها بشريعة الإسلام الحلال والحرام
والأحكام والعبادات والأوامر والنواهي، أما الأصل وهو
التوحيد لهذا لا اختلاف فيه ولا سح، هذا دين واحد، دين
أرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم دين واحد

كما قال تعالى ﴿يُخَلِّجُنَا مِنْكُمْ خَيْرَتَنَا وَيُرْسِلَنَّ عَلَيْنَا﴾
[المائدة ٤٨] ودين التوحيد هو عبادة الله بما شرع في كل
وقت ومكان، فإذا سح هذا الشرع انتقل إلى الناسخ، فمن
أصر وبقي على المسح ونزك الناسخ فإنه يكون كافراً بالله

الكفر بالطاعات والإيمان بالله

واقرض الله على جميع العباد الكفر بالطاعات
والإيمان بالله [٧٧]

مر رجل، لأن الدين المسوح لا يكون ديناً بعد سحبه،
واسما هو دين قبل أن يسح، فإذا سح فلا يكون ديناً ويكون
الدين هو التباس، فلهذا سمعت شريعة الإسلام ما قبلها من
الشرائع، عس بقي على اليهودية أو النصرانية بعد بعثة محمد
ﷺ فهو كافر، لأنه يعمل بدين مسوح انتهى وقت

[٧٧] قال الشيخ رحمه الله واقرض الله على جميع العباد
الكفر بالطاعات والإيمان بالله، ثم ذكر تعريف الطاعات،
والطاعات ذكره الله حل وعلا في آيات كثيرة منها قوله تعالى
في سورة البقرة ﴿ قَسَىٰ يَكْفُرَ وَالطَّاعُونَ وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ قَسَمُوا
أَن تَسْأَلَهُ أَتَقْرَأُونَ لَا أَيْسَرَ لَنَا وَإِنَّهُ سَجَّ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلٌ
أَعْلَمُ مَا يُخْفِيهِمْ مِنَ الطَّاغُوتِ إِلَى الثَّوَرِ وَالْوَيْك كَفَرُوا
أَوْ لَيْسَ أَتَاهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ الثَّوَرِ إِلَى الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ
أَصْحَابُ الْآلِ هُمْ فِيهَا كَاذِبُونَ ﴾ (البقرة ٢٥٦-٢٥٧) وفي
سورة النساء، قوله تعالى ﴿ أَتَمَنَّا إِلَى الثَّوَرِ أَوْ تَمَنَّا إِلَى
الْحَكَاكِي يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

قال ابن القيم معنى الطَّاعُوتِ ما تَجَاوَزَ به الْعَبْدُ
حُدُّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَشْرُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ [٧٨]

هَذُلَاةٌ أَهْلَتْنِي مِنَ الْيَمِينِ مَاتُوا سَبِيلًا ﴿[الباء ٥٠] وهذه الآية
في اليهود

ويقول سبحانه في المنافقين ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَيْنَا أَلِيًّا وَهُمْ
أَسَافُؤُنَا إِلَىٰ إِلَهِكَ وَمَا أُرِي بِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
إِلَّاكَ الطَّاعُونَ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [الباء ٦٠] وفي سورة
الحل يقول جل وعلا ﴿وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ نُوْحٌ مِنْ رَبِّهِ
أَمِيزُوا اللَّهَ وَآخِصِبُوا الطَّاعُونَ﴾ [الحل ٣٦] الطَّاعُونَ مأخوذ
من الطَّاعِيان وهو مجذورة الحد، يقال طعى الماء إذا ارتفع
مستوية

قال تعالى ﴿إِنَّا كُنَّا عِدَّةً حَسْبُكَ لِلنَّارِ﴾ [الحل]

[١١].

[٧٨] أما معنى الطَّاعُونَ في الشرع فهو كما ذكر ابن القيم
رحمه الله ونقله عنه الشيخ هبعا، الطَّاعُونَ. ما تجاوز به
العبد حُدُّه، العبد له حد لأنه عبد حُدَّ الله له حدودًا يجب
عليه أن يفتق عبدها، فإذا تجاوزها فإنه يكون طاعونًا، فمن
تجاوز حدود الله التي حُدَّها لعباده وأمرهم أن لا يتجاوزوها

والأ يقرَّبوها فهو طاعة، فإذا عصى الله وتجاوز حدوده وطعن فإنه يسمى طاغوتاً لأنه طعن وتعدى حدود الله .

فقوله : ما تجاوز به العبد حُدَّه من معبود أو منبوع أو

مطاع

هذا التعريف الشامل للطاعات لأن الله حل وعلا أمر عبادته وحده لا شريك له ، وأمر بتأطع رسوله ﷺ ، وأمر بتأطع وطاعة رسوله فيما حلل وحرم ، فمن تجاوز هذا الأمر فهو طاعوت ، من تجاوز حد العبودية التي أوجبها الله واختص بها ومنها من غيره ، فعبد مع الله غيره فهو طاعوت ، المشرك طاعوت ؛ لأنه تجاوز الحد في العبادة وعبد مع الله غيره ، صرف العبادة لغير مستحقها ، وكذلك من عُبد وهو راضٍ

الذي يعبد الناس بهذا ويعرج ويترأس بهذا الشيء . ويتبرع هذا طاعوت ، مثل فرعون والسمود ومشايخ الطرق الصوفية العللة الذين يعبدهم أتباعهم ويرضون بذلك ، أو يدعون الناس إلى عبادة أي إله أن يعبدهم كما سيأتي ، فهذا طاعوت في العبادة .

قوله : أو منبوع الله حل وعلا أمر جميع الحق أن يتبعوا محمداً ﷺ ، فلا يجوز لأحد أن يشع غيره عليه الصلاة

والسلام، فمن اتبع غير الرسول ﷺ ودعاه أن هذا جائر فإنه يكون طاعوناً لأنه اتبع غير الرسول ﷺ الذي أمر باتباعه فلا اتباع حاص بالرسول ﷺ، أما غيره من العلماء والدعاة هؤلاء يتبعون إذا اتبعوا طريقة الرسول ﷺ فالمتبع هو الرسول ﷺ، أما هؤلاء فإنهم مسلمون فقط يتبعون للنحن وما وافقوا فيه اتباع الرسول ﷺ، وما خالفوا فيه الرسول فلا يجوز اتباعه

مثال ذلك مشايخ الطرق الصوفية، يتبعهم مريدوهم وعبيدوهم في غير طاعة الرسول ﷺ بل يقولون: إما لنا حاجة إلى الرسول ﷺ نحن يأخذ مما أخذ منه الرسول ﷺ وتتلقى عن الله مباشرة، الرسول ﷺ يتلقى عن الله بالواسطة، بواسطة جبريل، ونحن نتلقى عن الله مباشرة ويقولون: أنتم تروون دينكم عن ميت، ونحن نروي ديننا عن الله سبحانه وتعالى، لأنهم يزعمون أن شيوخهم يتصلون بالله ويتلقون من الله مباشرة.

يلج بهم الحمد إلى هذا الطغيان والعباد باطه، هذه طريقته لا شك أن هؤلاء هم رؤوس الطواغيت والعباد بالله، لأنه لا طريق إلى الله جل وعلا إلا باتباع رسوله ﷺ قال

يَقْتُلُونَ ﴿١١٨﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ غَيْرَ لِمَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ قَوْلٌ وَاحِدٌ أَنَّ السَّيِّئَ لَكُمْ يَكُونُ إِنْ أَرَأَيْتُمْ لِيَحْمِلُوَكُمْ وَنَزَّلَ طَمْسُوتًا مِنْكُمْ لَيَقْبِرَنَّ ﴿١١٩﴾ (الأنعام ١١٨-١٢١) لأن أهل الجاهلية يقولون الميتة حلال لأن الله هو الذي دبحها، فهي أولى بالحل مما ذبحتم ودكبتهم، فالله حل وعلا يقول لا تأكلوا إلا ما دكي ذكاة شرعية، وحرم عليكم الميتة

وهؤلاء يقولون لا الميتة حلال هي أولى بالحل من المدكاة لأن المدكاة دكتموها أنتم، وأما الميتة فالله هو الذي دبحها

ولهذا رد على المشركين وقال ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ غَيْرَ لِمَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ قَوْلٌ وَاحِدٌ ﴾ أي خروج عن طاعة الله سبحانه عز وجل وقال بعدها ﴿ وَإِنَّ السَّيِّئَ لَكُمْ يَكُونُ إِنْ أَرَأَيْتُمْ لِيَحْمِلُوَكُمْ وَنَزَّلَ طَمْسُوتًا مِنْكُمْ لَيَقْبِرَنَّ ﴾ يقولون الميتة دبحها الله والمدكاة أنتم دبحتموها فكيف تستحلون ما دبحتم ولا تستحلون ما دبحه الله؟ هذه مجادلة بالباطل، ثم قال تعالى ﴿ وَإِنَّ أَلْطَمُسُوتَ لَكُمْ لَتَشْكُرُنَّ ﴾ هذا من شرك الطاعة، التحليل والنحریم حق لله جل وعلا

أنواع الطواغيت

وَالطَّوَاعِثُ كَثِيرُونَ، وَرُؤُسُهُمْ خَمْسَةٌ إِبْلِيسُ
لَعْنَةُ اللَّهِ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاصٍ [٧٩]

فلا يجوز لأحد أن يحلل أو يحرم من عبده نفسه أو يطيع
من حلل أو حرم من عبده نفسه، ومن فعل ذلك فإنه طاغوت
ومطيع للطواغيت الذين يحللون ويحرمون من دون الله هذا
معنى قوله أو مطاع، أي مطاع في التحليل والتحريم، لأن
التحليل والتحريم حق لله جل وعلا، والرسول ﷺ مبلغ عن
الله ما حلل وحرم

[٧٩] قوله والطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسة.

الطواغيت الذين يطعن عليهم هذا التعريف كل معبود
أو متبوع أو مطاع كثيرون ولكن رؤوسهم خمسة يعني
أكابرهم خمسة

الأول إبليس لعنه الله، أي طرده الله وأبعده عن رحمته
بسبب أنه امتنع عن السجود لآدم وعصى الله سبحانه وتعالى
وتكبر وقال: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾
[ص ٧٦] فعصى أمر الله وتكبر فلعنه الله وطرده وأبعده،
وسمي إبليس فيل لأنه أبلس من الرحمة يعني يأس من

الرحمة، فانمّلس هو اليانس من الشيء، وإيليس لعه الله
 رأس الطواغيت لأنه هو الذي يأمر بعبادة غير الله، وهو الذي
 يأمر بالتباعد غير رسول الله ﷺ، وهو الذي يأمر بطاعة غير الله
 بالتحليل والتحریم، وإيليس هو مصدر الشر وهو رأس
 الطواغيت

الثاني. من عُبد وهو راضي، أي عُبد وهو راضي بعبادة الناس له فهو طاعون. أما من عُبد وهو غير راضي بذلك فلا يدخل في هذا، لأن عيسى عليه الصلاة والسلام عُبد من دون الله ولكنه غير راضي بذلك، وأمه وعمره والأولياء والصالحون من عباد الله لا يرضون بهذا، بل كانوا يذكرون هذا ويحاربون من فعله، فمن عُبد وهو غير راضي بذلك فإنه لا يسمى طاعوناً.

وذلك لما أمر الله قوله ﴿ إِن كُنتُمْ وَتَائِبُونَ ﴾ [٩٨] **دُوبِ أَفْقَرُ حَسْبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا زُرُونَ** ﴿ (الآية ٩٨) فرح المشركون وقالوا نحن بعد المسيح وبعد ونعبد، إذا هم معاً في النار، فأمر الله تعالى ﴿ إِنَّا إِلَهِكَ سَبَّحْتَ لَهُمْ مِنَّا الْحَمْدُ أُولَئِكَ عَمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ لَا يَكْفُرُونَ حَتَّى يَكُونُوا مِنَّا قَسْبًا وَهُمْ

ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه [٨٠]

وفي الآية الأخرى قالوا ﴿ وَقَالُوا يَا إِلَهُنَا سِيرُ الْأَرْضِ ﴾ [الرحرف ٥٨] يعنون عيسى عليه السلام ثم قال ﴿ مَا خَلَقْنَاهُ لَكُمُ إِلَّا جَدَلًا لَّنْ نَّعْرِضَ قُرْآنَنا عَلَيْهِمْ ﴾ [الرحرف ٥٩-٥٨] فهو عبد لله وَخَلَقْنَاهُ سِرًّا لَّنَّيْ اِسْرَءِيلَ ﴿ [الرحرف ٥٩-٥٨] فهو عبد لله ولا يرضى أن يُعبد من دون الله بل بعنه الله بإنكار ذلك ﴿ مَا نَقُلُكُمْ إِلَّا مَا آتَانَا بِهِ رَبُّهُ أَيُّ اتَّخَذُوا اللَّهَ رَبًّا وَزَيَّنَّا لَهُمُ الْأَعْيُنَ ﴾ [البقرة ١١٧] فإلدي عبد وهو غير راض بذلك، لا يدخل في هذا الوعيد ولا يكون طاعوناً، لأنه مكر لذلك، لأن الطاعون هو الذي يرضى بأن يُعبد من دون الله عز وجل

[٨٠] والثالث من دعا الناس إلى عبادة نفسه مثل رؤوس المشركين الذين يدعون الناس إلى عبادة أنفسهم مثل فرعون قال ﴿ قَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَوَّلُ ﴾ [الرحمت ٢٤]

ومثل السمود ومثل علاة الصومية الذين يدعون الناس إلى عبدتهم حتى إنهم يوصون الناس أن يعبدوهم بعدما يمتنون فيقول أحدهم إذا أعيتكم الأمور فأتوا إلى قبري، أي إذا أصحرتكم الأمور فأتوا إلى قبري ولا يحول بينكم وبين حصاة من التراب، يوصون الناس أن يأتوا إلى قبورهم،

وَمَنْ ادَّعى شَيْئاً مِنَ الْغَيْبِ [٨١]

ويعذبونهم أنهم سيقومون بحوائجهم، فمن دعا الناس إلى عبادة نفسه حيًّا وميتاً فهو من رؤوس الطواغيت، وكذلك من دعا الناس إلى عبادة غيره من الطواغيت وهم دعاة الشرك، هؤلاء طواغيت، الذين يربون الشرك للناس ويسمونه بغير اسمه ويقولون هذا من باب التوسل، أو هذا من باب الشعاعة وهم كثير

إن هؤلاء طواغيت لأنهم يدعون إلى اشرك، فهم يدعون إلى عبادة غير الله ويسمون ذلك بغير اسمه، ويرسمونه للناس بالشبهات ودرجف انقون هؤلاء هم الطواغيت، دعاة الشرك طواغيت، وكل من عُذ من دون الله ورصي بذلك أو دعا الناس إلى عبادة نفسه أو دعا الناس إلى عبادة غير الله فإنه من الطواغيت، بل هو من رؤوس الطواغيت سأل الله العافية

[٨١] الرابع من ادعى شيئاً من علم الغيب وهذا يدخل فيه السحرة والمجسمون والكهان والرمانون وكل من يدعي أنه يعلم الغيب ويقول للناس سيحصل لكم كذا وكذا، أنت سيحصل لك سعادة أو يحصل لك شيء من النعم، أو توفى هي رواج، أو لا توفى، هؤلاء يدعون بعلم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، قال تعالى ﴿قُلْ لَا يَسْتَلْزِمُنِي

ومن حكمه بغير ما أمر الله [٨٢]

كُتِبَتْ وَالْأَرْضِ كُتِبَتْ إِلَّا أَنَّهُ ﴿[الزل ١٥] وَقَالَ تَعَالَى
﴿عَلَيْكُمْ الْعَيْبُ فَلَا يُلْهِمُهُمْ عَنْ عِبَادِهِ لَعَنَّا﴾ [آلَا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن
رَّسُولٍ] ﴿[الحج ٢٦-٢٧] وَقَالَ تَعَالَى ﴿﴿وَصَدُّوا مَقَابِلَ
الْعَيْبِ لَا يَلْمُوهَا إِلَّا هُوَ وَيَقُولُ مَا إِلَهُ آلِهِمُ وَالْبَحْرُ وَمَا نَسْفُطُ مِن
وَدَّائِهِمْ إِلَّا بِمَا نَحْنُ بِهَا عَصَوْنَ حُكْمَ اللَّهِ الْوَاسِعَ وَالْأَرْضُ وَلَا نَكُفُّ عَنْهَا
بِئْسَ ثَمَرًا﴾ [الأنعام ٥٩]

لا يعلمها إلا هو هذا حصر فلا يعلم العيب إلا الله أو
من أطلعه الله على شيء من العيب من رسله لأجل مصلحة
الشر ومعجزة للرسول، لكن لم يعلم العيب من ذات نفسه
وبما علمه للعيب من تعليم الله له، فلا يعلم العيب إلا الله
فمن ادعى علم العيب فإنه يكون مشاركاً لله فيما احتصى به
سبحانه، فيكون مشركاً وطاعوناً وكافراً، وهذا من أعظم
أبواب الردة عن الإسلام

[٨٢] الخامس من حكمه بغير ما أمر الله: ودليله قوله
تعالى. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُنْحَاكُمُوا إِلَىٰ الْكُفْرَانِ﴾ [الباء ٦٠]
والذي يحكم بغير ما أمر الله مستحلاً لذلك يكون طاعوناً،
والذي يقول إنه يجوز أن ينحاكموا إلى القانون أو إلى

العوائد في الحاحلية أو عوائد القبائل والبادية ويتركوا
 الشرع، يقول هذا حلال أو هذا يساوي ما أنزل الله فإذا
 قال إنه أحسن مما أنزل الله أو يساوي ما أنزل الله أو قال
 إنه حلال فقط، ولم يقل إنه يساوي ولا أفضل، قال حلال
 جائز، هذا يعثر طاعوثاً، وهذا ينص القرآن، قال تعالى
 ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ سمي طاعوثاً لأنه تجاوز
 حده. أما من حكم بعير ما أنزل الله وهو يقر أن ما أنزل الله هو
 الواجب الاتباع والحق، وأن غيره باطل، وأنه يحكم بباطل،
 فهذا يعتبر كافراً الكفر الأصغر الذي لا يخرج من الملة، لكنه
 على خطر عظيم، على طريق قد يصل به إلى الكفر المخرج
 من الملة إذا تساهل في هذا الأمر

وأما من حكم بعير ما أنزل الله عن غير اعتماد بل عن
 اجتهاد، وهو من أهل الاجتهاد من الفقهاء، واجتهد ولكن
 لم يصح حكم الله، وأخطأ في اجتهاده فهذا مغفور له قال
 ﴿إِذَا حُكِمَ الْحَاكِمُ فاجتهد ثم أصاب، فله أجران، وإذا
 حكم فاجتهد، ثم أخطأ فله أجر﴾^(١) لأنه لم يعتمد الخطأ هو

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث حمرو بن

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْهَمْ وَالظُّلُمُوتِ وَيُؤْمِنُ بِآلِهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٦). [٨٣]

يريد الحق ويريد موافقة حكم الله عز وجل ؛ لكنه لم يوفق له
فهذا بعض معدوم ومأجور ؛ ولكن لا يحور اتساعه على
الخطأ ، لا يحور لما أن سمع على الخطأ ، ومن هذا اجتهدات
العقلاء التي أحفظوها فيها أو اجتهدات القضاة في المحاكم
إذا اجتهدوا وسدوا وسعهم في طلب الوصول إلى الحق
ولكن لم يوفقوا فحفظوهم معذور

[٨٣] قال سبحانه وتعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ
الْغَيِّ فَمَنْ يَكْهَمْ وَالظُّلُمُوتِ وَيُؤْمِنُ بِآلِهِ فَقَدْ
اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لا إكراه في الدين ، معناه أن
أحدا لا يكره على الدخول في الإسلام ، لأن الدخول في
الإسلام لا بد أن يكون من اقتناع واعتقاد بالقلب ولا يكره
صيه أحد ، لا يمكن هذا ، لأن القلوب لا يتصرف فيها إلا الله
سبحانه وتعالى ، لا يكره أحد على الإسلام لأن لا يملك
القلوب ، وإنما الله جل وعلا هو الذي يملكها ويتصرف فيها ،

ولكن نحن ندعو للإسلام ومرغب فيه، مجاهد في سبيل الله من كفر لأجل شر الإسلام وإتاحة الفرصة لمن يريد أن يسلم، ولأجل نفع أعداء الله، أما الهداية فهي بيد الله سبحانه وتعالى لا أحد يكره على الإيمان والإسلام

واسم هذا شيء راجع إليه هو، ثم قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ ﷺ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ فالإسلام والله الحمد ليس فيه ما يكره بل كله محبوب ومرغوب، والكفر والشرك كله شر وكله مكروه، قد تبين هذا من هذا، تعبير الرشد وهو الحق من المي وهو الباطل، والإنسان عده عقل وعده تفكير يوازن بين الحق والباطل، سيهذه تفكيره إن كان سليماً وسالماً من الهوى والدواعي، سيهذه تفكيره السليم إلى قبول الحق بدون أن يكره، هذا قول في الآية

والقول الثاني أن هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، وأن أهل الكتاب لا يحجرون على الدخول في الإسلام، بل إذا أرادوا البقاء على دينهم مكثوا من ذلك بشرط أن يدفعوا الحرية للمسلمين وهم صاعرون، أما غيرهم من الكفرة فلا يقل منهم عبر الإسلام أو الفتن، لأنهم ليس لهم دين والوثنية دين باطل

والقول الثالث: أن هذه الآية منسوخة بآية الجهاد هذه
في أول الأمر قبل أن يشرع الجهاد ثم شرع الجهاد فسخت
هذه الآية.

ولكن القول الأول هو الصحيح أن الآية غير منسوخة
وأن الدين لا يدخل في القلوب بالإكراه وإنما يدخل
بالاختيار، لكن من لم يقبل الدين يعامل المعاملة اللائقة به
من قتل أو أحد حرية مما شرع الله سبحانه وتعالى في حق

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِٱلْحَقِّ﴾ الطاعوت المراد
جميع الطواغيت هي العادة أو الاتباع أو هي الطاعة لأن كلمة
الطاعوت هنا عامة. قدم الكفر بالطاعوت على الإيمان بالله
لأن الإيمان بالله لا يمنع إلا بعد الكفر بالطاعوت، فمن آمن
بأنه لم يكفر بالطاعوت فإنه لا يعمه إيمانه، بالذي يقول
إنه مؤمن ويصلي ويصوم ويركي ويحج ويعمل الطاعات لكنه
لا يتبرا من الشرك ولا المشركين ويقول لا دخل لي فيهم،
هذا لا يعتبر مسلماً لأنه لم يكفر بالطاعوت

فلا بد من الكفر بالطاعوت وهو رفض الطاعوت واعتقاد
بطلانه، والاعتقاد منه وعن أهله، لا بد من هذا، فلا يصح
إيمان إلا بعد الكفر بالطاعوت.

وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وفي الحديث
«رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَدُرَرُهُ شَاهِدُهُ
الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١) [٨٤]

وفي الآية الأخرى ﴿وَلَقَدْ جَاءَنَا ذِكْرُنَا لَنُؤْذِنَ رَسُولًا نَبِيًّا
أَقْبَلُوا اللَّهَ تَجَنُّبًا لِّلطُّغْيَانِ﴾ [الحج ٢٦] فلا يصح عبادة الله
إلا بتجنب الطغوت لا بجمع صدان، لا بجمع الإيمان
والكفر في القلب الإيمان والكفر الأكبر لا بجمعان في
قلب، أما الكفر الأصغر فقد يجمع
[٨٤] قال الشيخ وهذا معنى لا إله إلا الله يعني الكفر
بالمطهوت والإيمان بالله.

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة
والخلوع من الشرك وأهله، هذا هو رأس أمر الدين،
الشهادتان هما رأس الإسلام وهما أصل الإسلام، فلا يدخل
الإنسان في الإسلام إلا إذا أتى بالشهادتين نطقاً وعلماً وهماً
واعتقاداً، لا يكون الإنسان مسلماً إلا بذلك، شبه الدين
بالجسم الذي له رأس وعمود وسام فإذا قطع الرأس أو لم

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦) والبيهقي في المنكرين ١٠/٢١٤-٢١٥

(١١٣٣٠) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه

يكن هناك رأس فيه لا ينفذ له حياة، كذلك بدون اتوحيد لا بقاء للحياة، لأنه هو الرأس الذي إذا قطع أو زال زالت الحياة وسد البدن.

وعמודه الذي يقوم عليه هو الصلاة، بدون عمود لا يقوم الإسلام، مثل بيت الشعر أو النخبة إذا لم يكن هناك عمود تقوم عليها فإنها لا تقوم، فلا يقوم بيت إلا بعمود وإذا فقد العمود لا يقوم الثوب، كذلك الصلاة إذا فقدت فإن الإسلام لا يقوم، ولذلك قال العلماء إن من ترك الصلاة مكسلاً فإنه يكفر عن الصحيح ولو كان يخترع بوجوبها لأنه لا فائدة من الاعتناء بالوجوب مع عدم التطبيق وعدم العمل، لا فائدة من ذلك، ولذلك حكم المحققون من أهل العلم بكفر من ترك الصلاة متعمداً ولو كان يقر بوجوبها، أما من كان يجهل وجوبها فهذا كافر بإجماع المسلمين.

ودعوة سنامه الجهاد في سبيل الله دعوة سام الأمر وهو الدين، الجهاد في سبيل الله فالجهاد دليل على قوة الإسلام، وإذا وجد الجهاد في سبيل الله فهذا دليل على قوة الإسلام لأن الجهاد لا يكون إلا من قوة إيمان وقوة مادة

فالتبي ﷺ جعل ثلاثة أشياء للدين الرأس والعمود والستام،
فيعدم الرأس لا وجود للدين أصلاً فالذي لا يحقق الرأس وهو
التوحيد لا دين له . والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد .

والذي لا يصلي لا يقوم له دين وإن شهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله ، لأنه يحتاج إلى عمود يقيم عليه الدين
وهو لا يوجد إلا بالصلاة . وإذا فقد الجهاد فقدت القوة في
الإسلام وحصار إسلاماً ضعيفاً وحصار المسلمون مستضعفين .
فلا قوة للإسلام والمسلمين إلا بالجهاد في سبيل الله عز
وجل ، فهو علامة القوة ، وفقده علامة الضعف . هذا وجه
تشبيه الرسول ﷺ لهذه الأمور الثلاثة بالنسبة للدين ، رأس
وعמוד وستام ، كما أن البحر إذا صار له ستام هذا يدل على أنه
قوي وإذا لم يكن له ستام فهذا يدل على أنه هزيل ضعيف .

كذلك المسلمون اليوم مستضعفين في الأرض ولهذا في
الحديث «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر وتركتم
الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه منكم حتى ترجعوا إلى
دينكم»^(١) فترك الجهاد ذل وضعف للمسلمين ، ووجوده
دليل القوة والسمن ، كالستام للحبوان .

وبهذا انتهى شرح هذا الكتاب المبارك ثلاثة الأصول

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٦٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الشرح	٧
مقدمة المؤلف	١١
الرسالة الأولى : المسائل الأربع التي تضمنتها سورة البصر	١٣
العلم	١٦
العمل بالعلم	٢٤
الدعوة إلى العلم	٢٦
الصبر على الآذى فيه	٢٧
الرسالة الثانية : ثلاثة مسائل يجب على المسلم تعلمها والعمل بها ٣٩	
الإيمان بأن الله خلقنا ووزعنا ولم يتركنا هملًا	٤٢
الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد	٥٢
الولاء والبراء	٦٠
الرسالة الثالثة : الحنفية على إبراهيم	٧١
تعريف الحنفية	٧١
أعظم ما أمر الله به التوحيد	٧٩
أعظم ما نهى الله عنه الشرك	٨٢
الرسالة الرابعة الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها	٩١
الأصل الأول معرفة الله عز وجل	٩١
الدليل على ربوبيته وإلهيته سبحانه وتعالى	١٠٧

الموضوع	الصفحة
أنواع العبادة التي أمر الله بها وأدلة كل نوع	١٢١
الإسلام والإيمان والإحسان ودليل كل	١٢٥
الدعاء أنواعه ودليله	١٢٧
الخوف أنواعه ودليله	١٣٣
الرجاء ودليله	١٣٦
التوكل ودليله	١٣٨
الرغبة والرغبة والخشوع ودليل كل	١٤٠
الخشية ودليلها	١٤٢
الإتابة ودليلها	١٤٣
الاستعانة ودليلها	١٤٤
الاستعانة ودليلها	١٤٧
الاستغاثة ودليلها	١٥٢
الذبح أنواعه ودليله	١٥٣
النذر ودليله	١٥٤
الأصل الثاني معرفة دين الإسلام	١٥٦
تعريف الدين	١٥٦
مراتب الدين	١٥٩
المرتبة الأولى الإسلام	١٥٩
أركان الإسلام	١٦٢
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صحتها ودليلها	١٦٢
المرتبة الثانية الإيمان	١٩٧

الموضوع	الصفحة
تعريف الإيمان	١٩٧
أركان الإيمان	٢٠١
الدليل على أركان الإيمان	٢١٩
المرتبة الثالثة الإحسان	٢٢٠
تعريف الإحسان	٢٢١
دليل الإحسان	٢٢٥
الدليل من القرآن	٢٢٥
الأصل الثالث معرفة نبينا محمد ﷺ	٢٤٢
اسمه ونسبه ونشأته	٢٤٢
نزول الوحي عليه	٢٥٠
هذه الدعوة في مكة	٢٥٣
الإسراء والمعراج	٢٥٥
الهجرة إلى المدينة	٢٦١
الاستقرار في المدينة ونزول باقي الشرائع وإكمال الدين	٢٧٠
خاتمة	٢٧٧
الإيمان بالبعث	٢٧٧
الحساب والميزان	٢٨٢
الإيمان بالرسل	٢٨٦
الكفر بالطاغوت والإيمان بالله	٢٩٤
أنواع الطواغيت	٣٠٠